رمضان شلّح
والجهاد الإسلامي

د/ وليد علي القططي

تقديم: ثابت العمور

رمضان شلّح

والجهاد الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

تـقـديـم

الكتابة عن الرجال واســتحضار سيرتهم ومسيرتهم ليس بالأمر السهل فكيف إذا كانت عن رجل بقيمة وقامة الدكتور رمضان شــلّح -أبو عبدالله- رحمه الله؛ وهو الاســتثناء في زمن تزدحم فيه الأسماء، لم يكن الدكتور رمضان شلّح مجرد اسم عابر في سيرة التاريخ الفلسطيني المعاصر؛ بل كان محطة فكرية وسياسية مفصلية واســتثنائية، لــم يكن الرجل مجرد قائــد لتنظيم أو أمين عام لحركة مقاومة، بل كان مفكراً وأديباً وسياســيا ووطنيا ووحدويا لأبعد الحدود؛ كان مشــغولاً بســؤال التحرير، وضميراً منحازاً لفكرة أن فلسطين ليست ملفاً سياســياً قابلاً للإغلاق بل قضية مفتوحة على التاريخ والجغرافيا والهوية.

جاء الدكتور رمضان شــلح في زمن التيه وهجوم السلام؛ وقاد حركة الجهاد الإسلامي في مرحلة ارتبك فيها المشــهد الفلسطيني بين خيار التســوية ومنطق المقاومة، فاختار أن يقف في الضفة الأكثر صلابة، حيث لا مساومة على الثوابت؛ لم يكن صوته هو الأعلى لكنه كان من أكثرها ثباتاً على الموقف وصادقاً فيه، لم يكن حضوره صاخباً لكن كان وما زال عميق الأُثر. يتملكك كلما التقيته ويحيطك بإجابته لكل الأســئلة مهما كانت.

أعاد الدكتور رمضان شلح تعريف الفعل المقاوم كمشروع وطني استراتيجي طويل النفس مستمر، لا رد فعل آنــي، ولــم يدعِ أنه وحده عماد هذا المشــروع بل ربطه بســياق الأمة العربية والإســلامية متجاوزاً حدود الجغرافيا الفلسطينية.

لم يكن د/ رمضان شــلّح مجرد قائد أو أمين عام لحركة الجهاد الإســلامي في فلســطين، بل كان مرحلة من التاريخ الفلســطيني المعاصر، ومحطة في تاريخ الحركة الإســلامية الفلســطينية؛ كان رحمه الله حالة فكرية غير تقليدية نشــأت من رحم مدرسة الشهيد الدكتور فتحي الشــقاقي وأكملت مشواره وأوفى بالوعد والعهد حتى ترجل.

يتفرد هذا الكتاب بأنه أول كتاب علمي أكاديمي يقع بين يدي يتناول الدكتور رمضان شــلح الانســان والمفكر والقائــد والكاتــب؛ ولم يكتف الكاتب د/ وليد القططي بتقديم رمضان شــلح فقط؛ بــل تناوله من خلال رؤيته لحركــة الجهاد الإســلامي، إن القيمة الأكاديمية والتوثيقيــة لهذا الكتاب أنه يجمع بيــن بعدين فكر الدكتور رمضان شــلح الإنســان، وفكر ومواقف حركة الجهاد الإســلامي كما يُقدمها ويراها ويُرويها رمضان شلح الأمين العام.

هذا الكتاب يقاوم النســيان، ويعيد اســتحضار أفكار الدكتور رمضان شــلح التي لم تُقرأ بما فيه الكفاية ولم تأخــذ حقها في البحــث رغم أهميتها وعمقها وتميزها وفرادتها، والكتاب يســتعيد الرجــل ويُقدم فكره عبر مختلف المحطات التي عصفت بالمشــهد الفلســطيني ويضعها كما هي بين يدي القارئ. قيمة هذا الكتاب أنه يســتعيد فكر الدكتور رمضان شــلّح ويضعه بين يدي القارئ والباحث وكل من يريد فهم مسيرة عاصفة من الجهاد والمقاومة امتدت لأكثر من ثلاثة عقود متواصلة كان الرجل خلالها حاضرا بفكره وخطابه؛ وشــاهداً بقرارته ومواقفه كأمين عام لحركة الجهاد الإســلامي في فلسطين.

وبهذا المعنى، يأتي هذا الكتاب (رمضان شلّح والجهاد الإسلامي) كإضافة نوعية ورافد موضوعي، ومحاولة جادة غير مســبوقة لقراءة أحد أبرز العقول التي أســهمت في تشكيل مســار المقاومة الفلسطينية في العقود الأخيرة.

"وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر"

ثابت محمد العمور

مايو- أيار- 2026

رمضـــان شـــلّح وفتحـــي
الشقاقي والجهاد الإسلامي
بعيون رمضان شلح

الباب
الأول

الفصل الأول : رمضان شلّح كما عرف نفسه

المبحث الأول: من هو رمضان شلّح؟

أولا: رمضان شلّح فلسطيني من غزة:

"أنا رمضان عبد الله شـــلّح، فلســـطيني من أُسرة فلسطينية، من حي الشجاعية بمدينة غزة، درست الاقتصاد في مصر وبريطانيا، حيث حصلت على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي والبنوك الإسلامية من جامعة (دورهام) بإنجلترا عام 1990م، وعملت في الولايات المتحدة اســـتاذاً جامعياً ومديراً لمركز أبحاث في ولاية (فلوريدا)، رافقت الشـــهيد فتحي الشـــقاقي منذ عام 1977، وبقيت إلى جانبه فـــي قيادة الحركة حتى لحظة وداعه الأخيرة ".[1]

ثانياً: رمضان شلّح.. المسار الأكاديمي

"دراســـتي الجامعية الأولى كانت في مصر، حيث درست الاقتصاد في جامعة الزقازيق، وعملت مُحاضراً في الجامعة الإسلامية بغزة حتى عام 1986م، ثم خرجت لإكمال دراستي العُليا في بريطانيا من جامعة (دورهام) عام 1995م، بعدها انتقلت إلى أمريكا حتى عملت زميلاً ثم مديراً لمركز دراســـات الإســـلام والعالم، وكذلك اســـتاذاً جامعياً في قسم الدراسات الدولية في جامعة جنوب (فلوريدا)، تركت الولايات المتحدة صيف 1995 م، بغية العودة إلى فلســـطين لكن شـــاءت الأقدار أن تسوقني إلى الوضع الذي أنا فيه الآن بعد استشهاد الأخ القائد أبو إبراهيم".[2]

ثالثاً: رمضان شلخ .. المسار الحركي:

"أنا في الأســـاس مدرس جامعي وأكاديمي موجود في حركة الجهاد منذ أنْ كانت فكرة ونبتة صغيرة قبل ما يقرب من عقدين من الزمان، عندما شـــكّل الشـــهيد أبو إبراهيم تنظيماً إســـلامياً مســـتقلاً في مصر مع إخوة آخريـــن، كنت أنا أول شـــخص عام 1979م يُبايع أبو ابراهيم من شـــباب جامعـــة الزقازيق... وقد صاحبت الشهيد القائد لفترة طويلة، وحين فصلتني عنه الجغرافيا كنت أقرب ما يكون إليه، فلم يعد سراً أني كنت على اتصال دائم للتشـــاور في أمور الحركة وتنفيذ التكاليف التي يطلبها مني لاســـيما فيا يتعلق بالداخل ". [3]

---

[1]- جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995م

[2]- مجلة البلاد 19-12-1995م

[3]- صحيفة المجد، 27-1-1997م

رابعاً: رمضان شـــلح.. الدافع الوطني والحماسة الدينية هما البداية

"انتمائي إلى أُســـرة محافظة، ووالدي - رحمه الله- كان مُتديناً، وهو الذي حال دون انخراطي في التنظيمات الفلســـطينية وبالذات اليسارية منها، لأنَّ راديكاليتها كانت تســـتهوني لكن موقفها من الدين كان يمنعني من الانخراط فيها، أمّا عن عدم التحاقي بالإخوان كتنظيم إســـلامي فكان ســـببه المناخ المعادي لهم وللإسلاميين في فترة عبد الناصر، وكانت هناك صورة ســـلبية للإخوان في الشـــارع، لدرجة كان عضو الإخوان يُقال عنه (الإخونجي) كأنها تُهمة أو سُـــبة وَلدت لدى الكثير من الناس النفور منهم ... في الحقيقة الدافع الوطني كان موجوداً والحماســـة الدينية كانت هي الغالبة في علاقتي بالشقاقي عندما تعّرفت عليه في البداية". [4]

هكذا عرّف رمضان شلّح نفسه، وإضافة إلى ذلك استناداً إلى مصادر أُخرى، فقد ولد شلّح في الأول من يناير - كانون الثاني لعام 1958م، لأُســـرة محافظة من حي الشـــجاعية بمدينة غزة جنوب فلســـطين كان هو أكبر أبنائها الذكور، والتزم منذ صغره بالصلاة والصوم والآداب والأخلاق الإســـلامية طوال مراحل دراســـته، إلى أنْ أُضيـــف إليه البعد السياســـي والوطني في المراحـــل الأخيرة من المرحلة الثانوية التي كتب فيها الشـــعر الوطني بحماســـة، وبهذه الخلفية الدينية والوطنية توجه إلى مصر عام 1977م لإكمال دراسته الجامعية في جامعة الزقازيق، حيث التقى فتحي الشـــقاقي الذي ســـبقه بعامين لدراسة الطب في نفس الجامعة، وكانت من هذه الدراســـة في جامعتي الزقازيق والشقاقي نقطة تحول في حياته ومسيرته.

---

[4]- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة، 10-1-2003م

المبحث الثاني: تأثير فتحي الشــقاقي على رمضان شلّح

أولاً: فتحي الشقاقي.. الجامعة:

"التقيــت بالأخ أبو إبراهيم عــام 1977م عندما كنا طلاباً في جامعة الزقازيق بمصر، كان هو يدرس الطب، وكنت أنا أدرس الاقتصاد، وقد اخترت هذا التخصص بتشــجيع منه - رحمه الله -على الصعيد الشخصي كنت اعتبر معرفتي بالدكتور ميلاداً جديداً بالنســبة لي، لقد كان بفكره وإســلامه وأخلاقه هو المدرســة الحقيقية والجامعة الأهم التي التحقت بها في الزقازيق، انا مدين كُلياً للشــهيد في تحوّلي واعتناقي الفكر الإســلامي كأيديولوجية، بل حتى في فهم هذا العالم فهماً إســلامياً متميزاً وطريق للتغيير" [5]

ثانياً: فتحي الشقاقي.. المعلم:

"النقلــة حدثت على يد الدكتور فتحي الذي بدأ يُحدثني عن دور الإســلام فــي تاريخ الأمة وصنيعة لأمجادها وحضارتهــا، وكيف حدثت المواجهة بين الاســتعمار الغربي الحديث والأمة الإســلامية حيث انتصر الغرب وأُقصي الإســلام من الحياة، وأيضاً دور الإســلام في مقاومة الاحتلال في الجزائر، الشــيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر، وعمر المختار في ليبيا، والسنوسي في تونس، وعز الدين القسام في فلسطين، والمهدي في السودان، والكواكبي والأفغاني ... وصولاً إلى الحركة الإسلامية المعاصرة... ونشوء دولة الاستقلال في الوطن العربي والإســلامي على أُسس علمانية، ثم موقف الحركة الإسلامية من ذلك، وهنا بدأت اتعرف على كتابات المودودي وســيد قطب والشيخ الغزالي والشــيخ القرضاوي وآخرين حتى بدأت أدرك أنَّ هناك عالماً آخــر، أو رؤية أخرى إلى العالم غير التي تعلمناها في المدارس أو في بيوتنا"[6]

ثالثاً: فتحي الشقاقي ..الحل الإسلامي:

"كنا مجموعة من الطلاب نلتف حول الشــقاقي عندما اندلعت الثورة الإســلامية في إيران في فبراير - شباط 1979م، طلبنا منه أن يشرح لنا خلفية أبعاد حركة الإمام الخميني وأهدافها.. في البداية قرر أن يكتب دراسة في حدود عشر صفحات حتى يقرأها الجميع ولكن الفكرة تطورت إلى كتيب يطبع ويوزع في الأسواق.. فألف ذلك الكتيب الذي كتبت مســودته بخط يدي قبل أن يُرســل إلى المطبعة، وقد نزل الكتاب إلى الأسواق بعنوان (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل) بعد وصول الإمام الخميني إلى طهران بأيام تقريباً في 12-2-1979م.[7]

---

[5]- مجلة البلاد، 19-12-1995م

[6]- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م

[7]- المرجع السابق

رابعاً: فتحي الشقاقي .. نقلة نوعية:

"بدأت هذه الرحلة مع الجهاد الإسلامي عام 1977م عندما سافرت للدراسة في جامعة الزقازيق بمصر، وتعرّفت هناك على الدكتور فتحي الشقاقي الذي التحق بكلية الطب في الجامعة نفسها عام 1974م، كان لقائي بالشقاقي بمثابة نقلة نوعية في حياتي بكل المقاييس .. فتح التعرف على الشقاقي آفاقاً جديدة بالنسبة لي على مستوى رؤيتي للإسلام وفهمي للإسلام وفلسطين والعالم، بل كل شيء في الحياة "[8].

خامساً: فتحي الشقاقي .. الرمز والنموذج

"بالنسبة لي فمنذ تعرّفت على الدكتور فتحي الشقاقي والتحقت بالحركة الإسلامية تبخرت كثير من الرموز والمُسميات في رأسي، وبرزت شخصية عز الدين القسام كنموذج وكرمز إسلامي ثوري فلسطيني... عبد الناصر كنت أحبه جداً وأحب طريقته في الخطابة... ولكن هذه الصورة تغيرت في ذهني عندما تحوّلت إلى الإسلام الحركي ... بعد هزيمة 67 والصدمة التي أصابت كل من وعى الهزيمة برزت شخصية ياسر عرفات، واذكر أننا يوم وفاة عبد الناصر كنا نهتف "عبد الناصر لما مات حمل الراية عرفات"، ولكن عرفات للأسف لم يُحافظ على هذه الرمزية ... في الحقيقة فتحت عيني على القضية الفلسطينية وأنا صبي صغير فوعيت الشقيري، كنت مُعجباً به وتشدني خطبه الحماسية .."[9].

[8] - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
[9] - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م

المبحث الثالث: نشـــأة (الطلائع الإسلامية) برواية رمضان شلّح

أولاً: الفكرة قبل التنظيم

"كان اللقاء مع الشقاقي يغلب عليه الطابع الفكري، وكنا مجموعة من الطلاب من تخصصات وكليات مختلفة فـــي جامعة الزقازيق نلتف حوله، وكنا نعقد الجلســـات والحلقات القرآنية، نحفظ القرآن، وندرس التفســـير خاصة (في ظلال القرآن) للشـــهيد ســـيد قطب، واستمر هذا الوضع إلى أنْ اندلعت الثورة الإسلامية في إيران في شـــباط فبراير 1979م، في تلك الفترة اذكر أننا طلبنا من الدكتور فتحي أن يشرح لنا في الجلسات خلفية أبعـــاد حركة الإمام الخميني وأهدافها لأننا لم نكن نلم بحقيقة ما يجري" [10].

"بعد هزيمة 67 أُصيب الشـــقاقي بصدمة وخيبة أمل أحدثت لديه التحوّل عن الإســـلام في رحلة البحث عن خيار بديل، وجد الإجابة في كتابات المفكرين الإســـلاميين كالغزالي وســـيد قطب وحسن البنا وغيرهم، ولكنه في واقع الحركة الإســـلامية أخذ عليها قصورها أو تخلّف موقفها من المسألة الفلسطينية من الطرح القومي الذي يعتبر فلســـطين قضية مركزية، ومن الموقف العملي لرائد الحركة الإســـلامية المعاصرة الشـــهيد حسن البنا الذي أرســـل المجاهدين للقتال في فلسطين، ومن هنا حدث جدل عميق بين الشقاقي وبين حركة الإخوان المســـلمين على خلفية الموقف من القضية الفلسطينية ومسألة الجهاد ضد الاحتلال" [11].

ثانياً:(الطلائع الإسلامية).. التنظيم الأول للحركة

"بعد الاعتقال الأول مباشرة للشقاقي على خلفية نشر كتاب الخميني أربعة شهور أواخر عام 1979م، أذكر أنني طرحت عليه فكرة التنظيم لأني شـــعرت أنَّ الرابط الذي كان يجمع الشـــباب حوله كان ضعيفاً، و اعتقاله ولد حالة من الخوف لدى بعض الشـــباب وخشيت أن ينفرط هذا العقد فصارحته بذلك وقلت له لابد من وجود تنظيم وإلاَّ فإنَّ كل واحد ســـيذهب في حال سبيله والطلاب في النهاية يخشون على دراستهم ومستقبلهم، فما كان من الشـــقاقي إلا أن صارحني بوجود تنظيم، في البداية اعتقدت أنه يقصد (الإخوان المســـلمين) .. قال هنـــاك نـــواة لتنظيم جديد يتقاطع مـــع الإخوان... هناك إخوة مـــا زالوا في الإخوان فقط لـــم يدخلوا التنظيم الجديـــد... وهناك إخوة في الإخـــوان وفي التنظيم الجديد، وهناك اخوة في التنظيم الجديد ليســـت لهم علاقة بالإخوان... فما كان مني إلاّ أن عبّرت عن ســـعادتي وفرحتـــي بذلك وبايعته بيعة الجهاد، وكان ذلك في آذار مارس 1979م .. كان اســـم التنظيم (الطلائع الإسلامية)، وعندما بايعت الشقاقي كان حجم التنظيم صغيراً لا يتعدى بضعة أفراد... ولم يكن في الزقازيق غير الشقاقي فكنت أنا أول من بايعه بيعة التنظيم في الزقازيق.. (الجهاد الإســـلامي) جاء لاحقاً بعد عودتنا إلى فلسطين" [12] .

---

[10] - المرجع السابق

[11] - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م

[12] - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م

المبحث الرابع: رمضان شـــلح.. الأمين العام لـ (الجهاد الإسلامي)

أولاً: الوصول إلى قيادة (الجهاد الإسلامي)

" أنا عضو مؤســس في حركة الجهاد الإسلامي منذ نشأتها في أواخر السبعينات.. لقد كنت في أمريكا بشكل مؤقــت لكن علاقتي بالحركة وبالشــهيد القائد لم تنقطع، فكنت متواصلاً مــع الحركة وقضاياها أولاً بأول... وعند استشــهاد (أبو إبراهيم) لم أكن في أمريكا وكنت بين إخواني المرابطين على تخوم فلســطين وقد جرى اختيــاري أميناً عامــاً للحركة بالإجماع وليس بالأغلبية من كل مؤسســات الحركة في الداخل والخارج وفق دستورها " [13].

".. أحد الإخوة بعد اســبوعين من استشــهاد الدكتور الشقاقي واختياري أميناً عاماً عثر ونحن نراجع أوراق الشهيد وملفاته على رسالة موّجهة إلىّ فيها:

أنا إنْ ســقطتُ فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل ســلاحك لا يخفك دمي يسيل من السلاح
وانظر إلى شــفتي أطبقتا على هوج الرياح

وهذه قصيدة مشــهورة من قصيدة (المعركة) للشــاعر معين بسيســو من أغاني الثورة الفلسطينية، كما أنَّ الشــقاقي عند سفره عهد إليَّ بإدارة شئون الحركة أثناء غيابه"[14].

ثانياً: رمضان شلّح بعد الأمانة العامة

لدى تسلّم رمضان شلّح قيادة الحركة كانت أمامه تحديات كبيرة أهمها: حل اللُغز الأمني الذي أدى إلى اغتيال الشــقاقي، وترتيب البيت الداخلي للحركة، والحفاظ على وحــدة الحركة التنظيمية، وملء الفراغ الكبير الذي تركه الشقاقي، والتمسك بثوابت الحركة الفكرية والسياسية، ولكن التحدي السياسي الرئيسي على المستوى الوطني تجاوز مرحلة أوسلو الخطرة بالتوازي مع الحفاظ على الوحدة الوطنية واستمرار مواجهة المشروع والكيــان الصهيوني... وقد شــكّل اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م مخرجــاً للكثير من هذه التحديات... وأهمها التحدي العســكري المقاوم حيث أعاد تشــكيل الجهاز العســكري الســابق للحركة (القوى الإسلامية المجاهدة) المعروفة اختصاراً بـ (قســم) باسم جديد هو(سرايا القدس).

وتأكيداً لما ســبق وبعد أربع ســنوات من تســلمه الأمانة العامة للحركة قال شــلّح: "لقد حاولنا خلال أربع ســنوات الحفاظ على خط الجهاد الإسلامي ناصعاً ونظيفاً كما رسمه الشهيد الشقاقي ورواه بدمه، ولقد سعينا لذلك من خلال التأكيد على تميز موقفنا السياســي الذي رفض المســاومة على أي جزء من حقوقنا ودمائنا،

---

[13] - جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995

[14] - جريدة الحياة، 27-11-1995م

ومـــن خلال العمل الجهادي ضد الاحتلال الصهيوني، برغم كل التحديات والمعوقات التي تواجهنا وتواجه كل الشـــرفاء والســـالكين لخط المقاومة فقد استطاعت الحركة ولله الحمد أن تصمد وأن تواصل المسير على هذا الطريق"[15] .

ثالثاً: رمضان شلّح .. الأمين العام المقاوم والاستشهادي

يتحدث رمضان شلّح عن ضريبة الانتماء للحركة ومن ثم قيادتها قائلاً: "الحياة في ظل المطاردة أو الملاحقة الإسرائيلية لنا هذا شيء ألفناه، ونحن منذ سلكنا هذا الطريق نعرف أنَّ له تكلفة، وأنَّ له ثمن، ونحن والحمد لله جاهزون لأنْ ندفع هذا الثمن، حياتي ليســت أغلى ولا أعز من حياة أي إنســان فلســطيني مُستهدف من إســرائيل على الأرض الفلســطينية، ونأخذ بعض الإجراءات وبعض الاحتياطات... ولكن في النهاية النتائج على الله - ســبحانه وتعالى - ونحن نرضى بما يكتبه الله لنا في هذا الأمر" [16].

" منذ ســلكتُ طريق الجهاد إلى اليوم على إيمانٍ راســخٍ وقناعةٍ بهذا الخط، بل هو بالنســبة لنا التزام ديني ووطني وإنســاني، لأننا لا يمكن أنْ نقبل بالعبودية والاستســلام لقوى الشر والعدوان.. بالنسبة لي شخصياً فأنا أؤدي ضريبة الانتماء لديني وأمتي ووطني، فأنْ أكون مســلماً بحق أو عربياً بحق أو فلســطينياً بحق، فيجب أنْ أكون مقاوماً، هذا هو إيماني وهذه هي قناعتي؛ لأنَّ مقاومتي للظلم والعدوان هو مصدر إحساســي بأنني إنسان كرّمه الله -عز وجل-بإنسانية وليس مجرد كائن بيولوجي يُمارس وظائفه البيولوجية كسائر من يدب على هذه الأرض" [17].

---

[15] - نداء القدس 1999م

[16] - قناة الميادين، برنامج بالعربي،17-7-2005م

[17] - جريدة الأهرام المصرية، 2007م

مصادر الفصل الأول

1- جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995م
2- مجلة البلاد، 19-12-1995م
3- صحيفة المجد، 27-1-1991م
4- صحيفة الحياة اللندنية؛ الحلقة الرابعة، 10-1-2003م
5- مجلة البلاد، 19-12-1995م
6- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003.
7- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
8- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
9- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
10- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
11- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
12- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-2003م
13- جريدة الرأي الأردنية، كانون الأول 1995م
14- جريدة الحياة،27-11-1995م
15- نداء القدس،1999م
16- قناة الميادين، برنامج بالعربي17-7-2005م
17- جريدة الأهرام المصرية، 2007م

الفصل الثاني : فتحي الشقاقي بعيون رمضان شلّح

المبحث الأول: فتحي الشقاقي يُشّخص مشكلتي الحركتين الإسلامية والوطنية

أولاً: رؤية الشقاقي مُتجاوزة لواقع الإخوان المسلمين

" الشـقاقي كان عضواً في (الإخوان المسـلمين) الفلسـطينية، فهو ينتمي إلى الحركة الإسـلامية وفكرها الإسـلامي الحركي، لكن الشـقاقي كان يحمل رؤية متجاوزة لواقع الإخوان المسلمين في كثير من القضايا، أهمها الموقف من القضية الفلسـطينية، لأنَّ الإخوان في فلسـطين كانوا يقولون إنَّ فلسطين قضية إسلامية مثلها مثل سـائر القضايا التي تهم المسـلمين، لكن الشـقاقي كان يقول إنَّ القضية الفلسـطينية هي القضية المركزية للحركة الإسـلامية، بل للأمة الإسلامية، كما يقول المشروع القومي الذي اعتبر القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية" [18] .

ثانياً: مشكلة الشقاقي مع الحركة الإسلامية التقليدية

"في الحركة الإسلامية كانت مشكلة الشقاقي في وعيه المتقدم جداً، كما قال أحد المفكرين الكبار يوماً: عندما يأتي شـكلاً من أشـكال الوعي قبل زمنه يكون مأساوياً، لم تكن فلسطين حاضرةً في التكوين الوجداني لأبناء الحركة الإسـلامية، ولا في الدروس الباردة التي تستخف بفلسـطين الجغرافيا استخفافاً على التاريخ، بل إنَّ الأرض بما هي أرض لم تكن مسـموحاً أو مقبولاً مجرد الكلام فيها، أشـعل الشـقاقي الحوار في جدل الديني والوطني داخل الحركة الإسـلامية. اتقن الشـقاقي فن اختيار المُسـلّمات في الوسط الإسلامي التقليدي، لأنه أتقن فن مُسـاءلة التاريخ وتفكيك رواياته السـائدة ليُعيد تشـكيل الوعي الإسلامي في فضاء تكوين فلسطين بؤرته المركزية... أدرك الشقاقي بإيمانه المؤسس على المعرفة، ووعيه المرتبط بالواقع حاجة المرحلة إلى المشـروع الذي يُعيد اكتشاف إسلامية الفلسطيني وفلسطينية الإسلامي، بما يفيد اكتشاف فلسطين من جديد، وأدرك أن تجاوز الهزيمة لا يتم في الفراغ، بل في دائرة الفعل، فأبدع حركة الجهاد الإسـلامي في فلسطين" [19].

ثالثاً: رأي الشقاقي في أزمة (الإخوان المسلمين)

" كان فتحي الشقاقي عضواً في حركة الإخوان المسلمين التي كانت تُعاني آنذاك من أزمة حقيقية من وجهة نظر الشـقاقي، انعكست بشـكل أساسي في إهمال المسألة الوطنية وطرح أولويات بديلة، وكذلك الهروب من الهموم الحقيقية والتحديات الجوهرية التي تُواجهها الأمة، إلى القضايا الهامشـية والشكلية والجزئية،

---

[18] - صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-1993م

[19] - جريدة الاستقلال، غزة،28-10-1999م

كان الشـــقاقي يُركز على مسألة غياب المنهج في تناول وفهم الإسلام والواقع والعالم، الأمر الذي أحدث خللاً في سُـــلّم أولويات الحركة الإســـلامية، وأوقعها في مأزق التعارض الوهمي بين العروبة والإســـلام، أو بين الوطنية والإســـلام، فبدت الحركة الإســـلامية كأنها لا تملك إجابة للمسألة الفلسطينية التي بقيت تتراوح لدى الإسلاميين بين الإهمال والتأجيل" [20].

رابعاً: رأي الشـــقاقي في أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية

" رأى الشقاقي أنَّ معظم القوى الوطنية الفلسطينية المنضوية تحت إطار منظمة التحرير الفلسطينية تستبعد الإســـلام كثقافة وهوية وأيديولوجية عن إدارة الصـــراع فغيبتهُ عن برامجها النضاليـــة وحياتها اليومية... حركة الجهاد الإســـلامي حلّت إشـــكالية الدين والوطن، فجاءت إجابة إسلامية ثورية عن السؤال الفلسطيني، وإجابة وطنية فلسطينية عن السؤال الإسلامي" [21].

خامســـاً: مأزق الحركتين- الإسلامية والوطنية- برؤية الشقاقي وقلم شلَّح

" كانت المعادلة واضحة في ذهنه (فتحي الشـــقاقي)، إســـلام بلا فلســـطين، وفلسطين بلا إسلام، يعني فقدان البوصلة والدوران في حلقة مُفرغة لا تنتج إلا مزيداً من الضعف والعجز والهوان، وهذه المعادلة هي مفتاح فهـــم أفكار الشـــهيد وما حـــاول أنْ يبدعه من مفاهيم ومســـالك جديدة في العمل الإســـلامي والعمل الوطني الفلسطيني، إنَّ تلاقح فكرة الإسلام دين التحرر من كل عبودية، والثورة على كل ظلم، مع فلسطين المُغتصبة، لا بد أنْ يرفد مفهوم الجهاد في المعادلة بمزج عناصرها الثلاثة: الإســـلام والجهاد وفلســـطين، كلمة الســـر المكوّنة لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين"[22] .

[20]- مجلة نداء القدس 1999م

[21]- المرجع السابق

[22]- موســـوعة الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول،1997م

المبحث الثاني: فتحي الشـــقاقي يُدشّن مشروع الجهاد والمقاومة في فلسطين

أولاً: مركزية فلسطين في فكر الشقاقي

" لم يكن فتحي الشـــقاقي مجرد أمين عام لتنظيم فلســـطيني مقاوم للاحتلال الصهيوني، بل كان بذرة الوعي والثورة في حقل النهوض الإســـلامي الكبير، وكان الشـــقاقي يُدرك أنَّ الأمة تعيش أزمة حضارية شاملة في مواجهة الهجمة الغربية الشرســـة، لكنه كان يرى أنَّ فلســـطين هي مركز الهجمة وعنوانها الرئيسي.. حين أغمد المناضلون القُدامى ســـيوفهم وامتشـــقوا أُلام التواقيع على صكوك الاستســـلام، كان الشـــهيد الشقاقي يمتطي صهوة جواده ويُعلن مجدداً أنَّ الطريق إلى فلســـطين تمر عبر فوهة البندقية.. لقد قرر الشـــقاقي أن يضع حداً لمهزلة الموت على مزاج الأوصياء باختيار الشـــهادة على طريق الأنبياء" [23].

ثانياً: فتحي الشـــقاقي مُفجّر الثورة الإسلامية في فلسطين

" إن الشـــقاقي هو الرصاصة الإســـلامية الأولى في فلســـطين في ربع القرن الأخير، إنَّ فتحي الشقاقي كان الشرارة بل الصاعق الذي فجر الحركة الإسلامية في فلسطين، وأخرجها من سُباتها ونومها إلى وهج الجهاد والاستشهاد، هذه حقيقة يجب ألا تُنسى، ومن حق الشقاقي أنْ نُسجّلها له في صفحات تاريخ شعبنا ونضاله" [24].

" الشـــهيد الشـــقاقي هو الذي دشّـــن مشـــروع الجهاد والمقاومة تحت راية الإســـلام فـــي الحركة الوطنية الفلســـطينية في مرحلتها وطورها المعاصر من خلال تأسيسه لحركة الجهاد الإسلامي.. والحديث عن الكفاح المســـلح لا يعني هذا اختزال الشـــقاقي ومشـــروعه في بندقية، بل إننا بذلك نضع أصبعنا على الجرح، جُرح الأمة الغائر في فلســـطين التي كانت قبل الشـــقاقي غائبة كقضية جهادية عن برنامج الحركة الإسلامية" [25].

ثالثاً: فكرة (الثورة الإســـلامية في فلسطين) هي جوهر مشروع الشقاقي

"قبل الشـــقاقي لم تكن أطروحات مركزية القضية الفلســـطينية، والثورة الإســـلامية في فلســـطين، والجهاد المســـلح من أجل تحرير فلسطين... من المصطلحات الأليفة على عقل وقلب الحركة الإسلامية في فلسطين... واليوم بعد أن علّق الشـــقاقي وإخوانه الجرس وأشعلوا الشـــرارة، ولحق بهم آخرون فهذا دليل على عظمة وأصالة مشـــروع الشـــقاقي.. إنَّ الفكرة التي حملها الشقاقي وبشّر بها لم تكن لتمتْ بغيابه، ولم تكن لتحتضر في الحركة التي أسســـها الشـــهيد.. لقد غدت فكرة الشقاقي ومشروعه عنصراً ثابتاً في ضمير الأمة" [26].

---

[23] - المرجع السابق

[24] - كلمة غير منشـــورة للدكتور رمضان شلّح، في الذكرى الخامسة لاستشهاد الشقاقي2000م

[25] - مجلة ياران الإيرانية، 2007م

[26] - كلمة غير منشـــورة للدكتور رمضان شلح، في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م

المبحث الثالث: فتحي الشقاقي.. الإنسان والقائد والمفكر

أولاً: فتحي الشقاقي الإنسان:

1- فتحي الشقاقي.. التعبير عن قضية الإنسان

" فتحي الشـــقاقي كان التعبير الحقيقي عن قضية الإنســـان بكل أبعاده، الإنسان الذي يرفض أنْ يكونَ ضحية فُيصارع الجلاد، الإنســـان الذي يرفض أنْ يكونَ ذليلاً فيختار أنْ يكونَ ثائراً، الإنســـان الذي يرفض أنْ يكون عبداً للطغاة والجبابرة فيختار أنْ يكون شهيداً..."[27] .

" كان الشقاقي أصلب من الفولاذ، وأمضى من السيف، وأرق من النسمة، كان بسيطاً إلى حد الذهول، مُركّباً إلى حد المعجزة، كان ممتلئاً إيماناً ووعياً وعشقاً وثورة... كان الإيمان العميق والصبر الجميل هما زاده في مواجهة ســـيل الأعداء.. فيســـتعذب العذاب، ويقبل التحدي والمنافسة، يُحســـن النية وصدق الكلمة وقداسة المسؤولية وشجاعة الموقف وعلو الهمة.. شعاره: قليل من العناد والصبر ينفلق الصخر، الذي ينتظرنا ليس هو الموت، إنَّهُ الحياة أو النصر" [28].

2- فتحي الشـــقاقي.. التجسيد الفعلي للإنسان الحُسيني الثائر

" لأنَّ فكرة الثورة هي جوهر مشـــروع الشـــقاقي الإنسان والثائر والشـــهيد لا يقتصر على فلسطين، فستظل روح الشقاقي ورايته تنبعث من كل جيل وفي كل عصر وفي كل أرض ينشب فيها صراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشـــر، تماماً كما هو الحُســـين بن علي_رضوان الله عليهما- الذي ســـكنت روحه وهمته قلب الشـــقاقي ووعيه وفكره، فكان قدره أنْ يستشهد كما الإمام الحُسين" [29] .

ثانياً: فتحي الشقاقي.. القائد:

1- فتحي الشقاقي .. قائد فذ:

" لقد جمع رضوان الله عليه بشـــخصيته الغنية بآفاقها الرحيبة وملكاتها المتنّوعة صفات القائد الفذ، لقد كان مثـــالاً للطهارة والصفاء والعطاء، ونموذجاً لنكران الذات والترفع عن الصغائر، كان كبيراً في نفســـه، كبيراً في همته، كبيراً في أخلاقه وطموحاته، كبيراً في مشـــروعه الجهـــادي، كان منفتح العقل والقلب والوجدان، ولعـــلَّ أهـــم ما كان يميزه هو صدقه مع نفســـه، وصدقه مع إخوانه، وصدقه مع شـــعبه وأمته، وقبل كل هذا صدقه مع ربه عز وجل" [30].

---

[27] - المرجع السابق.

[28] - موســـوعة الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، 1997م

[29] - كلمة غير منشـــورة للدكتور رمضان شلح في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م

[30] - مجلة فلسطين المسلمة،1-12-1996م

2- فتحي الشقاقي.. أمة في رجل:

" كان الشـــقاقي أمة في رجل بكل معنى الكلمة، وهذا يعني أنه كقائد وكمرشـــد وكزعيم لا يُعوّض، وخسارتنا بفقده كبيرة، ولكن عزاءنا فيه أنه أســـس بنيان حركة الجهاد الإســـلامي على تقوى ووعي وبصيرة تضمن اســـتمرار هذا المشـــروع بغيابه كما بحضوره.. إنَّ دمه لم يزدنا إلاّ تماســـكاً وإحساساً بالمسؤولية وإصراراً علـــى مواصلة النهج الذي خطه- رحمه الله- بعرقه ودمه" [31].

3- فتحي الشقاقي.. نموذج في العمل الجماعي:

" العمل الجماعي كان أســـاس طريقة الدكتور في العمل، كان دائماً حريصاً على ممارسة الشورى، كان دائماً حريصاً على إشـــراك إخوانه فيما يتعلق بأمور الحركة.. لكنه شـــخص غير عادي، وهو مُتميز وصاحب حُجة وصاحـــب رأي وفكـــرة قوية، دائماً يجد فرصة لرأيهُ أنْ يُحترم ويُقدّر، ويجـــد فرصة أنْ يقتنع به الإخوة بعد مداولات وممارســـة حقيقية للشورى التي بالنسبة له أساساً مركزياً في عمله"[32] .

ثالثا: فتحي الشقاقي... المُفكّر:

1- فتحي الشقاقي.. المُفكّر مناضلاً:

" فتحـــي الشـــقاقي كان مُفكـــراً لكنه لم يكن قابعاً في بـــرج عاجي، بل كان مجاهداً يتابـــع أدق التفاصيل في المشـــروع الجهادي الذي دشـــنه.. وكان مناضلاً مجاهداً لكنه كان صاحب فكرة على درجة عالية من الثقافة والاطلاع، وكان يملك رؤية للعالم والمنطقة والعصر الذي يعيش فيه.. الشـــقاقي ظُلم من الناحية الفكرية لأنه لم يجد الوقت لصياغة رؤيته الفكرية للعالم والتاريخ وللمنطقة والمســـتقبل"[33] .

2- فتحي الشقاقي.. المُفكّر مُعلّماً:

" لقـــد تعلمـــتُ في مصر في جامعتين.. الأولى هـــي جامعة الزقازيق التي تعلمت فيهـــا الاقتصاد.. والجامعة الأُخرى كان اســـمها بكل فخرٍ واعتزاز (فتحي الشـــقاقي)، نعم تعلمتُ في جامعة فتحي الشقاقي تعلمتُ ما هي فلسطين، وما هو الإسلام، وفي أي عالم نعيش، وما هي الرؤية التي يجب أن نحملها في هذا الزمان إنْ كنتَ مُســـلماً وتريد أنْ تؤدي حق الله في كل شيء يتعلّق بهذا الوجود" [34].

" كنـــت اعتبر معرفتي بالدكتور ميلاداً جديداً بالنســـبة لي، لقد كان بفكره وإســـلامه وأخلاقه هو المدرســـة الحقيقيـــة والجامعة الأهم التي التحقت بها في الزقازيق، أنا مدين كُلياً للشـــهيد فـــي تحوّلي واعتناقي الفكر الإســـلامي كأيديولوجيا، بل حتى في فهم هذا العالم فهماً إسلامياً متميزاً وطريق للتغير" [35].

---

[31] - مجلة الرأي الأردنية، ديسمبر 1995م

[32] - مقابلة مع صحيفة الرأي الأردنية17-11-1995م

[33] - مجلة ياران الإيرانية،2007م

[34] - كلمة غير منشـــورة للدكتور رمضان شلّح في الذكرى (15) لاستشهاد الدكتور فتحي الشقاقي 2010م

[35] - مقابلة مع مجلة البلاد،19-12-1995م

المبحث الرابع: الأعمال الكاملة للمفكر الشـــهيد فتحي الشقاقي

أولاً:(حركة الجهاد الإسلامي).. هي الأعمال الكاملة للشقاقي

طلب باحث من الدكتور رمضان شـــلّح أن يُرســـل له نُســـخة من موســـوعة الأعمال الكاملة للشهيد الشقاقي (رحلة الدم الذي هزم الســـيف)، فردَّ عليه ما يلي: " سنُرســـل لك نســـخة، لكن هذه ليست موسوعة، ليست أعمـــالاً كاملة، هذه مجموعة مقالات ومقابلات صحفية للشـــهيد قمنا بجمعها من بعـــده، أما الأعمال الكاملة لفتحي الشـــقاقي فهي حركة الجهاد الإسلامي بكل ما فيها، هذه هي الموسوعة الحقيقية التي سطرها الشهيد الشـــقاقي بدمه وعقله وقلبه، وهي كتاب مفتوح لم يكتمل بعد" [36].

ثانيا: غرس فتحي الشقاقي يثمر

قال أحد أصدقاء حركة الجهاد الإســـلامي، وهو شـــخصية فكرية بارزة في المنطقة في معرض إعجابه بأداء الحركة وتطور بُنيتها، موّجهاً كلامه للدكتور رمضان شـــلّح: " لو أنَّ الشـــهيد فتحي الشقاقي عاد اليوم (عام 2004م)، لن يُصدّق بأنَّ هذه هي ذات الحركة التي تركها يوم رحل (عام 1995م)، فردّ عليه الدكتور رمضا شـــلّح قائـــلاً: " إنَّ هذا بركة دم (أبو إبراهيم) - رحمه الله - فكل ما لدينـــا اليوم وكل ما أنجزنا - بعون الله - على قلة إمكانياتنا وتقصيرنا، هو من غرس فتحي الشـــقاقي رضوان الله عليه" [37].

ثالثاً: فتحي الشـــقاقي يعيش مرحلة العمر الثاني

في كلمة للدكتور رمضان شـــلح في الذكرى (12) لاستشـــهاد فتحي الشـــقاقي قال: "فتحي الشقاقي لم يمت، واليوم هي الســـنة الثانية عشـــرة لا أقول على رحيله أو غيابه، بل هي السنة الثانية عشرة من عمره الثاني، ألســـنا نؤمن بأنَّ الشـــهداء لا يموتون، وأنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، والعمر الثاني لا يحياه الشـــقاقي كما كل الشـــهداء بجســـده وعمله الذي لا ينقطع برحليه عن دنيانا، وعمره الثاني يحياه الشهيد في أمته بأتباعه وأصحابه وإخوانه وتلاميذه ومريديه وأبناء شـــعبه الذين يتمثلون الفكرة والمبادئ التي جسّـــدها الشهيد في حياته" [38].

---

[36] - نشرة الجهاد (الحركية) مايو/أيار 2007م

[37] - المرجع السابق

[38] - كلمة غير منشـــورة للدكتور رمضان شلّح في الذكرى (12) لاستشهاد الشقاقي 2007م

مصادر الفصل الثاني

1- صحيفة الحياة اللندنية، الحلقة الرابعة،10-1-1993م

2- جريدة الاستقلال، غزة،28-10-1999م

3- مجلة نداء القدس،1999م

4- مجلة نداء القدس،1999م

5- موســوعة الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، المقدمة 1997م

6- موســوعة الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، المقدمة 1997م

7- كلمة للدكتور رمضان شــلّح غير منشورة في الذكرى الخامسة لاستشهاد الشقاقي 2000م

8- مجلة ياران الإيرانية، 2007م

9- كلمة للدكتور رمضان شــلّح غير منشورة في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م

10- كلمة للدكتور رمضان شــلّح غير منشورة في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي 2005م

11- موســوعة الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، المجلد الأول، 1997م

12- كلمة غير منشــورة في الذكرى العاشرة لاستشهاد الشقاقي، 2005م

13- مجلة فلسطين المسلمة،1-12-1996م

14- مجلة الرأي الأردنية، ديسمبر 1995م

15- مقابلة مع صحيفة الرأي الأردنية، 17-11-1995م

16- مجلة ياران الإيرانية، 2007م

17- كلمة غير منشورة في الذكرى(15) لاستشهاد الشقاقي 2010م

18- مقابلة مع مجلة البلاد،19-12-1995م

19- نشرة الجهاد (الحركية) مايو/أيار2007م

20- نشرة الجهاد (الحركية) مايو/أيار2007م

21- كلمة غير منشــورة في الذكرى (12) لاستشهاد الشقاقي 2007م

الفصل الثالث: الجهاد الإسلامي بعيون رمضان شلّح

المبحث الأول: حركة الجهاد الإسلامي.. الفكرة والمشروع

أولاً: (الجهاد الإسلامي).. الفكرة

في مقابلة صحفية يؤكد رمضان شلّح على أهمية ومركزية الفكرة في بناء مشروع الحركة فيقول: "لقد كانت نشأة حركة الجهاد الإسلامي ثمرة حوار فكري وتدافع سياسي شهدته الحركة الإسلامية الفلسطينية أواخر السبعينات، وقاده مجموعة من الشباب الفلسطيني أثناء وجودهم للدراسة الجامعية في مصر، كان على رأسهم مؤسس حركة الجهاد الإسلامي الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي -رحمه الله- كان فتحي الشقاقي عضواً في حركة الإخوان المسلمين، التي كانت تعاني آنذاك من أزمة حقيقية من وجهة نظر الشقاقي، انعكست بشكل أساسي في إهمال المسألة الوطنية وطرح أولويات بديلة، وكذلك الهروب من الهموم الحقيقية والتحديات الجوهرية التي تواجهها الأمة إلى القضايا الهامشية والشكلية والجزئية. كان الشقاقي يركز على مسألة غياب المنهج في تناول وفهم الإسلام والواقع والعالم، الأمر الذي أحدث خللاً في سلم أولويات الحركة الإسلامية، وأوقعها في مأزق التعارض الوهمي بين العروبة والإسلام، أو بين الوطنية والإسلام. فبدأت الحركة الإسلامية وكأنها لا تملك إجابة على المسألة الفلسطينية التي بقيت تتراوح لدى الإسلاميين بين الإهمال والتأجيل.

هذا على صعيد مناخ الحركة الإسلامية، أما من ناحية الحركة الوطنية الفلسطينية فقد رأي الشقاقي أنَّ معظم القوى الوطنية الفلسطينية تستبعد الإسلام كثقافة وهوية وأيديولوجيا عن إدارة الصراع فغيبته عن برامجها النضالية وحياتها اليومية. ومن هنا كانت حركة الجهاد الإسلامي كفكرة.. في ذهن مؤسسها الدكتور فتحي الشقاقي حلاً لهذه الإشكالية، إشكالية الدين والوطن، أو العروبة والإسلام، حيث وطنيون بلا إسلام، وإسلاميون بلا فلسطين، فجاءت حركة الجهاد الإسلامي كإجابة إسلامية ثورية عن السؤال الفلسطيني، ورفعت شعارات: الإسلام، والجهاد، وفلسطين، الإسلام كمنطلق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف للتحرير" [39].

ثانياً: (الجهاد الإسلامي).. المشروع

" إنَّ مشروع حركة الجهاد الإسلامي الذي يرتكز على اعتبار القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة العربية والإسلامية، إنَّ مشروع تحرير فلسطين هو تتويج لمشروع حضاري كبير وليس مجرد بندقية تطلق النار، أو عبوة تنفجر، ولكن الكفاح المسلح يجب أن يستمر ليؤكد عصيان صاحب الحق على الدفن حياً، وليمنع إغلاق باب الصراع كما يُراد له في مشروع السلام الإسرائيلي الراهن"[40] .

---

[39] - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

[40] - مقابلة مع جريدة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م

" مشـــروع الجهاد الإسلامي ليس حركة تحرر وطني فقط، قامت كرد فعل على وجود الاحتلال، لا نحن نملك رؤية تتعلق بهذا العالم كله، وتتعلق بواقع أمتنا، ونعتبر أنَّ وجود إســـرائيل هو رأس حربة المشروع الغربي كله، التقدم والنهوض والاقتصاد والاســـتقلال والتنمية والأخلاق.. كل هذه المســـائل غير معزولة عن واقع الأمـــة، لأن وجود إســـرائيل في قلبها، والتي تُعتبر وجهاً آخر للتجزئة والتخلّـــف والتبعية، لذلك فالقتال على جبهة فلســـطين، واعتبار فلســـطين قضية مركزية للأمة، نحن نعتبر هذا الشعار مشروع نهوض للأمة كلها، لأنَّ إســـرائيل في المشـــروع الأمريكي الصهيوني لا تســـتهدف فلســـطين فقـــط، بل نقطة ارتـــكاز للهيمنة الاستعمارية الغربية"[41].

"مشـــروعنا السياســـي اســـتنهاض الأمة على قاعدة مركزية القضية الفلســـطينية، فالمشروع الصهيوني لا يســـتهدف فلســـطين وحدها، ولكنها بالنســـبة له نقطة ارتكاز لاســـتهداف الأمة جمعاء... لا يمكن استنهاض حقيقي للأمة طالما هذا الكيان الغريب عن جســـم الأمة المُسّـــمى إســـرائيل الذي يُعتبر رأس حربة الاستعمار وقاعدته في المنطقة جاثم على قلوبنا.. نحن ندرك أنَّ هزيمة إســـرائيل وإنهاء المشروع الصهيوني لا يمكن أن تقـــوم بـــه منظمة بمفردها.. لكن يجب أن تتكاتف كل قوى الأمة الحية من أجل تحقيق هذا الهدف" [42].

[41] - مقابلة مع قناة (العربية) برنامج (بالعربي) 15-5-2004م
[42] - مقابلة مع موقع (إسلام أون لاين) 12-11-2001م

المبحث الثاني: حركة الجهاد الإسلامي.. النشأة والتطور

أولاً: النشأة والتطور... مرحلة مصر:

" من حيث أطوار النشأة، فقد تجمعت النواة الأولى لمشروع الجهاد الإسلامي من خلال تنظيم أسسه الدكتور الشقاقي في مصر في أواخر السبعينات، منفصل عن حركة الإخوان المسلمين التي كان الشقاقي عضواً فيها حتى بعد تأسيس التنظيم المستقل. وفي فترة مصر اقتصرت مناشط التنظيم على انتقاء العناصر الطلابية وتجنيدها وتعهدها بتربية إيمانية وفكرية خاصة ومتميزة كما كان عليه البرنامج التثقيفي في التنظيم الإخواني التقليدي، وبالرغم من استفادة التنظيم من فكر وأدبيات حركة الإخوان المسلمين. لقد قرأنا تجارب وأفكار الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب والمودودي ومحمد الغزالي ومالك بن نبي وتوفيق الطيب ومحمد باقر الصدر وآية الله الخميني وعلي شريعتي، ولاحقاً الترابي والغنوشي وفضل الله والعوا والقرضاوي وغيرهم من أعلام الحركة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بمجالات أخرى من المعرفة كالأدب والسياسة والتاريخ والاقتصاد والمذاهب الأيديولوجية الأخرى وغيره. وقد كانت مجلة (المختار الإسلامي) في مصر هي القناة الأولى التي عبرّ بها الشقاقي عن بواكير مشروعه الفكري والإسلامي، كما كانت مجلة (المسلم المعاصر) الرائدة منهلاً أساسياً للتربية الفكرية للرعيل الأول من أبناء الحركة" [43].

ثانياً: النشأة والتطور.. مرحلة فلسطين

" بعد عودتنا من مصر في أوائل الثمانينات، تهيأ التنظيم لخوض غمار التعبئة الشعبية والسياسية في المساجد والجامعات والمدارس، مع التركيز على الجانب التعبوي والسياسي للعبادة والشعائر الإسلامية. بإقامة صلوات العيد في العراء، وإحياء ليلة القدر بمهرجانات في ساحة المسجد الأقصى، وذلك للتعريف بفكرة الجهاد وغرسها في النفوس، قبل أن تتبلور كحركة وكفصيل مقاتل على الساحة الفلسطينية في منتصف الثمانينيات. وفي طور التأسيس والانتشار في قطاع غزة والضفة الغربية سعت الحركة إلى تفادي الصدام الذي فُرض علينا فرضاً مع الإخوان المسلمين، الذين رأوا في أفكار الحركة وتنامي قاعدتها في صفوف الشعب خطراً على قاعدتهم التنظيمية، مما استنزف طاقات الحركة الإسلامية بمجملها للأسف. وقد احتل الموقف من الثورة الإسلامية في إيران وتأييدها في مواجهة الهجوم الأمريكي والإقليمي ضدها حيزاً كبيراً في الصدام وصل إلى حد اتهامنا بالتشيع بل وتكفيرنا، وقد كان ذلك على حساب العنوان الرئيسي للخلاف وهو موقف حركة الإخوان المسلمين من مسألة الكفاح المسلح" [44].

---

[43]- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

[44] - مقابلة مع مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد(33)،1999م

ثالثاً: النشأة والتطور.. الجهاد المسلح:

1- الجهاد المُسلّح.. البداية:

"... وقد كان الخروج من أجواء الخلاف السلبية (مع الإخوان المسلمين) يأخذ زمام المبادرة العسكرية والانتقال إلى طور صناعة الحدث، وهذا ما فعلته الحركة بالإشراف المباشر للشهيد الشقاقي الذي كان يتولى شخصياً قيادة المجموعات العسكرية الأولى منذ منتصف الثمانينيات، فاعتقل في مارس عام 1986م من قبل سلطات الاحتلال بعد تنفيذ الحركة لعدة عمليات عسكرية، وقد بلغت ذروة العمل الجهادي للحركة آنذاك في معركة الشجاعية 6-10-1987م، حيث اشتباك مجاهدو الحركة الفارون من السجن وغيرهم مع قوات الاحتلال، وقد كانت هذه المعركة سبباً مباشراً ومقدمة حرّكت الشارع الفلسطيني وقادت إلى اندلاع الانتفاضة"[45] .

2- الجهاد المُسلّح.. الانطلاقة الجهادية

"العالم كله يعرف أنَّ الجهاد الإسلامي كفكرة وكتنظيم يحمل هم الجهاد والمقاومة بدأ من أواخر السبعينات ومطلع الثمانينيات، وأنه بدأ بالكفاح المسلح منذ عام 1985م، ولكن الحدث الأبرز في طور النشأة الأولى تمثل فيما عُرف بمعركة الشجاعية الباسلة في السادس من اكتوبر تشرين الأول عام 1987م... فلم تكن معركة الشجاعية هي بداية العمل العسكري للجهاد الإسلامي، ولكنها كانت العمل الأبرز؛ بل كانت قمة الذروة المُعلقة لسلسلة متواصلة من الكفاح المسلح السري الذي سبقها، ونظراً لما للسادس من اكتوبر ومعركة الشجاعية من مكانة في تاريخ مسيرتنا الجهادية ومسيرة شعبنا النضالية عشية الانتفاضة الأولى رأينا أنَّ ذلك اليوم يُجسد فعلاً (الانطلاقة الجهادية) الكبرى والمُعلنة لحركة الجهاد الإسلامي، السادس من اكتوبر لا يُلغي ما سبقه من جهاد وكفاح مارسته الحركة؛ بل يؤكده ويستحضره" [46].

3- الجهاد المسلح.. مرحلة التسوية

"عندما بدأت شعلة الانتفاضة تخبو في ظل هجوم مشروع التسوية، تصاعد دور الحركة المشهود في تقديم المبادرة الجهادية المتميزة بالعمليات الاستشهادية النوعية (التي كان يقوم بها جهازها العسكري القوى الإسلامية المجاهدة -قسم).. فتلقت الحركة ضربات مُتتالية من العدو بتصفية عدد من قيادات الحركة السياسية والعسكرية مثل الشهيد هاني عابد والشهيد محمود الخواجا، لكن الحدث الأخطر والأكثر إيلاماً كان فاجعة اغتيال القائد والمؤسس الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي على يد الموساد الإسرائيلي بتاريخ 26- 10- 1995م... في هذا الطور انصبت جهود الحركة في جزء كبير منها على تنظيم شأنها الداخلي وترتيب أمرها بما يعينها على الثبات ومواصلة الطريق والنهج الذي خطه الشهيد والمؤسس"[47] .

---

[45] - المرجع السابق

[46] - كلمة غير منشورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 30-10-2009م

[47] - مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م

المبحث الثالث: حركة الجهاد الإسلامي.. ضرورة وإضافة

أولا: (الجهاد الإسلامي).. ضرورة وطنية وإسلامية

"حركة الجهاد الإسلامي عندما نشأت كانت ضرورة وطنية وضرورة إسلامية... وكانت حاجة فلسطينية بالدرجة الأولى، أي أنها تنظيم فلسطيني نشأ على خلفية اجتهاد وقناعة الطليعة المؤسسة لقتال المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، أي إنها ليست امتداداً لأي تنظيم خارج فلسطين، كما أنَّ نشأة حركة الجهاد لم تكن مجرد ردة فعل على خلفية غياب الدور الجهادي لدى الآخرين، أي أنَّ هذا هو السبب الوحيد لوجودها ويزول السبب بزوال مبرر وجودها نتيجة لصحوة الآخرين وقيامهم بدور جهادي، المسألة ليست هكذا، نشأة الحركة كانت نتيجة وعي الطليعة المؤسسة بهذا الصراع وتاريخه وطبيعته ومضامينه وأدواته وحاضره ومستقبله، وهذا الصراع ليس جامداً عند نقطة معينة، بل إنَّ تغيرات هائلة صاحبته في كل أبعاده، وقد اثبت حركة الجهاد في مختلف المراحل أنها قادرة على قيادة الظروف في المنعطفات الخطرة والتأثير فيها وتوجيهها نحو التمسك بثوابت القضية، الأمر الذي ولّد باستمرار مبررات جديدة تثبت أن حركة الجهاد ما زالت أكثر من أي وقتٍ مضى ضرورة وطنية؛ وضرورة إسلامية، وضرورة جهادية، وضرورة إنسانية إبداعية تُدلل على قدرة المجتمع الفلسطيني التي لا تنتهي" [48].

ثانيا: (الجهاد الإسلامي).. إضافة وطنية وإسلامية

1- إضافة إسلامية: "على صعيد الحركة الإسلامية في الساحة الفلسطينية... قبل وجود الحركة لم يكن الكفاح المسلح جزءاً من برنامج الحركة الإسلامية في فلسطين... فالحركة رفعت شعار (التربية من خلال المواجهة)، وليس (التربية من أجل الجهاد)، فالعدو لا ينتظرنا... فالجهاد طريق الهداية، والهداية طريق الجهاد، كما قال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"[49].

2- إضافة وطنية: " وعلى الصعيد الوطني كان الإسلام مغيّباً، وكان هناك استشهاد بأيديولوجيات وتجارب ومناهج نضالية في العالم، إلاّ التجربة الإسلامية التاريخية التي كانت رصيد هذه الأمة ومبعث وجودها وهويتها في مواجهة كل الغزاة، الإسلام كان مهمشاً، ولم يكن له في فكر وممارسة المشروع الوطني الفلسطيني أي دور. هنا مزجت حركة الجهاد الإسلامي الإسلام بفلسطين، وكان رأس الحربة لهذين الركنين في مشروعها هو الجهاد، والجهاد المسلح فالحركة توليفة من: الإسلام وفلسطين والجهاد" [50].

---

[48] - مقابلة مع موقع (وكالة فلسطين اليوم)، 21-5-2004م

[49] - مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية - برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م

[50] - المرجع السابق

المبحث الرابع: حركة الجهاد الإسلامي .. ميلاد وبرنامج

أولاً (الجهاد الإسلامي).. ميلاد مُتجدد

" إنَّ العدو عندما اغتال القائد المؤسس الشهيد فتحي الشقاقي - رحمه الله- كان يظن أنه سيُنهي بذلك حركة الجهاد ويمحوها من الوجود.. بفضل الله وتوفيقه فإنَّ مسيرة (21) سنة من الجهاد والعطاء والتضحيات منذ غياب الشقاقي، وبكل تواضع تثبت لهذا العدو كم كان مُخطئاً في حساباته عندما اغتال الشقاقي... إنَّ الحفاظ على هذه المسيرة المباركة... ومن أجل أن تولد مُجدداً قوية متينة في كل لحظة وفي كل محطة وكل مرحلة كما يقول الشعار (ميلادنا المُتجدد)، فإنَّ هذا يتطلب تواصل الأجيال وإعطاء الفرصة للجيل الجديد، جيل انتفاضة القدس، جيل أُسامة بن زيد"[51] .

ثانياً: (الجهاد الإسلامي).. برنامج مقاومة

"برنامج الجهاد الإسلامي يرتكز على نقطتين في هذه المرحلة (1996م) النقطة الأولى: هي في التصدي لمشاريع تصفية القضية الفلسطينية من خلال تبصير الشعب والأمة لخطورة هذه المشاريع وعدم الانخراط فيها بأي حال من الأحوال. والنقطة الثانية: هي مواصلة الكفاح المسلح وتصعيد العمل العسكري باعتباره الطريقة الوحيدة التي يُمكن أن تُسبب آلاماً للعدو وتكبده خسائر في معركتنا الشرسة معه، والذي سيُحرر فلسطين ليس حركة الجهاد بمفردها ولا الجبهة الشعبية أو أي تنظيم فلسطيني لأنَّ فلسطين قضية الأمة، والذي سيُحررها هي الأمة بأسرها عندما تنهض وتخوض حرب التحرير" [52].

[51] - كلمة غير منشورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 21-10-2016م

[52] - مقابلة مع مجلة الهدف، 26-5-1996م

مصادر الفصل الثالث

1- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
2- مقابلة مع جريدة (الشرق) القطرية، 23-3—2008م
3- مقابلة مع قناة (العربية) برنامج (بالعربي) 15-5-2004م
4- مقابلة مع موقع (إسلام أون لاين) 12-11-2001م
5- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
6- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
7- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
8- كلمة غير منشــورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة، 30-10-2009م
9- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (33)، 1999م
10- مقابلة مع موقع (وكالة فلسطين اليوم)،21-5-2004م
11- مقابلــة مع قناة (أبوظبي) الفضائية-برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م
12- مقابلــة مع قناة (أبو ظبي) الفضائية-برنامج بدون مقدمات،13-4-2001م
13- كلمة غير منشــورة في مهرجان الانطلاقة الجهادية للحركة،21-10-2016م
14- مقابلة مع مجلة (الهدف)،26-5-1996م

فلسطين بين مشروعين

الفصل الأول: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر

المبحث الأول: فلســطين قضية الأمة المركزية.. لماذا وكيف؟

أولاً: فلسطين قضية الأمة المركزية.. لماذا؟

في ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشــق تحت عنوان (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر) قال الدكتور الراحل رمضان عبد الله شلّح ما يلي:[53]

"الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي -رحمه الله -كان هو أول من طرح أنَّ القضية الفلسطينية هي قضية مركزية للحركة الإســلامية في أول الثمانينات... وتم تجســيد هذا الشــعار عملياً لدى الحركة الإسلامية الفلسطينية بالجهاد في فلســطين... وهذا الشعار استراتيجي ينطلق من الأبعاد العقائدية والتاريخية والواقعية، كما يلي:

1- البُعد العقائدي

"حيث الفهم المنهجي للإســلام كعقيدة وشريعة ومنهج حياة، واستناداً إلى القرآن الكريم والسُنّة الصحيحة، نقطة البدء في اكتشــاف موقع فلسطين كآية من الكتاب ومركز للصراع الكوني بين تمام الحق وتمام الباطل، لقد جعلت الحركة الإســلامية من ســورة الإسراء التي تُسمى سورة (بني إســرائيل) ورداً يومياً في خطابها السياســي والتعبوي، والســورة تحكي قصة أهم إفســادين وعلوين لبني إســرائيل في التاريخ، ونحن نأخذ باجتهاد بعض المُفسّــرين القائل بوقوع هذين الإفســادين بعد مجيء رسالة الإسلام، وليس سابقاً لها كما قال بعض المُفســرين القُدامى، بمعنى أننا نعيش مرحلة رد الكرة لليهود علينا كأمة الإسلام، وأنَّ الجولة القادمة هي جولة فاصلة بين المسلمين واليهود.

2- البُعد التاريخي

الصراع في فلســطين غير منفصل عن الدور اليهودي في التاريخ، والمقابلة واســتبدال الأدوار بين الظاهرة الإســرائيلية والظاهرة الإســلامية، بين اليهود الذين انتزع الله منهم المُلك والنبّوة عندما حُمّلوا التوراة ولم يحملوها، وبين المسلمين والعرب الذين حُمّلوا القرآن فحملوه في عصور ازدهارهم، والصراع مع الاستعمار الغربي بعدما حلَّ باليهود من اضطهاد انتج المســألة اليهودية... والصراع في سياق مواجهة التحدي الغربي الحديــث للامة ومركزيته زرع الكيان الصهيوني في قلبها فلســطين، إضافة للتجزئة والتغريب وتدمير العقل المسلم والهوية الإسلامية.

---

[53]- ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشــق؛ عنوانها: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر،5-3-2000م

3- البُعد الواقعي

ويشـــمل ما تمثله إسرائيل من خطر يومي ومباشر على الشـــعب الفلسطيني، وبالتهديد للعرب والمسلمين بل وكل المســـتضعفين في العالم، عبر علاقتهـــا بالنظام الدولي والأخطبوط الرأســـمالي الكوني الذي يتحكم في العالم بقيادة رأس الإمبريالية أمريكيا.

ضمن هذا المنظور الثلاثي الأبعاد -العقائدي والتاريخي والواقعي-ترى الحركة الإسلامية أنَّ صراع الأمة مع التحالـــف الغربي الصهيوني على فلســـطين ليـــس صراعاً على الأرض أو الثروات أو الموقع الاســـتراتيجي فحســـب، بل هو صراع حضاري شامل يمس كينونة الأمة ووجودها وهويتها ومستقبلها.

ثانياً: فلسطين قضية الأمة المركزية.. كيف؟

يؤمن رمضان شلّح برؤية فتحي الشقاقي الخاصة بمركزية القضية الفلسطينية، وقد أجاب على سؤال (لماذا) في السطور السابقة، ويترتب على ذلك أهمية الإجابة على سؤال (كيف)، والذي يتلّخص برؤية الشقاقي التي يؤمن بها شـــلّح بأنَّ مهمة تحرير فلســـطين هي مهمة كل الأمة الإسلامية أو القوى الحية فيها، وأنَّ مشروع تحرير فلســـطين مرتبط عضوياً بمشـــروع نهضة الأمة، فكل من التحرير والنهضة، تحرير فلسطين ونهضة الأمة بتخليصهـــا من التبعية والتخلّف والتفرق... متكاملان وأحدهما يؤدي إلى الآخر، وغياب أحدهما يؤدي إلى غياب الآخر، ويبقى دور المجاهدين في فلســـطين هو مُشاغلة الاحتلال وإبقاء جذوة الجهاد مشتعلة ونار المقاومة موقدة، ويؤكد شلّح على ذلك بقوله:

"الصراع مع إســـرائيل صراع وجود وليس صراع حدود، المشروع الصهيوني استعمار استيطاني إحلالي، استعمار غازي لأمة وشعب، وعنوان المقاومة فيه هو الأمة والشعب... الحل في المقاومة الشعبية، أنْ يبرز دور الشـــعب والقوى الشـــعبية في المقاومة دون أن نطلق اســـم الحرب عليها كما هو فـــي (حرب التحرير الشـــعبية)، وبالمقاومة الشـــعبية نستطيع أنْ نسحب العدو إلى المربع الذي نريده إلى نقطة ضعفه ونسلبه في حـــرب فدائية القدرة على اســـتخدام ســـلاحه المتطور والنـــووي، ويبقى دور الجيوش النظامية في إســـناد المقاومة" [54].

[54]- محاضرة بعنوان (مســـتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج المساومة)، 22-11-1998م

المبحث الثاني: القدس مركز الصراع الكوني

أولاً: القدس مركز الصراع الكوني.. شهادة القرآن والتاريخ

في مقابلة مع صحيفة (العربي) التي تصدر في (الناصرة) بفلسطين المُحتلة عام النكبة الأولى يوضح رمضان شلّح مركزية (القدس) في الصراع بين مشروعي الحق والباطل في الكون فيقول: [55]

1- شهادة القرآن:

"القدس في وجداننا العربي الإسلامي آية من القرآن الكريم، منْ فرّط فيها فرط في القرآن، إنَّ موقع القدس كأولى القبلتين وثالث الحرمين، والربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في حادثة الإسراء والمعراج هذا استكمال للدائرة الإيمانية الإسلامية، فالقدس محطة عروج النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى السماء في الرحلة التي فُرضت فيها الصلاة، فهي إذن اللحظة الجغرافية الرمزية لعنوان الصلة بالله، كما جسّدت إمامة النبي وصلاته بالأنبياء في المسجد الاقصى ليلة الإسراء إمامة وقيادة الأمة الإسلامية العالمية للأم المُقدسة لنهج الحق في مواجهة الباطل، ولذلك كان فتح القدس على أيدي المسلمين بقيادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وتحريرها من الاستعمار الروماني يشبه تماماً تحرير مكة من المشركين الوثنيين".

2- شهادة التاريخ:

"والقدس بموقعها الجغرافي الحساس لعبت دوراً أساسياً في تاريخ الصراع بين المسلمين والغزاة في كافة الموجات الاستعمارية القديمة والحديثة، فالذي يحتل القدس يشرخ العالم الإسلامي ويضع يده على سُرة الجغرافيا الإسلامية، لذلك فإنَّ الاحتلال الصهيوني للقدس وفلسطين هو احتلال لقلب العالم الإسلامي وضربة قاصمة للأمة كلها... القدس مركز الصراع الكوني اليوم بين قوى الحق والإيمان والإسلام من جهة وبين قوى الشر والباطل والوثنية المعاصرة من جهة أخرى... وهذا ينعكس في الانحياز الصليبي الغربي لاسيما الأمريكي الأعمى للاستعمار الصهيوني لفلسطين كلها وليس للقدس فقط.. فلسطين كلها أرض مُقدّسة ومُباركة كما وصفها القرآن الكريم".

ثانياً: القدس مركز الصراع الكوني .. خطر السقوط وضرورة التحرير

1- خطر سقوط القدس وتهويدها:

أ- خطر سقوط القدس:

" ما من يوم تطلع عليه الشمس التي مات تمثالها في (رودس)، التي شطرت هدنتها القدس عام 1948م إلاّ وتتأكد صحة كلمات توفيق الطيب عن سقوط القدس في حزيران عام 1967م،

---

[55]- مقابلة مع صحيفة (العربي) الناصرية، 7-6-1996م

لقد اعتبره أخطر من سقوط (القدس) على يد الصليبين في المشرق، وأخطر من سقوط (قُرطبة) على أيديهم في المغرب، وأخطر من سقوط (بغداد) على يد التتار.. خطاب رابين لا يزيف الوعي الإنساني للتاريخ فقط، بل يفترسه ويقول للعالم كله: الآن يدخل التاريخ كله بيت الطاعة اليهودي.. خطاب رابين هو صك تأليه الإسرائيلي وتفّوقه على العالم كله، تفوّق اليهودي على الجنس البشرى في العقيدة اليهودية" [56].

ب-خطر تهويد القدس:

"إذا قُدّر لإسرائيل أنْ تُحقق أهدافها بابتلاع وتهويد القدس فستفتح طريقها وتفرض هيمنتها على كل عواصم الأمة، على اسطنبول وأنقرة والقاهرة ودمشق وعمان والرياض وكل العواصم، بل إنَّ طريقها ستُفتح إلى مكة والمدينة، ولنْ يمر وقت طويل حتى يُطالب اليهود بضم خيبر وبني النضير وغيرها من المستوطنات القديمة في أرض الحرمين إلى إقامة التراث اليهودي، كما فعلوا بالمسجد الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال في بيت لحم، وكما ستفعل في المسجد الأقصى إنْ بقينا على هذا الحال" [57].

2- ضرورة تحرير القدس:

أكد رمضان شلّح على ضرورة وأهمية تحرير القدس وفلسطين مُتخذاً من مناسبة (يوم القدس العالمي) فرصةً لذلك، ومما جاء في كلمته بهذه المناسبة في دمشق: [58]

أ- يوم القدس هو مناسبة عالمية عنوانها القدس، لما تُمثله القدس في موازين الصراع بين الحق والباطل، وبين الظلم والعدل، فإنَّ يوم القدس هو يوم لكل أنصار الحق والعدل من أحرار العالم، فهو يوم عالمي من أجل القدس وفلسطين .. وهو يوم من أجل أن تبقى القدس حية متوّهجة لا تُقتل ولا تُنسى في ذاكرة المسلمين والعرب.

ب- إننا نُحيي يوم القدس من أجل أن تبقى القدس حية في القلب وفي الضمائر، وفي العقل والوعي والوجدان، أمّا على الأرض فبكل أسف وأسى لم يبق هناك قدس نحتفل بها، لقد ابتلعها الكيان الصهيوني بمخططات التهويد والاستيطان، وبمصادرة الأراضي وهدم البيوت وتهجير أهلها وجلب المستوطنين داخلها.

ج-إنّ طريق تحرير القدس وفلسطين معروف وجربته الأمة على مدار تاريخها في مواجهة كل الغزاة والطامعين فيها وفي أرضها.. وهو طريق الجهاد في سبيل الله، ومقاومة الغزاة والغاصبين المحتلين.. وليس طريق المفاوضات الذي جربناه، وثبت فشله، وطريق التحرير هو طريق الوحدة.. الوحدة الوطنية والعربية والإسلامية.

---

[56]- مقال في صحيفة (الاستقلال) زاوية (مرايا) 8-9-1995م

[57] - كلمة في مهرجان التضامن مع القدس، اسطنبول 4-4-2010م

[58] - كلمة في يوم القدس العالمي، دمشق،25-3-2008م

مصادر الفصل الأول

1- ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشـــق؛ عنوانها: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر،5-3-2000م
2- محاضرة بعنوان (مســـتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج المساومة)،22-11-1998م
3- مقابلة مع صحيفة (العربي) الناصرية، 7-6-1996م
4- مقال في صحيفة (الاستقلال) زاوية (مرايا) 8-9-1995م
5- كلمة في مهرجان التضامن مع القدس، اســـطنبول 4-4-2010م
6- كلمة في يوم القدس العالمي، دمشق،25-3-2008م

الفصل الثاني: فلسطين في المشروع النقيض (إسرائيل)

المبحث الأول: إسرائيل ظاهرة يهودية واستعمارية وأمريكية

أولاً: اسرائيل ظاهرة يهودية:

"إنَّ القرآن الكريم عندما تحدث عن اليهود قال إنهم موجودون إلى يوم القيامة ولن ينقرضوا، "وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ"، وهم اليهود الموجودون في فلسطين والعالم الذين يدعمون إسرائيل "وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا"، وهم الذين سيعودون إلى فلسطين " اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا"، هذه الآية تتحدث عن مجيئهم لإقامة إسرائيل في هذا العصر، فعليه فإن إسرائيل هي ظاهرة يهودية، بل هي التعبير الصارخ والأقوى في التاريخ عن هذه الظاهرة"[59] .

ثانياً: إسرائيل ظاهرة استعمارية:

"وإسرائيل ظاهرة استعمارية كذلك.. والقصة لم تبدأ بوعد بلفور، نابليون الذي كان غزوه لمصر عام 1798م بداية الهجمة الغربية الصليبية الحديثة ضد أمتنا وعد اليهود بوطن لهم في فلسطين ... كما أنَّ التحالف الذي أنشأ (المسيحية الصهيونية) التي تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسطين كبداية لعودة المسيح المُخلّص والألفية المسيحية السعيدة، المسيحية الصهيونية التي بادرت بالدعوة للمشروع الصهيوني وما زالت تدعم الكيان الصهيوني بالمال والسلاح والسياسة، وبناءً على كون إسرائيل ظاهرة يهودية واستعمارية فهي كيان وظيفي يقوم بتحقيق أهداف سياسية واستراتيجية في الصراع الحضاري الغربي ضد أمتنا، أهمها:

1- التخلّص من اليهود وحل المشكلة اليهودية في أوروبا
2- السيطرة على الموقع الاستراتيجي لفلسطين بين القارات
3- خلق حاجز جغرافي بشري بين مصر وشمال أفريقيا من جهة وعمقها العربي في آسيا
4- تكريس التجزئة والانقسام والحيلولة دون تحقيق وحدة الأمة
5- تحقيق وحماية المصالح الغربية في المنطقة[60]

ثالثاً: إسرائيل ظاهرة أمريكية:

"إسرائيل جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي البروتستانتي الأمريكي، وهي قوة غربية حضارياً، ومصلحة أمنية استراتيجية أمريكية في قلب الوطن الإسلامي، يجب أنْ لا يغيب عن أذهاننا لحظة أنَّ أمريكيا ترى في إسرائيل طفولتها، حيث أنها قامت بنفس الطريقة وبمصدر إلهام واحد هو النص التوراتي،فالبروتستانتية

[59]- مقابلة مع مركز (باحث)،8-5-2008م
[60] -المرجع السابق

الأمريكية بررت للمستوطنين البيض الأنجلوساكسون في العالم الجديد (أمريكا) باعتبارهم شعب الله المختار باستعارة توراتية إبادة (الهنود الحمر) السكان الأصليين وإقامة المستوطنة القارة على أنقاضهم، بعد نجاح التجربة هناك تم قيام دولة (إسرائيل) على أنقاض شعب حاولوا تعميم تجربة الهنود الحمر عليه، أصبح العقل الأمريكي يتعامل مع هذه التجربة باعتبارها امتداد لتجربته، وعليه فإنَّ أي تشكيك في شرعية وجود إسرائيل أو المساس بها هو تشكيك ومساس بوجود أمريكا نفسها" [61].

رابعاً: موقع (إسرائيل) في المشروع الغربي الاستعماري

حدد رمضان شلّح موقع اسرائيل في المشروع الغربي الاستعماري من خلال قراءة التفاعل بين الأبعاد الثلاثة للظاهرة الإسرائيلية -اليهودية والاستعمارية والأمريكية - في محاضرة له بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) يمكن اختصارها بما يلي:

1- إنَّ اغتصاب فلسطين كان الصيغة الغربية الجديدة لحل المسألة اليهودية بعد فشل (الحل النازي) بإبادة اليهود... واستخدمت الحركة الصهيونية اسلوب طرد وتهجير سكان فلسطين الأصليين بدل الإبادة.

2- لقد عكس خروج اليهود من أوروبا لاحتلال فلسطين دوراً بارزاً للمسيحية الغربية بشقيها الكاثوليكي والبروتستانتي في إقامة الدولة اليهودية، فالكاثوليكية على قاعدة الكراهية، والبروتستانتية على قاعدة اعتبارهم أداة لخلاص العالم الذي لن يتحقق إلاّ بعودة اليهود إلى (أرض الميعاد).

3- استخدمت الصهيونية الدين كأهم عنصر للتعبئة الصهيونية، فخلعت القداسة على المشروع الصهيوني أرضاً (أرض الميعاد)، وشعباً (شعب الله المختار)، فكانت الدولة اليهودية وطناً منحه الرب ليهود العالم.

4- أراد الغرب أن يحصل على صك غفران من الحركة الصهيونية بشأن مأساة اليهود والمذابح التي تعرضوا لها في أوروبا، لقد اشترى الضمير الغربي صك غفرانه بصك غفران منحه مُقدّماً للمشروع الصهيوني عن كل الجرائم التي سترتكب بحق الشعب الفلسطيني.

5- لقد انتقل مركز الثقل الغربي في دعم الكيان الصهيوني منذ نشأته إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، فأصبحت هي التي توفر الحماية المباشرة لإسرائيل.

6- رأى الغرب في الكيان الصهيوني بتكونيه العقائدي والفلسفي امتداداً للغرب ورأس حربة له في قلب العالم الإسلامي على كل المستويات: الدينية والحضارية والاستعمارية والاقتصادية.

7- كان زرع الكيان الصهيوني في فلسطين أحد ثلاث حلقات مركزية استكمل بها الغرب هجمته على الوطن الإسلامي، والحلقة الثانية هي في اتفاقية (سايكس بيكو) لضرب وحدة الأمة التاريخية. والحلقة الثالثة هي تدمير هوية الأمة وشخصيتها الحضارية من خلال الغزو الثقافي الغربي لعقول أبناء الأمة.

---

[61] - مقابلة مع جريدة (الاستقلال)، غزة، 3-2-1995م

[62] - محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية)، 1999م

خامساً: وظيفة (اسرائيل) في المشروع الغربي الاستعماري

قراءة رمضان شـلّح لطبيعة إسرائيل كظاهرة يهودية واسـتعمارية وأمريكية وقراءته لرؤية فتحي الشقاقي حول علاقة إسـرائيل بالغرب جعلته يُحدد وظيفة إسرائيل في المشروع الغربي الاستعماري كما يلي: [63]

" إنَّ بريطانيا صاحبة وعد بلفور والانتداب تتحمل الوزر الأكبر في جريمة قيام الدولة اليهودية على أنقاض فلسـطين، وإنَّ أمريكا هي المسـئولة عن دعم الدولة اليهودية وبناء قوتها الاستراتيجية وتحويلها إلى قوة عُظمـى إقليمية فـي المنطقة. إنَّ الدعـم الغربي للمشـروع الصهيوني لم يكن فقط نابعاً مـن رغبة الغرب (المسيحي) في التخلص من المسألة اليهودية أو التكفير عن ذنوبه في اضطهاد اليهود، بل عن حاجة الغرب لإسرائيل كرأس حربة وأداة عدوان لضمان مصالح الغرب الاستراتيجية، وإحكام السيطرة عليها دون عائق، إنَّ إسـرائيل بالنسـبة لأمريكا هي العصا الغليظة في وجه العرب والمسـلمين، وأداة الإخضاع والسـيطرة والهيمنـة الأمريكيـة علـى المنطقة. من هنا فإننـا نقول إنَّ نجاح المشـروع الصهيونـي كان ثمرة خطة اسـتراتيجية واضحة قامت على التحالف الاستراتيجي والشـراكة المصيرية بين اليهود والاستعمار الغربي، الذي كانت الحركة الصهيونية أحد أهم أشـكاله وأجنحته في العالم".

[63] - مقابلة مع صحيفة (الاتحاد)، 12-4-2002م

المبحث الثاني: طبيعة ومستقبل الصراع بين المشروعين

أولاً: طبيعة الصراع بين المشروعين : الإسلامي والغربي

1- ابعاد الصراع:

انتقد رمضان شلّح قراءة الاتجاه العلماني العربي بألوانه المختلفة للصراع باعتباره ضد الإمبريالية الرأسمالية الغربية، ورأى فيه طمساً لمركزية فلسطين في الصراع التاريخي بين الأمة والغرب، واستبعاداً للأبعاد الدينية والحضارية والتاريخية للصراع، ويرى ضرورة استحضار القرآن الكريم كمرجعية في قراءة حركة بني إسرائيل والظاهرة الإسرائيلية في كل مراحل نموها. ويرى " إنَّ الصراع مع دولة بني إسرائيل في فلسطين هو من صميم الفلسفة التأسيسية للمشروع الحضاري الإسلامي، يجب أنْ تكون فلسطين هي مركز الصراع الكوني ونقطة صدام الأمة الإسلامية التاريخي ضد حضارة نهج الشرك التي تستهدف التوحيد في صراع مفتوح إلى يوم القيامة... فالصراع على فلسطين في المنظور الإسلامي ليس صراعاً على الأرض أو الثروات أو الموقع الاستراتيجي فحسب، بل هو صراع حضاري شامل له جوانبه وأبعاده العقدية والثقافية والاستراتيجية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، هذه الأبعاد هي منشأ فكرة مركزية فلسطين في الصراع الاستراتيجي والإقليمي والدولي والحضاري الراهن" .

2- أطراف الصراع:

يرى شلّح أنَّ القراءة الخاطئة لطبيعة الصراع بين الغرب والأمة الإسلامية بدد عقوداً من التضحيات والتكاليف حتى افصحت الاستراتيجية الغربية بقيادة أمريكا عن نفسها بعد انتهاء الحرب الباردة، واعلنت الإسلام عدواً للغرب، وأنّه الخطر الذي يتهدد المصالح الغربية في المنطقة وعلى رأسها إسرائيل.. كما استبعدت تلك القراءة الخاطئة مئات ملايين المسلمين من غير العرب من الصراع باعتباره صراعاً عربياً -إسرائيلياً، ثم فلسطينياً - إسرائيلياً .. كما أخطأت تلك القراءة في تحديد معسكر الأعداء... فلابد من العودة إلى تحديد القضية الفلسطينية كقضية إسلامية أولا، وعربية ثانياً، وفلسطينية أخيراً، حيث الأمة كلها في مواجهة التحدي الغربي ورأس حربته الكيان الصهيوني" .

3- طبيعة الصراع:

"الحركة الإسلامية لا تخوض حرباً ديناً ضد اليهود، وإسرائيل هي التي قامت على النزعة الدينية والأساطير التوراتية، مشروعنا هو مشروع مقاومة وتحرر من الاستعمار الأجنبي تحت راية الإسلام... والصراع بيننا وبين إسرائيل هو صراع حضاري شامل ...

---

[64]- محاضرة بعنوان (الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية)، 1999م

[65]- _____

إســرائيل هي رأس حربة للمشروع الاستعماري الغربي في الشرق العربي والإسلامي، وهي قاعدة المصالح الغربية، وهذا كان على حســاب الشــعب الفلســطيني بالدرجة الأولــى... البُعد الوطنــي حاضر في القضية الفلســطينية جنباً إلى جنب مع البُعد الديني، ولكن المعركة بشــمولها معركة حضارية، الإسلام له دور ريادي لهــا كدين يقدم المحفزات الروحية وككتلة بشــرية حضارية لها وزنها وثقلها في الميزان الدولي، وتشــمل المســلم وغير المســلم في الأمة، والمســيحيون فــي بلادنا هم جزء من الكتلة الإســلامية فــي المواجهة الحضارية، هم مســلمون حضارة وثقافة، مسيحيون عقيدة" [66].

4- إدارة الصراع:

"تــم التعامل مع المشــروع الصهيوني من خلال نهجين رئيســيين همــا: نهج الرفــض والمقاومة للكيان الصهيونــي من خلال الحروب العربية ضــده، وكانت ذروته في مؤتمر الخرطوم عام 1967م والمشــهور بلاءاتــه الثلاث (لا اعتراف.. لا مفاوضات.. لا صلح) مع إســرائيل، ومازال هذا النهج مُجســداً في حركات المقاومة العربية. ونهج التســوية الســلمية الذي بــدأت إرهاصاته بعد هزيمة عــام 1967م وقبول العرب بقرارات الأمم المتحدة المُعترفة بشــرعية إســرائيل، وقبول مصر بمشروع (روجزر) عام 1989م، وصولاً إلى توقيع الســادات لاتفاقيات كامب ديفيد فاتفاقيات أوسلو ووادي عربة وغيرها" [67].

ثانياً : مســتقبل الصراع بين المشروعين : الإسلامي والغربي

1- مستقبل الصراع هو مستقبل فلسطين:

"إنَّ مستقبل الصراع على فلسطين هو مستقبل الصراع على الإسلام في المنطقة والعالم. فإسرائيل هي رأس الحربــة الأمريكية في هذا الصراع ... ومســتقبل الصراع يتحدد بمحــددات موضوعية مختلفة يتوقف عليها مستقبل الصراع وفلسطين، ومنها:

أ- الإمكانات الأيديولوجية والعقدية التي تملكها الأمة خاصة روح الجهاد التي لا تسقط حتى لو سقطت الآن.

ب- العامل التقني والقوة، وهي لصالح إسرائيل، فلابد من بناء القوة الإسلامية لمواجهة التحدي الإسرائيلي.

ج- العامل الديموغرافي، وهو لصالح العرب والمسلمين والفلسطينيين وفي اللحظة التي تستطيع الأمة تحييد القنبلة النووية الإســرائيلية، فإنَّ ذلك سيُساهم في حسم الصراع لصالحها.

د- العامل الدولي أُحادي القطب، وميزان القوى الذي أفرزته ليست مسألة ثابتة في التاريخ، فهو قابل للتغيير وســيتغير، ففلسطين لن تكون أندلس ثانية، بل إنَّ إســرائيل المملكة الصليبية الجديدة هي التي ستمحى من الوجود طال الزمان أم قصر" [68].

---

[66]- مقابلة مع جريدة (المستقلة)، 13-5-1996م

[67]- محاضرة بعنوان (الإســلام والأمة الإســلامية في القرن القــادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشــر للوحدة الإسلامية)، 1999م

[68]- المرجع السابق

2- (إسرائيل) تواجه الخطر الوجودي:

"إسرائيل اليوم (2008) ليست هي إسرائيل الفتية التي بلغت قوتها في الحرب والتوسع الذروة عام 1967 م... إســرائيل اليوم هي إسرائيل العجوز التي تُعاني من عقدة الصمود الفلسطينية والوجود الفلسطيني الذي يشعرها بأزمة وجودها... إسرائيل التي تعيش على الدعم الخارجي وموازين القوى الخارجية أكثر من قوتها الذاتية... إنَّ إســرائيل في عقل ســكانها ومؤيديها دخلت مرحلة الخطر الوجودي، وتُعاني من مأزق تاريخي عميق لأنها غير قادرة على دفع ثمن السلم والاندماج في المنطقة، ولم تعد قادرة على تحمل ثمن الحرب بعد حــرب تموز عام 2006، التي أصبحت مختلفة عن حربها الســابقة... وأمام هــذا المأزق الوجودي أصبح الســؤال الكبير المطروح في إســرائيل ولدى حلفائها في العالم اليوم: ما هو مصير اســرائيل؟، إنَّ إجابتنا الواثقة على هذا الســؤال أنها ســتواجه ذات المصيــر الذي واجهته الدول والكيانــات الغربية التي زرعتها حروب الفرنجة أو الحروب الصليبية في بلادنا أي أنها ســتزول كما زال أولئك الغرباء" [69].

3- حتمية زوال (إسرائيل):

" بكل المعطيات القرآنية والتاريخية والموضوعية والواقعية أؤكد وأجزم بأنَّ إسرائيل لا مستقبل لها في هذه المنطقــة، وأنَّ مصيرها إلى الزوال المحتوم، وهذه ليســت مجرد أمنيات، بل هــذه قراءتنا للواقع والتاريخ والقرآن... فكل المعطيات تؤكد أنَّ إسرائيل إلى زوال، بل أجزم أنه في الخمسين عاماً القادمة (1998م) لن يكون هناك شــيء على خريطة المنطقة اسمه (إســرائيل)، وهذه حقيقة لا نُخطئ بها مطلقاً، إسرائيل عاشت منذ وجودها على هذه الأرض كجســم غريب ترفضه المنطقة وتلفظه، عاشــت بعقلية القلعة المتمرسة خلف خزان من الســلاح النووي، لأنها تعرف أنَّ الجسم المحيط الكبير لا يقبلها، وهي حاولت أن تخرج تحت ستار ما يُســمى بالتسوية والسلام من أسوار القلعة تنتشــر في جسم المنطقة... ولكن طبيعة المشروع الصهيوني والعقيدة الصهيونية عادت بالكيان الصهيوني إلى أســوار القلعة.

إسرائيل سوف تواجه مصير كل الكيانات الغريبة التي توجد في محيط مغاير لها ولا تتجانس ولا تطابق معه، الممالــك الصليبيــة بقيت في هذه المنطقة (200) عام ثم رحلت وتفككت، وهذا ينطبق على إســرائيل عندما يضغط المحيط البشري الإسلامي والعربي على هذه القلعة، وعندما تستطيع الأمة أنْ تحقق نوعاً من التوازن في القوة المادية وبالذات عندما يســقط السلاح النووي الذي يُعتبر صمام أمان إسرائيل" [70].

---

[69] - مقابلة مع مركز (باحث)،8-5-2008م

[70] - المرجع السابق

مصادر الفصل الثاني

1- مقابلة مع مركز (باحث)،8-5-2008م
2- مقابلة مع مركز (باحث)،8-5-2008م
3- مقابلة مع جريدة (الاستقلال)، غزة،3-2-1995م
4- محاضرة بعنوان (الإســـلام والأمة الإســـلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشـــر للوحدة الإسلامية)، 1999م
5- مقابلة مع صحيفة (الاتحاد)،12-4-2002م
6- محاضرة بعنوان (الإســـلام والأمة الإســـلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشـــر للوحدة الإسلامية)، 1999م
7- محاضرة بعنوان (الإســـلام والأمة الإســـلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشـــر للوحدة الإسلامية)، 1999م
8- مقابلة مع جريدة (المستقلة)، 13-5-1996م
9- محاضرة بعنوان (الإســـلام والأمة الإســـلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشـــر للوحدة الإسلامية)، 1999م
10- محاضرة بعنوان (الإســـلام والأمة الإسلامية في القرن القادم) أُلقيت في المؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية)، 1999م
11- مقابلة مع مركز (باحث)،8-5-2008م
12- مقابلة مع مركز (باحث)،8-5-2008م

الفصل الثالث: حســم الصراع بين المشروعين بالجهاد والمقاومة

المبحث الأول: الجهاد والمقاومة .. قضايا أساسية

أولاً: دليل عمل الحركة الإســلامية للنهوض بواجب الجهاد والمقاومة

وضع رمضان شــلّح في دراسة بعنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) دليل عمل للحركة الإسلامية للنهــوض بواجب الجهاد والمقاومة يُمكن تلخيص أهم بنوده بالآتي:[71]

1- إنّ هدف تحرير فلســطين كأرض مُغتصبة وتخليصها من براثن الاحتلال هو فريضة إســلامية وحكم شــرعي يندرج تحت (فــرض العين)، كما هــو حكم الصلاة والصيــام وبقية فروض الإيمان في الشــريعة الإسلامية.

2- إنَّ طبيعة العدوان والاحتلال الصهيوني في فلســطيني تؤكد أنَّ وسيلة التحرير وتصفية الاحتلال في فلســطين هي القتال، وحكمه في حالة احتلال العدو لأرض المسلمين كما هو واقع في فلسطين (فرض عين)، قال تعالى:" وَقَاتِلُوا فِي سَــبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ"، " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ".

3- تعيين وسيلة (القتال) كحكم شرعي وفرض عين يعني أنه لا يجوز للحركة الإسلامية الهروب للمعنى الواســع والمطاط للجهاد الذي يســتند إلى المعنى اللغــوي لكلمة (جهاد) وتطرح بدائــل مدنية للقتال تحت مُســميات مختلفة، والتمسك بمفهوم (الجهاد) الشرعي وهو (القتال).

4- في ظل غياب الحاكم المســلم أو الإمام الذي يُعلن (النفير العام) لخوض حرب التحرير، فإنَّ فريضة (القتــال) لا تســقط عن المســلم بوجود الإمــام أو غيابه، بعــد أن تُعيّن عليهم بوقوع العــدوان على أرض المســلمين، وطالما أنَّ الحركة الإسلامية تطرح نفسها كممثل للشرعية الإسلامية في غياب السلطة السياسية الإســلامية، فتقع عليها مسئولية النهوض بواجب القتال واســتنفار وتعبئة جماهير الشعب والأمة لأداء هذه الفريضة (القتال).

5- إذا كان القتال والنهوض بواجبه هو فرض عين على المسلمين، فإنَّ توفير الآلية والأداة التي تُمكن من القتال هو واجب شــرعي وفريضة إســلامية أيضاً عملاً بالقاعدة الشــرعية (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)... فإنَّ واجب الحركة الإســلامية بناء (التنظيم المقاتل) الذي يستوعب طاقات وقدرات الشعب، وينظم فيه المجاهدون لأداء فريضة الجهاد.

6- إنَّ التزام الحركة الإســلامية فريضة (التحرير) و(القتال) و(بناء التنظيم المُقاتل)، ليســت مســألة اختيارية... بل هي من باب التكليف الشرعي الذي يؤثم تاركه فرداً كان أو جماعة ... ويصنفوا مع المُخلفين عن الجهاد " فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُــولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِــهِمْ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ".

---

[71] - دراســة (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) مجلة (المجاهد)، 30-9-2003م

ثانياً : الجهاد والمقاومة - خيار اســتراتيجي بمدأ عقائدي ومشروع تحرير :

1- الجهاد والمقاومة.. خيار استراتيجي:

"إنَّ الجهاد المســلح بالنســبة لنا هو خيار اســتراتيجي غير مرتبط بالظروف المرحلية والعقبات والتحديات التي فرضتها أوســلو، ولقد قامت استراتيجية حركة الجهاد الإســلامي في الكفاح المسلح على مبدأ (توازن الإرادات) بإدامة الاشــتباك مع العدو واســتنزافه، ولقد اســتطاعت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين خلق نوع من (توازن الرعب) يُعوض اختلال موازين القوى، ويجعل من الاستشــهاد قوة ردع تســتند إلى القدرة على ضرب استراتيجية العدو بنقل المعركة إلى قلب العدو عبر الضربات الاستشهادية النوعية والمدّوية التي اســتهدفت شكل أساسي أهداف عســكرية صهيونية كان ذروتها في عملية (بيت ليد) الشهيرة التي قُتل فيها أثنان وعشــرون جندياً صهيونياً وأصيب اكثر من سبعين أخرين"[72] .

2- الجهاد والمقاومة .. مبدأ عقائدي:

أ- "إنَّ أدبيات الثورة الفلســطينية المعاصرة وخاصة في انطلاقتها الأولى أكدت على (الكفاح المســلح) بأنه الطريقة أو الاســلوب الوحيد الذي يُمكن أن يُحرر الأرض ويســتعيد الحقوق، ووصل الكفاح المسلح إلى حد (المقدس الوطني) ... ولكنه تآكل من الاسلوب الوحيد إلى الاسلوب الرئيسي ... وصولاً إلى الممنوع، فانتقل من المقدس الوطني إلى المُحرّم الوطني.

ب- لابد أنْ يدخل (الكفاح المســلح) في إطار (المقدس الديني)، وهو في الدين الإســلامي الركن السادس من أركان الإســلام (الجهاد) وذروة ســنامه. وعندما يُطرح الكفاح كجزء من الدين اسمه (الجهاد) يصعب على النــاس التفريط فيه لأنهم يأثمــون، بخلاف المقدس الوطني الذي يخضع للمصلحة الوطنية المتغيرة حســب المصلحة السياســية التي يُحددها أولو الأمر بدون ضوابط شرعية.

ت- عندما نستحضر مفهوم (الجهاد)، وننادي بإسلامية المعركة فنحن نستحضر الإسلام كعقيدة بما يملك من مخزون روحي هائل وطاقة إيجابية جبارة، تُعين الإنســان ليس علــى الصمود والممانعة فقط، بل تدفعه إلى الانفجار في وجه الانهيار، وهذا ما فعله الاستشــهاديون في فلسطين" [73].

3- الجهاد والمقاومة .. مشروع التحرير:

أ- قامــت (منظمــة التحرير الفلســطينية) كإطار وطني يحمل (المشــروع الوطني الفلســطيني)، مُعبراً عنه بالميثــاق القومــي ثم الميثاق الوطني، الذي رغم اغفاله للبعد الإســلامي للقضية وتحوّله من الإطار القومي إلى الإطار الوطني الضيق، لكننا نؤيد ما جاء فيه من هدف تحرير كل فلســطين بواســطة الكفاح المســلح، ورفض المنظمة لكل مشــاريع التسوية التي تُفرّط بأرض فلسطين أو جزء منها.

---

[72] - محاضرة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)،5-6-2000م

[73] - محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م

ب- بعــد خروج المنظمة من عمان عام 1970م، وطرحها للبرنامج المرحلي (النقاط العشــر) عام 1974م وذهاب ياسر عرفات إلى الأمم المتحدة ... بدأ مُسلسل التنازلات للمنظمة الذي اتضح بعد الخروج من بيروت عــام 1982م، وأوصل المنظمة إلى التوقيع على اتفاقية أوســلو عــام 1993م، فأصبحت المنظمة تختلف جذرياً عن المنظمة الأولى، وأصبحت إطار فارغ فاقد الشــرعية الثورية التي اكتسبتها سابقاً.

ت- المنظمة دور كفاحي، وعندما ينتهي هذا الدور ينتهي الإطار أو يصبح مجرد ديكور فارغ، ولذلك لا قداسة للإطــار بعيداً عن المضمون، فالمهم هو (مشــروع التحريــر) وليس (منظمة التحريــر)، والمهم هو هدف التحرير وليس مُسمى التحرير [74].

[74] - المرجع السابق

المبحث الثاني: الجهاد والمقاومة .. قضايا إشكالية

أولاً: إشكالية حرب التحرير الشعبية:

1- الصراع مع إســرائيل صراع وجود وليس صراع حدود، المشــروع الصهيوني اســتعمار استيطاني إحلالي، اســتعمار غازي لأمة وشــعب، وعنوان المقاومة فيه هو الأمة والشــعب، وهذا العنوان تراجع في فلســطين دور الأمة والشــعب لصالح الأنظمة والحكومــات التي هُزمت ووصلت إلــى المصالحة مع الكيان الصهيونــي بمنطق عدم القدرة على هزيمته رغم القدرة العربية الهائلة.

2- الحل في (المقاومة الشــعبية)، أنْ يبرز دور الشعب والقوى الشعبية في المقاومة دون أن نطلق اسم (الحرب) عليها كما هو في (حرب التحرير الشعبية)، وبالمقاومة الشعبية نستطيع أنْنسحب العدو إلى المربع الذي نُريده إلى نقطة ضعفه، ونسلبه في حرب فدائية القدرة على استخدام سلاحه المتطور والنووي، ويبقى دور الجيوش النظامية في إسناد المقاومة" [75].

ثانياً: إشكالية علاقة السياسي بالعسكري:

"العلاقة بين السياســي والعسكري في تجربة الكفاح المســلح الفلسطيني لم تكن علاقة متوازية منذ البداية، في المرحلة الأولى كان التركيز على الجانب العســكري إلى حد أنَّ السياسة كما قيل ترسمها فوهات البنادق. ومع التراجع في فكرة الكفاح المســلح ... كان العمل السياســي يعني الانخراط في لعبة السياسة الدولية، فتم وضع ما بقيَ من الكفاح المســلح لخدمة أهداف سياســية تكتيكية، ولم يعد الكفاح المســلح مُرتبطاً بالأهداف الاســتراتيجية كالتحرير والعودة، فُوّظف العمل العسكري في خدمة المساومة السياسية" [76].

ثالثاً: إشكالية الهدف بين التحرير والدولة:

"الكفاح المســلح الفلسطيني جعل الهدف المباشــر هو (تحرير الأرض)، وهذا بحد ذاته صحيح ولا يتناقض مع شــمولية المعركة الحضارية مع المشروع الصهيوني... ولكن لم يعد هدف تحرير الأرض هو الهدف، بل أصبــح الهدف هو (الدولة)، هذه الفُقاعة وهذا الســراب والوهم الكبير هو الهــدف، الدولة التي تتعايش مع المســتوطنات وليست إسرائيل فقط، والدولة الكيان المســخ غير مُحدد المعالم.. والحل في العودة إلى هدف الكفاح المســلح وهو تحرير الأرض الفلســطينية من البحر إلى النهر كأســاس ومحور لمشــروع النهضة الإسلامية الشاملة" [77].

---

[75] -محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م

[76] -المرجع السابق

[77] -محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م

رابعاً: إشكالية قتل المدنيين في (إسرائيل):

1- إنَّ مجرد وجود الإســرائيلي أو الصهيوني على أرض فلسطين المُغتصبة (إسرائيل) هو استمرار للعدوان ومشاركة فيه.

2- الكيان الإســرائيلي ليس فيه مدني وعسكري، فهو ثكنة عسكرية والرجال والنساء بغالبيتهم في يخدمون في الجيش الإسرائيلي المحتل لفلسطين.

3- رغم ذلك نحن لا نستهدف (المدنيين) في كل الظروف، نحن نرد على قتلهم للمدنيين من شعبنا على قاعدة المعاملة بالمثل.

4- نحن لا نســتهدف الأطفال لأنهم غير مُكلّفين وغير كاملــي الأهلية، وإذا وقعت إصابات بينهم فتكون غير مقصودة [78].

خامساً: إشكالية العلاقة بين (المقاومة) و(السياسة):

"نحن حركة مجاهدة تأخذ بالمفهوم الشــمولي للجهاد، نعم القتال هو لب وذروة العمل الجهادي، ولكن هناك أبعاداً أخرى للعمل الجهادي، منها: الثقافي والاجتماعي والسياســي وغيره، كوننا نهتم بها ونمارســها في حدود إمكانياتنا، فنحن حركة جهادية تُمارس السياســة أيضاً، ولكن السياسة التي نطرحها هي غير السياسة التي تنتجها الدوائر الغربية وأطراف لعبة التســوية في المنطقة ... وتمســكنا بالثوابت وما كان عليه اجماع الأمة بشــأن فلسطين منذ بداية الصراع لا يروق للآخرين. باختصار... نحن حركة مقاومة تُمارس السياسة، ولسنا حركة سياســية تُمارس المقاومة، لأنَّ هذا التوصيف الأخير يجعل من المقاومة ورقة تكتيكية، الهدف منها هو تحســين شروط اللعبة السياسية المُصممة في مراكز القرار المُعادية" [79].

---

[78] - مقابلة مع صحيفة (الحياة) اللندنية، 9-1-2003م

[79] - مقابلة مع صحيفة (الشروق) الجزائرية، 30-8-2010م

المبحث الثالث: (الانتفاضة).. بعيون رمضان شلّح

ذكر رمضان شلّح عن (الانتفاضة) كمفهوم وحدث في عشرات المناسبات، فكتب وخطب وتحدث عنها ابتداءً مــن انتفاضة الحجارة (1987م)، ثم انتفاضــة الأقصى (2000م)، وصولاً إلى انتفاضة القدس (2015م)، وفي الســطور التالية سنُسجّل بعض العناوين المهمة مما ذكره

أولاً: الانتفاضة.. فلسطينياً

1- الانتفاضة ذروة النضال الفلسطيني الجماهيري:

" الانتفاضــة كحدث (انتفاضة الحجــارة 1987م) كانت هيا ذروة النضال الفلســطيني الجماهيري، والعدو الإســرائيلي سمّاها (الحرب السادسة)، ورابين كان يتمنى أنْ يستيقظ فيجد قطاع غزة غرق في البحر بسبب الانتفاضة ... ما الذي حدث نتيجة الانتفاضة؟ أنَّ إسرائيل لم تكن تقبل وتُسلّم بنتيجة الانتفاضة، أو أن تقطف الانتفاضــة ثمــرة الانتصار، لذلك ســارعوا بالالتفاف عليها من خلال عملية التســوية، ثم اتفاقية أوســلو، فالسلطة الفلسطينية" [80].

2- الانتفاضة إرادة شعب وأمة:

" إنَّ الانتفاضــة المباركة (انتفاضــة الأقصى 2000م) والمقاومة الباســلة التي تشــعلونها اليوم بدمائكم وأرواحكم وســواعدكم وبنادقكم ليست ورقة في سوق المساومات أو المفاوضات، إنها تعبير عن إرادة شعب وإرادة أمة، إنها خيار الشــعب الذي يبذل فيها المُهج والأرواح، إنها الخيار الحتمي والواجب الإلهي بعد أنْ سقط وهم التسوية الكاذب" [81].

3- الانتفاضة .. رسالة جيل الشباب:

"رســالة الانتفاضة (انتفاضة القدس 2015م) للعالم كله تقول: أنا فلســطين؛ أنا القدس، غير قابلة للنسيان أو التجاهل... إنَّ جيل الانتفاضة من الشباب والشابات معاً هو جيل أسامة بن زيد الذي يُعيد إلى الأذهان صلة الرسول -صلى الله عليه وسلم [82] -بفلسطين قبلتنا الأولى ومسرى ومعراج نبينا إلى السماء ... إلى كل القوى والفصائل علينا أن نترفع جميعاً عن أي مصالح حزبية ضيقة، وأن نضع مصلحة قضيتنا وشعنا نصب أعيننا ونعمل جاهدين مخلصين على إنهاء الانقســام ... الانتفاضة مســتمرة بعون الله عز وجل ثم بفعل وإرادة جيل الشباب".

---

[80]- محاضرة (القضية الفلســطينية وانتصار المقاومة في لبنان)،6-6-2000م

[81] - كلمة رثاء الشــهيدين اياد حردان ومحمد عبد العال)، 7-4-2001م

[82] - كلمة (المؤتمر الدعوي لملتقى دعاة فلســطين بغزة)، 14-12-2015م

4- الانتفاضة .. الهدف والوسيلة:

أ- هــدف انتفاضة الأقصــى (2000م): " الانتفاضة بالنســبة لنا كقوى وطنية وإســلامية تهدف إلى دحر الاحتلال من الضفة والقطاع كحد أدنى بلا قيد أو شرط .. إننا نطالب بتحرير كامل فلسطين، هذا وطننا وحقنا، نحــن أصحــاب الأرض، وهولاء اليهود غــزاة ولا علاقة لهم بهذه الأرض إلاّ الخرافات والأســاطير، ونحن مشــروعنا قائــم على إنهاء وجودهم مــن هذه الأرض نهائيــاً، وإنْ لم يحدث هذا اليوم، فإنه ســيحدث في المســتقبل ... ولكن لدينا الاســتعداد لأن نتوافق مع جميع القوى على برنامج الانتفاضة بهدف دحر الاحتلال من الضفة والقطاع بدون شــروط تكبلنا لاستمرار مشروع تحرير كامل أرض فلسطين"[83] .

ب- الانتفاضة كوســيلة تحرير: "إذا اتفقنا على الهدف... فيجب أنْ يكون هناك اجماع على الوســيلة... فهي الانتفاضة التي يمارســها الشعب كله شــيوخاً وأطفالاً ورجالاً ونساءً من جهة، والمقاومة المسلحة من جهة أخــرى، لذلك نحــن لا نقبل بالتحذيــرات أو التباكي الذي يصدر عــن البعض أحياناً والخوف من عســكرة الانتفاضة، فنحن لا نواجه أفواجاً من الســياح، نحن نواجه جيشاً مدججاً بأعتى آلة حربية في المنطقة وربما في العالم، وهذا لا يمكن أن يواجه إلاّ بالســلاح، فلا بد من إيقاع خســائر بالعدو حتى يصرخ.. هذا الكيان لا يستطيع تحمل الخسائر" [84].

ثانياً: الانتفاضة.. إسرائيلياً:

1- الانتفاضة فضحت أكذوبة القوة الصهيونية:

" الانتفاضة الباســلة فضحت أكذوبة جبروت القوة الصهيونية، واثبتت للمفتونين بإســرائيل، والمضبوعين منها في المنطقة كم هو هش وضعيف هذا الكيان، إنها تُعيد سيرة الانتفاضة الأولى التي سمّاها العدو الحرب السادســة، واعترف أنها الحرب الوحيدة التي لم ينتصر فيها، لم تســتطع القنبلة النووية الصهيونية يومها هزيمة الحجر الفلســطيني والطفل الفلســطيني في الانتفاضة، لكنهم ضربوا المنطقة كلها بـ (قنبلة التسوية). التــي كاد مفعولها على الذاكــرة والهوية والانتماء والأرض والتاريخ والحقــوق لا يقل خطورة عن مفعول السلاح النووي" [85].

2- الانتفاضة عمقت المأزق التاريخي للكيان الصهيوني:

" إنَّ الانتفاضة العظيمة تُعرّي هذا الكيان البشع، وتكشف عمق المأزق التاريخي الذي يُعاني منه، لقد نجحت الحركة الصهيونية في إقامة الدولة اليهودية على أرض فلســطين، لكنها لم تنجح في ضمان اســتمرار وبقاء هذه الدولة... لم يعد الصهاينة قادرين على الادعاء بأنَّ هذه الدولة تُشــكّل ملجأً وملاذاً آمناً ليهود العالم..

---

[83] - مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية، 13-4-2001م

[84] - المرجع السابق

[85] - كلمة (المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة)، طهران، 24-25 نيســان 2001م

إنَّ الانتفاضة والمقاومة اليوم تقول ليهود العالم الذين جليتهم الحركة الصهيونية إلى فلســطين، إنَّ أي مكان آخر في العالم هو أكثر أمنا لكم من فلســطين، بل إنَّ فلســطين اليوم هي المكان الوحيد الذي يُقتل فيه اليهود جرّاء ما جنوه على أنفســهم واقترفت أيديهم من سفك دماء الشــعب الفلسطيني واغتصاب لأرضه وحقوقه، ونتيجــة لوجودهــم في المكان الخطأ... إنَّ الأزمات والشــروخ التي تُحدثها الانتفاضة والمقاومة في جســم الكيان اليوم تطرح على العقل الصهيوني مُجدداً الأســئلة المصيرية التي تتعلّق بجدوى المشروع الصهيوني من الأســاس وجدوى الاســتمرار في العيش في هذه الدولة على حد السيف في انتظار الصعود الجماعي إلى (متسادا) جديدة نحو الانتحار الشامل" [86].

3- الانتفاضة .. المأزق الإسرائيلي وخطة الهروب:

"إنَّ انتفاضة الأقصى ليست هي الصفحة الأخيرة في صراعنا مع المشروع الصهيوني، لكنها كانت وما زالت صفحــة داميــة ومؤلمة للعــدو الصهيوني ... لقد وضعته في مأزق أمني وعســكري وسياســي واقتصادي وتاريخي وأخلاقي غير مســبوق، لذلك قرر الالتفاف على هذه الانتفاضة بعد أنْ عجز عن هزيمتها عســكرياً وأمنياً، وذلك بالإعلان عن نيته الهروب من غزة تحت عنوان ما يُسمى بخطة شارون، إنَّ شارون يُريد ،أنْ يهــرب من قطاع غزة تحت ضربات المقاومة ليوقعنا نحن في فــخ الفتنة الداخلية بعد أنْ يُحررنا من أمضى ســلاح في أيدنيا، وهو برنامج المقاومة ووحدة شعبنا وقواه المقاومة والمجاهدة" [87].

---

[86] - المرجع السابق

[87] - كلمة (رثاء شهداء الزيتون)، 6-8-2004م

مصادر الفصل الثالث

1- دراســة (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) مجلة (المجاهد)، 30-9-2003م
2- محاضرة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)،5-6-2000م
3- محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
4- محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
5- محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
6- محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
7- محاضرة (مســتقبل فلسطين بين نهج المقاومة ونهج التسوية)، 22-11-1998م
8- مقابلة مع صحيفة (الحياة) اللندنية،9-1-2003م
9- مقابلة مع صحيفة (الشروق) الجزائرية،30-8-2010م
10- محاضرة (القضية الفلسطينية وانتصار المقاومة في لبنان)،6-6-2000م
11- كلمة رثاء الشــهيدين اياد حردان ومحمد عبد العال)، 7-4-2001م
12- كلمة (المؤتمر الدعوي لملتقى دعاة فلســطين بغزة)، 14-12-2015م
13- مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية،13-4-2001م
14- مقابلة مع قناة (أبوظبي) الفضائية،13-4-2001م
15- كلمة (المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة)، طهران، 24-25 نيســان 2001م
16- كلمة (المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة)، طهران، 24-25 نيســان 2001م
17- كلمة (رثاء شهداء الزيتون)، 6-8-2004م

حركات وثورات
بعيون رمضان شلّح

الباب
الثالث

الفصل الأول: رؤية رمضان شــلّح للحركة الإسلامية الفلسطينية

المبحث الأول: الحركة الإســـلامية الفلسطينية .. مراجعة ونقد

أولاً: نقد حركة (الإخوان المسلمين)

1- كان فتحـــي الشـــقاقي عضواً في حركة (الإخوان المســـلمين)، التي كانت تُعاني آنـــذاك من أزمة حقيقية انعكست بشكل أساسي في إهمال المسألة الوطنية وطرح أولويات بديلة، وكذلك الهروب من الهموم الحقيقية والتحديات الجوهرية التي تواجهها الأمة، إلى القضايا الهامشـــية والشـــكلية والجزئية، وكان الشقاقي يُركز على مســـألة غياب المنهج في تناول وفهم الإســـلام والواقع والعالم، الأمر الذي أحدث خللاً في سُلّم أولويات الحركة الإســـلامية، وأوقعها في مأزق التعارض الوهمي بين العروبة والإســـلام، أو بين الوطنية والإسلام، فبدت الحركة الإســـلامية وكأنها لا تملك إجابة للمســـألة الفلســـطينية، التي بقيت تتراوح بين الإسلاميين بين الإهمال والتأجيل [88].

2- على الرغم من دور جماعة الإخوان المسلمين في التربية والوعي الإسلامي بفلسطين لكن الجماعة أجلّت الجهاد في فلســـطين بحجة الإعداد الفكري والتربوي والمعنوي للأجيال المســـلمة في فلســـطين، وكان رأي حركة الجهاد أنَّ فقه الانتظار وروحية التأجيل لا يمكن أنْ تُنتج حالة جهادية تمهد لتحرير فلسطين، وأنَّ خير طريقة للإعداد هي التربية من خلال المواجهة وممارســـة الجهاد فعلاً على الأرض [89].

3- الحركة الإســـلامية الفلســـطينية طيلة عقد كامل (67-77) لم يكن برنامج المقاومة مطروحاً على جدول أعمالها، وكانت مشـــغولة بالدعوة والتربية... وخلال العقد التالي (77-87) شـــهدت مخاضاً كبيراً وعصفاً فكرياً أدى إلى خروج الشقاقي من الإخوان المسلمين وتشكيل (الجهاد الإسلامي)... لم يكن عز الدين القسام حاضراً في أدبيات الحركة الإسلامية الفلسطينية... الشقاقي استحضر تجربة القسام واستلهمها واستفاد منها في بناء حركة الجهاد [90].

ثانياً: نقد (حزب التحرير الإسلامي)

"علـــى الرغم من إدراك الحزب لعمق قضية فلســـطين في أبعادها العقدية والحضارية وخطورة المشـــروع الاســـتعماري الصهيونـــي، وأنَّ فلســـطين لا تُحـــرر إلا بالجهاد، ولكن الحـــزب عملياً لم يتبـــنَ خيار الجهاد والمقاومة انتظاراً لإقامة (الخلافة الإســـلامية)، التي ســـيتكفل جيشها بمهمة تحرير فلسطين، وهذا ناتج عن فهم خاطئ لطبيعة العدوان الذي تتعرض له الأمة في فلســـطين، ولطبيعة الجهاد المطلوب لتحرير فلســـطين كجهاد دفع وليس جهاد طلب" [91].

[88] - مقابلة مع مجلة (الدراســـات الفلسطينية)، العدد (33)،1999م.
[89] - مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، السعودي،21-10-2007م.
[90] - مجلة (ياران) الإيرانية - بدون تاريخ
[91] - مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي،21-10-2007م.

ثالثاً: رؤية ومشكلة (التطرف الإسلامي)

" المشــكلة لا يمكن اختزالها في عناوين مثل داعش والقاعدة... هناك خلل كبير في كل شــيء أدى إلى هذا الانفجار، وكأن كل شــيء كان مُركباً على غش وخداع... إنهم يقولون إنَّ ما يفعلونه هو ما كان يفعله النبي محمد ... لقد كان وقع هذا الكلام علىَّ شــخصياً لا يقل عن وقع القنابل والصواريخ التي كانت إسرائيل تُلقيها على رؤوس أهلنا وشعبنا في غزة ... لمواجهة هذا الطوفان نحن بحاجة إلى عملية إصلاح شاملة تبدأ بنظرة الحكومات والدول والنُخب إلى الإسلام ودوره في الحياة... وتغيير نظرتهم إلى الإنسان ... وانتهاء الاستبداد وبســط الحريات، وتحقيــق العدالة... وتصحيح العلاقة بين مكونات الأمة كافــة ومختلف الديانات والمذاهب والأعراق، واعتماد المواطنة كقاعدة للبناء الاجتماعي" [92].

رابعاً: نقد الحركة الإســلامية في موقفها من القومية والوطنية

1- " لقــد حفلت أدبيات الحركة الإســلامية المعاصرة ... بالكثير من المواقــف التي نظرت إلى القومية العربية باعتبارها رجســاً من عمل الشــيطان ... هذا الموقف المُعادي للقومية العربية ينطلق من ردة الفعل على المحتوى العلماني للمشــروع القومي العربي ... فامتد موقفها ليشــمل العروبة والعرب، مع إغفال أنَّ العرب هم مادة الإســلام وبذرته، وأنَّ اللســان العربي كان الوعاء الحامل للرسالة... هناك فرق بين القومية والعروبة".

2- كانت الحركة الإســلامية في فلســطين تقول إنَّ الصراع صراع عقائدي ولا علاقة له بالأرض فهي تُراب لا قيمة له، وأنَّ جنســية المســلم عقيدته، وأنَّ الوطنية دعوة جاهلية... ولا فرق بين فلســطين أو أي أرمن أُخرى من بلاد المســلمين... وهذا خلط في المفاهيم بين الوطنية والعروبة والإســلام، وتجاهل لواجب تحرير الأرض الإســلامية... وخصوصية أرض فلسطين في الإسلام، ومركزية القضية الفلسطينية الذي بدأه الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي"[93] .

---

[92] - مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.

[93] - دراســة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

المبحث الثاني: الحركة الإسلامية الفلسطينية.. إضافة وإنجاز

أولاً: الحضور الوطني للحركة الإسلامية والمراجعة المطلوبة

تحت عنوان (الحركة الإسـلامية والجهاد في فلسـطين) كتب رمضان شلّح دراسة [94] مضمونها باختصار ما يلي:

1- رغم الدور المبكر للزعامات الإسـلامية في النضال الوطني الفلسطيني.. لكن الحركة الإسلامية المعاصرة في فلسـطين لم تكن تُدرج ضمن فصائل الثورة الفلسطينية لعدم ممارستها الكفاح المسلح.

2- دخول حركة الجهاد الإسـلامي في فلسـطين لمجال الكفاح المسلح نقطة تحوّل في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني والحركة الإسلامية في فلسطين.

3- بعد دخول حركة المقاومة الإسـلامية (حماس) لمجال الكفاح المسـلح سجلت الحركة الإسلامية حضوراً نوعياً ومميزاً في ساحة الكفاح المسلح، وأحدثت توازناً غير مسبوق في ميزان الرعب في الصراع مع العدو الصهيوني.

4- محنة سـلطة أوسـلو.. ثم عودة خيـار المقاومة من بوابـة انتفاضة الأقصى.. ومعهـا عودة الحركة الاسـلامية الفلسطينية للعمل الجهادي ... مُتغيرات مُهمة فرضت مراجعات ضرورية.

5- الحركة الإسلامية الفلسـطينية بحاجة إلى مراجعة منطلقاتها وآفاقها وأهدافها ووسائلها وأدواتها.

6- الحركـة الإسـلامية عانت من غياب التأصيل الإسـلامي والمنهجـي للبرامج والمواقـف والخطط التي تطرحها.

7- الحركـة الإسـلامية عانـت من عدم وضوح الأهـداف والخلط بين الغايـة العُليا للحركـة وبين أهدافها الاسـتراتيجية والمرحلية في فلسطين .. وضوح الهدف يؤدي إلى وضوح الوسيلة.

ثانياً: دور الحركة الإسـلامية الفلسطينية في المشروع الوطني

1- في مطلع القرن العشـرين اتسمت الحركة الوطنية الفلسطينية بسـمتين: أنّها نشأت على قاعدة التصدي للمشروع الصهيوني ومقاومته، وأنها نشأت في الحضن العربي الإسلامي، ولم يقع أبي انفصام بين الوطنية والعلوية والإسلام.

2- بعـد النكبة 1948م كانت حركة التحرر الوطني الفلسـطيني جزءاً مـن حركة التحرر العربي حيث حدث انفصام بين العروبة والإسـلام عُبّر عنه في الصدام بين التيار القومي والتيار الإسـلامي، وانسحب ذلك على فلسطين، فتوارى الإسلام عن الأنظار.

---

[94]- دراسـة بعنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) ملاحظات أولية، مجلة المجاهد، 30-9-2003م.

3- بعــد هزيمة 1967م وســيطرة حركة فتح على المنظمــة التي اتجهت نحو (فلســطنة القضية) وغيّرت الميثاق من (الميثاق القومي) إلى (الميثاق الوطني)، ورفت شــعار (القرار الوطني المستقل).
4- بعد حرب لبنان 1982م وخروج المنظمة من بيروت، ظهر التيار الإســلامي كجزء من الحركة الوطنية الفلســطينية على يد (حركة الجهاد الإســلامي)، ثم (حركة المقاومة الإســلامية)، وكانتا - الجهاد وحماس- إضافة نوعية إلى مســيرة النضال الوطني على طريق اســتعادة الانسجام بين الوطنية والعروبة والإسلام في الحركة الوطنية الفلســطينية، وتعزيز الكفاح المسلح ونهج المقاومة ضد الكيان الصهيوني [95].

ثالثاً: حركة حماس أهم إنجاز لحركة (الإخوان المسلمين)

"حركة حماس أهم إنجاز لحركة الإخوان المســلمين بعد ظهور الحركة على يد مؤسســها الشهيد حسن البنا عام 1928م، لكن التحدي الذي يواجه حركة حماس اليوم والحركة الإسلامية بمجملها هو الحافظة على هذا الإنجاز الذي لم يتحقق إلاّ بالجهاد والاستشــهاد... علاقتنا بحركة حمــاس جيدة وفجوة الخلافات التي كانت بينا وبين الإخوان ضاقت إلى حدٍ كبير... فبرغم سلبيات العلاقة في الماضي نحن ندرك معًا أنَّ خلافاتنا اليوم مهما كان حجمها لا تتناســب وحجم التحديات والمخاطر التي تتعرض لها أمتنا وقضيتنا المركزية فلســطين، التي تســتوجب الوحدة ... وإذا تعذر تحقيق وحدة الاطار، فنحن حريصون على تحقيق وحدة العمل الإسلامي والنضالي" [96].

[95] - مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2024م.
[96] - مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)،1999م.

المبحث الثالث: الحركة الإسلامية.. أسئلة الهوية والانتماء

أولاً سؤال الهوية والانتماء.. (من نحن؟)

كتب رمضان شـلّح دراسـة[97] بعنوان (حول سـؤال الهوية والانتماء) جاء في مقدمتها أنَّ مشـكلة الهوية والانتماء للأمة العربية تطرح سـؤال (من نحن؟)، وللإجابة على هذا السـؤال كانت هذه الدراسة التي يُمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- إننا أمة واحدة " إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"، وهي الجماعة البشـرية الحاملة لرسـالة الإسلام، مهما اختلفت شعوبها وقبائلها وأجناسها وأعرافها.

2- إنَّ الرابطـة التـي تجمع هذه الأمة هي الدين علـى قاعدة العبودية لله "وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"، وأسـاس التقوى "وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"... فرابطة الدين والعقيدة هي التي تجمع بين أفراد وجماعات وشـعوب... الأمة.

3- إنَّ هذه الأمة التي صنعها الإسـلام هي أمة مُخرجة من قبل الله للناس " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"، فرسالة الأمة (الإسـلام) للناس كافة، وهذا يعكس عالمية الإسلام وخيرية الأمة مرتبطة بتمسكها برسالتها.

4- إنَّ العداوة الأشـد ضد الأمة المُخرجة للناس هي من اليهود لاعتقادهم أنها تسـلبهم دور القيادة والريادة البشـرية "تَجِدَنَّ أَشَـدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْـرَكُوا"[98]. هذا التحدي الذي يُشكله اليهود للأمة يؤكد مركزية الصراع مع اليهود والمشـروع الصهيوني اليوم... لذلك فإنَّ أي مشـروع نهضوي للأمة لا يجعل من فلسـطين ومواجهة التحدي الصهيوني اليهودي قضية مركزية لا يُمكن أنْ يُكتب له النجاح.

ثانيا: محاولات الحركة الإسـلامية للحفاظ على الهوية الإسلامية.. تركيا مثلاً

كتب رمضان شـلح دراسـة[98] بعنوان (مدخل إلى فهم الحركة الإسـلامية في تركيا) في محاولة للإجابة على سؤال الهوية يُمكن اختصارها في النقاط التالية:

1- أزمة الهوية في تركيا بين الهويتين الغربية والإسـلامية أو الحضارتين الغربية والإسلامية.

2- حاول السـلطان عبد الحميد التمسـك بفكرة (الجامعة الإسـلامية) وهوية الدولة الإسلامية للحفاظ على سلطته ودولته.

3- التيار المتغرب بزعامة جمعية (الاتحاد والترقي) تسـتولي على الحكم عام 1923م، وتُلغي الخلافة عام 1924م، وتحسـم الصراع بقيادة مصطفى كمال أتاتورك (الثورة الكمالية) وتتجه تركيا نحو الهوية الغربية العلمانية.

---

[97] - دراسـة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

[98] - دراسـة بعنوان (مدخل إلى فهم الحركة الإسلامية في تركيا)، مجلة الأمة، العدد (5)، أيار 1992م.

4- محاولات الحفاظ على الهوية الإسـلامية لتركيا ورموزها: الشـيخ محمد أسـعد الأربيلي، والشيخ سعيد فهيمي، والشيخ سعيد النورسي (بديع الزمان).

5- ظهرت في سبعينات القرن العشرين أحزاب نجم الدين أربكان (حزب النظام الوطني؛ حزب الانقاذ الوطني ...).

6- ظهر تأثير الثورة الإسـلامية في إيران بعد عام 1979م في تشـجيع الاتجاه الإسـلامي في تركيا، فظهر (حزب الرفاه) بزعامة فتح الله غولان في الثمانينات.

7- ظل الصراع بين التيارين: الغربي والإسـلامي على أشـده في تركيا، وأبرز عناصره هي هوية تركيا بين الغرب والإسلام.

ثالثاً: الهوية الإسلامية.. حضارة أمة وثقافة سلام

1- الهوية الإسلامية.. هوية وحضارة أمة

"التيـار الإسـلامي.. تيار أصيل وما عداه فهم للطارئ المحتاج إلى توطيـن مُضنٍ ولن يفلح، كما أنَّ الغرب وامتداداته المؤسسـاتية والفكرية يُحاول حصر التيار الإسـلامي أو الصحوة الإسلامية في تنظيم إسلامي أو حالة أو جماعة إسـلامية بعينها، ومن ثم يقوم بحمل الحركة الإسـلامية في ضوء أداء هذه الجماعة أو تلك مُتغافلاً عن أنَّ التيار الإسـلامي بدأ منذ البعثة بجمهور الأمة كلها، فالإسـلام هو الهوية والانتماء الحضاري لنا جميعاً" [99].

2- الهوية الإسلامية.. هوية وثقافة سلام

"الإسلام لا يرفع سلاحاً إلا رداً على عدوان، ولا يُقاتل إلاّ دفاعاً عن حق مغتصب، وهذا هو الفهم السائد لدى عموم الحركات الإسلامية، وما لجوء بعضها إلى العنف إلاّ رداً على عنف الدولة وإرهابها، فالدولة في بلادنا تملـك كل أدوات القمـع، وهي دولـة متغولة...عنف الدولة لن يوّلد إلاّ العنف الـذي تدفع الأمة ثمنه من دم أبنائها ومواردها وطاقاتها المهدورة" [100].

---

[99] - ندوة (المنتدى الحضاري) بدمشـق؛ عنوانها: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر،5-3-2000م

[100] - المرجع السابق

مصادر الفصل الأول

1- مقابلة مع مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)،1999م.
2- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، السعودي،21-10-2007م.
3- مجلة (ياران) الإيرانية - بدون تاريخ
4- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي،21-10-2007م.
5- مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
6- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
7- دراســة بعنوان (الحركة الإسلامية والجهاد في فلسطين) ملاحظات أولية، مجلة المجاهد، 30-9-2003 م.
8- مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
9- مجلة (الدراسات الفلسطينية)، العدد (33)،1999م.
10- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
11- دراســة بعنوان (مدخل إلى فهم الحركة الإسلامية في تركيا)، مجلة الأمة، العدد (5)، أيار 1992م.
12- جريدة (الحياة)،27-11-1995م.
13- جريدة (الحياة)،27-11-1995م

الفصل الثاني : رؤية رمضان شـــلّح للحركة الوطنية الفلسطينية

المبحث الأول: "نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية.. رواية رمضان شلّح

أولاً: مراحل نشـــأة الحركة الوطنية الفلسطينية برواية شلّح

1- الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة (1948م)

" لقد تشـــكلت الحركة الوطنية الفلســـطينية الراهنة في طورها الأول مع مطلع القرن العشرين وما حمل من أحداث، مثل ســـايكس بيكو 1916م، ووعـــد بلفور 1917م، وهزيمة الدولة العثمانيـــة في الحرب العالمية الأولى، والاحتلال البريطاني لفلسطين، والغزو الصهيوني لها، وما صاحب ذلك من قيام حركات مقاومة لهذا الغزو، ونشـــوء أحزاب سياسية، وظهور رموز وقيادات وطنية في عشرينات القرن الماضي وثلاثيناته، ففي تلك المرحلة ظهرت حركة الشـــيخ عز الدين القســـام، وكان أزهرياً مُعمماً، لكن قيادة الحركة الوطنية انعقدت للحاج أمين الحســـيني ... المُلاحظ أنَّ الحركة الوطنية في تلك المرحلة اتســـمت بسمتين مهمتين، الأولى أنها نشـــأت على قاعدة التصدي للمشـــروع الصهيوني ومقاومته، والثانية أنها لم تنســـلخ مـــن حضنها العربي والإســـلامي، لم تُبرر مشـــكلة الهوية، ولم يقع أي انفصام بين الوطنية والعروبة والإســـلام، كانت شخصيه الحاج أمين الحســـيني أبرز تعبير عن انصهار الأبعاد الثلاثة في وطنية فلســـطينية تتسع للجميع" [101].

2- الحركة الوطنية الفلسطينية بعد النكبة(1948م)

" بعد النكبة عام 1948م، وبالذات في الخمســـينات والســـتينات دخلت الوطنية الفلســـطينية طورها الثاني بانضـــواء الوطني الفلســـطيني في إطار القومـــي العربي في رحلة المد اليســـاري والقومي وبروز التيارات العلمانية في العالم العربي، فكانت حركة التحرر الوطني الفلســـطيني جزءاً من حركة التحرر العربي في تلك المرحلة، حيث انفصام في علاقة العروبة والإســـلام عبّر عن نفســـه في الصدام بيـــن التيار القومي والتيار الإســـلامي، وانســـحب هذا على فلسطين، فتواري الإســـلامي عند الأنظار...واحتفظت الحركة الوطنية بسمة الصدام مع المشروع الصهيوني ومقاومته"[102] .

3- الحركة الوطنية الفلســـطينية بعد النكبة الثانية (1967م)

"بعد هزيمة 1967م، وســـيطرة فتح على منظمة التحرير، التي نشـــأت كتعبير عن الكيانية الفلسطينية، بدأ النفس الوطني يأخذ شـــكل (فلســـطنة القضية)، وظهور شـــعار (القرار الوطني المستقل)، حتى البُعد القومي خـــرج من المشـــهد فتم تغيير (الميثاق القومي) إلـــى (الميثاق الوطني)، كان هذا الطـــور الثالث لـ (الوطنية الفلســـطينية) التي ظلّت محتفظة بســـمة الصراع مع المشـــروع الصهيوني ومقاومته، وهو طور سيشهد في نهايته بروز التيار الإسلامي ممثلاً في (الجهاد الإسلامي) أولا، والتي كان لها السبق في عودة الإسلامي إلى ســـاحة النضال، ثم (حركة حماس) مع اندلاع الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) عام 1978م" [103].

---

[101] - مقابلة مع مجلة (الدراســـات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.

[102] - المرجع السابق

[103] - مقابلة مع مجلة (الدراســـات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.

ثانياً: الثورة الفلســطينية المسلحة .. السياق التاريخي وتجديد الدماء

في مقابلة صحفية [104] شــرح رمضان شلّح الســياق التاريخي للثورة الفلسطينية المسلحة وصولاً إلى تجديد دماء الثورة بنشأة حركتي الجهاد وحماس كجزء من تلك الثورة، ويمكن الخروج من مقابلته بالنقاط التالية:

1- انطلاقة الثورة الفلسطينية المُسلّحة عام 1965م جاء ضمن سياق تاريخي طويل من نضال وجهاد شعبنا ضد الغزو الاســتعماري الصهيوني لأرض فلسطين... وإيذاناً بميلاد مرحلة جديدة في صراع شعبنا مع العدو الصهيوني.

2- تحوّلــت قضية فلســطين مــن قضية لاجئين إلى قضية شــعب ثائــر ومقاتل له امتــداده وعمقه العربي والإســلامي، بل وأصبحت حركة المقاومة الفلســطينية جزءاً من حركة التحرر في العالم، وغدا كفاح شعبنا ونضاله مثلاً لكل المكافحين من أجل الحرية والاســتقلال.

3- محطة 1982-1983م وخروج المقاتلين من بيروت كان المنعطف الأكبر الذي ألقى بالثورة إلى متاهات السياســة ومسلسل التنازلات .. وكان البرنامج السياسي المرحلي الذي تبنته منظمة التحرير الفلسطينية عام 1974م وقد فتح الباب لنهج التسوية.

4- جاءت الانتفاضة الأولى عام 1987م لتكون صرخة الشــعب في وجه النهج الاستســلامي، ولتمثل نهج نضالي اســتراتيجي ومشروع مواجهة شاملة استطاعت اختراق الحصار الدولي والعربي الرسمي، وأنْ تعيد للقضية حيويتها، وللشعب قدرته على صنع المعجزة.

5- أصحاب النهج الاستســلامي رأوا في الانتفاضة مشروعاً للاستثمار لا طريقاً للانتصار، فبيعت الانتفاضة، وبيع دم الشــهداء وعذابات الشعب وتضحيات الأمة في أوسلو واتفاقاتها المذلة... والثورة لم تُهزم عسكرياً بل هُزمت سياَسياً على يد فريق التسوية.

6- لقد جددت الثورة دماءها عســكرياً بالدور البطولي الذي جسدته العمليات الاستشهادية التي نفذتها حركتا الجهاد وحماس ... وبعثت الأمل في النفوس بأنَّ شــعبنا وأمتنا الأقدر على امتلاك زمام المبادرة في المعركة المصيرية مع العدو.

---

[104]- مقابلة مع مجلة (فلسطين الثورة)، 14-12-1995م.

المبحث الثاني: نقد الحركة الوطنية الفلسطينية

أولا: غياب الإسلام كأيديولوجية ثورية

"على الصعيد الوطني كان الإســلام مغيباً، وكان هناك استشــهاد بأيديولوجيات وتجارب ومناهج نضالية من العالم إلاّ التجربة الإســلامية التاريخية التي كان رصيدها هذه الامة ومبعث وجودها وهويتها في مواجهة كل الغزاة، الإســلام كان مُهّمشــاً ولم يكن له في فكر وممارســة المشــروع الوطني أي دور، هنا طرحت حركة الجهاد الإســلام وفلســطين، وكان رأس الحربة لهذين الركنين -الإسلام وفلسطين-في مشروعها هو الجهاد، والجهاد المســلح، فالحركة توليفة من الإسلام وفلسطين والجهاد"[105] .

ثانياً: فشــل المشروع الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية

"المشروع الوطني الفلسطيني بعد النكبة الأولى (1948م) كان تحرير فلسطين المُحتلة عام 1948م وعودة اللاجئين إليها، والمشــروع الوطني بعد النكبة الثانية (1967م) تآكل تدريجياً وتبلور في البرنامج المرحلي الذي اعُتمد عام 1974م كبرنامج سياسي لمنظمة التحرير الفلسطيني. وبرغم موقفنا الرافض لهذا البرنامج الذي أسس بشكل واضح للانهيار الكامل للمشروع الوطني الفلسطيني اليوم، إلا أنَّ النقطة الثالثة في برنامج النقاط العشــر نصّت على أنْ "تناضل منظمة التحرير ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه الاعتراف والصلح والحدود الآمنة لإســرائيل". انتهى البرنامج المرحلي إلى مشروع أو سلو وسلطة الحكم الذاتي التي عُرضت على الفلســطينيين طوال الوقت منذ اتفاقية كامب ديفيد مع مصر.. المطلوب من الســلطة الفلسطينية تصفية وضرب المشــروع الوطني الفلسطيني فيما الاحتلال والاستيطان لازال موجوداً ويتمدد" [106].

ثالثاً: المشــروع الوطني استبدل الهدف من التحرير إلى الدولة

"أي مشروع وطني في أي بلد حر ومستقل في العالم يكون من أولوياته الحفاظ على وحدة البلد أرضاً وشعباً وحماية ســيادته واستقلاله وهوتيه، أمّا إذا كان البلد أو جزءاً من أرضه مُحتلاً أو مغتصباً من عدو خارجي، فإنَّ المشروع الوطني لأهل هذا البلد لابد أنْ يكون تحرير الأرض ودحر العدوان ... في حالة فلسطين فالهدف لا بد فعلاً أن يكون تحرير فلســطين وليس إقامة الدولة المســتقلة هكذا كان المشروع الوطني الفلسطيني منذ بدايــة الغزو الصهيوني، وهذا هو الهدف الذي قامت من أجله منظمة التحرير الفلســطينية ومنه اســتمدت اســمها ... لكن منذ البرنامج المرحلي عام 1974م حدث خلل كبير تأسس عليه لاحقاً استبدال هدف (تحرير الأرض) بهــدف (إقامة الدولة)، وتم اعتماد المفاوضات كوســيلة للوصول إلى الدولــة فماذا كانت النتيجة؟ البرنامج المرحلي .. تحوّل إلى برنامج دائم أنتج ســلطة مُتعايشــة مع الاحتلال، سلطة ترفع عن العدو عبء الاحتلال"[107] .

---

[105] - مقابلــة مع قناة أبو ظبي الفضائية، برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م.
[106] - مقابلة مع مجلة الدراســات الفلسطينية، (العدد 33)، 1999م.
[107] - كلمــة أمام (المؤتمر القومي العربي) الخرطوم، أبريل 2009م.

المبحث الثالث: فكرة (الجماعة الوطنية) عند رمضان شــلّح

طرح رمضان شــلّح فكرة (الجماعة الوطنية) في أكثر من موضع ومناســبة، كما طرحها مفكرون إسلاميون آخرون، وقد وضحها في مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية) [108] نقتبس منها ما يلي:

"هــذه الفكرة (الجماعــة الوطنية) طرحتها الحركة (الجهاد الإســلامي) في مرحلة مبكــرة، وكانت الحركة الإســلامية بجميع تياراتها متأثرة بفكرة (الأُممية الإســلامية) وأفكار أبو الأعلى المودودي، وموقفه السيء جداً من القومية، وســيد قطب وفكرة (جنسية المســلم عقيدته)، كانت الفكرة بسيطة وهي إنني مسلم واعتز بانتمائي للإســلام، ولكن الانتماء إلى الدين أو الرابطة الدينية لا يُلغي الروابط الأخرى ، ســواء القومية أو الوطنية أو الإنسانية، والرسول - صلى الله عليه وسلم- وضع دستوراً في المدينة وهو المُسمى (الصحيفة)، وأســس وفقه مجتمعاً مُتعدد الأديان والأنساب والأعراق، حيث الافتراق في الدين لم يمنع بناء كيان سياسي أساســه (المواطنة) لأهله حقوق وواجبات نص عليها الدســتور، والمعروف أنَّ دســتور أو وثيقة المدينة (الصحيفة) عرّف المســلمون بأنهم: "أمة من دون الناس"، وهذه (أمة العقيدة) التي تحدث عنها سيد قطب، وكانــت هذه هي المرة الأولى التــي يعرف بها المجتمع العربي جماعة على أســاس الإيمان دون النظر إلى أصولهم القبلية أو أنسابهم.

ولكــن في فقــرة أُخرى تحدثت الوثيقة عن اليهــود بأنهم .."أمة مع المؤمنين" أي المســلمين، وهذه (أمة المواطنة السياســية)، وبشــكل أوضح نصّت الوثيقة علــى أنَّ "لليهود دينهم وللمســلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلاَّ من ظلم وأثم"، لم تكن هذه التجربة النبوية مجرد حدث صغير في تاريخ الإسلام، ولكن التيارات الإســلامية لم تتوقف عندها كثيراً إلاَّ في السنوات الأخيرة".

[108]- مقابلة مع مجلة الدراســات الفلسطينية، (العدد 100)،2024م.

مصادر الفصل الثاني

1- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.
2- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.
3- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، 2014م.
4- مقابلة مع مجلة (فلسطين الثورة)، 14-12-1995م.
5- مقابلــة مع قناة أبوظبي الفضائية، برنامج بدون مقدمات، 13-4-2001م.
6- مقابلة مع مجلة الدراســات الفلسطينية، (العدد 33)، 1999م.
7- كلمــة أمام (المؤتمر القومي العربي) الخرطوم، أبريل 2009م.
8- مقابلة مع مجلة الدراسات الفلسطينية، (العدد 100)،2024م.

الفصل الثالث: رؤية رمضان شــلّح لإيران الثورة وحزب الله المقاوم

المبحث الأول: مرتكزات الموقف من إيران والحزب والشيعة

في مقابلة مع موقع (الإســلام اليوم) [109]حدد رمضان شــلّح مرتكزات الموقف من إيران والحزب والشــيعة نستمد منه النقاط التالية.

1- حركــة الجهاد هي حركة مقاومة إســلامية سُــنية، عقيدتها عقيدة أهل السُــنّة والجماعة، التي هي في الخريطة العقدية والمذهبية للأمة عقيدة المســلمين في فلســطين التي تخلو من أي مذاهب إسلامية أُخرى.

2- إنَّ حركــة الجهاد... لو كان لديها أي ميــل أو اعتناق لأي مبدأ أو فكر أو انتماء غير انتمائها لعقيدة أهل السُــنّة والجماعة، وقبل ذلك انتمائها للإسلام العظيم فإنها... تملك من الشجاعة والثقة بالنفس ما يجعلها أنْ تفصح بها دون تردد.

3- نحن في حركة الجهاد لا نُكفّر أحداً من أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وسلاح التكفير برأينا هو أخطر ســلاح يفتك بالأمة من داخلها اليوم، وعقيدتنا منذ نشــأة الحركة هي عقيدة أهل السُنّة والجماعة التي تحتاط وتحترز فيه أشد الاحتياط والتحرز.

4- بالنسبة للشيعة فموقفنا منهم هو موقف جمهور الأمة الذي يعتبرهم مسلمين من أهل القبلة، بيننا وبينهم خلاف، لكنه لا يُخرج من الملّة، وقد أكدت كل كتب ومصادر أهل السُــنّة في الفرق الإســلامية على أن الشيعة -عدا الغُلاة-من فرق المسلمين.

5- نحن في حركة الجهاد حركة مقاومة واجبها الأول والمباشــر هو قتال العدو الصهيوني في فلســطين، لذا فنحن نلتقي مع كل من يُقاتل إســرائيل أو يُعاديها، ســواء كان من السُــنّة أو الشــيعة، أو حتى كان من غير العرب والمســلمين، وإنَّ أي إقحام لقضايا الســجال المذهبي أو العقائدي .. إنما يهدف إلى إحداث الفتنة التي ينفــخ فيها الأعداء بهدف تفكيك الأمة وتفجيرها من داخلها.. وصــرف أنظارنا عن عدونا الحقيقي، وحرف بوصلة جهادنا عن وجهتها الصحيحة.

6- نحــن أيدنا الثورة الإســلامية الإيرانية ... ولم يكن تأييدنا للثورة علــى خلفية مذهبية، كان درس الثورة بالنســبة لنا هو درس نهوض الشــعوب لتغيير المنكر واسترداد حقوقها المُضيعة بأيديها.. وهذا ينطبق على علاقتنا بحزب الله الذي نرى في انتصاره على الكيان الصهيوني عام 2000م وعام 2006م، انتصاراً للعرب والمســلمين ... واثبت أنّه لا يوجد عدو لا يُقهر إذا وُجد الجهاد ووجدت الإرادة والإيمان والتضحية.

---

[109]- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، 21-10-2007م.

المبحـــث الثاني: عوامل الانتصار من وحي ثورة إيران ومقاومة الحزب

أولاً: عوامل الانتصار من وحي ثورة إيران

1- مما لا شـــك فيه أنَّ انتصار الثورة الإســـلامية في إيران كان أهم حدث في تاريخ الإســـلام والمسلمين في الثلث الأخير من القرن العشـــرين، وهناك عوامل كثيرة أســـهمت في انتصار الثورة، ولكن بنظرنا هناك ثلاثة عوامل أساسية صنعت الانتصار، هي:

أ-إســـلامية الثورة: حيث الإسلام هو المفجر لطاقات الأمة والمُحّرك لها.

ب-القيادة الإســـلامية الثورية: التي تمثلت في الإمام الخميني -رضي الله عنه -والعلماء حوله.

ج-الجماهيرية: حيث انخرط في الثورة الشعب بأكمله.

وتمكن أنْ نُجمل هذا بقولنا إنَّ تلاحم الشـــعب الإيراني المســـلم والتفافه حول قيادته الإسلامية الثورية تحت راية الإسلام هو الذي صنع الثورة الإسلامية [110] .

2- ويستنتج رمضان شلّح من كتاب فتحي الشقاقي (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل) أهم عاملين لانتصار الثورة، وهما:

أ-الحل الإســـلامي: الثورة نهوض من أجل الإسلام وباسم الإســـلام، وهو مصدر قوة الأمة ومنبع شخصيتها وكيانها الذي هو الإســـلام وقدرتها على توظيف طاقته في مشـــروع نهوضها وفي خضم بحثها عن موقع لها على المســـرح الدولي، فمرجعية الإمام والثورة هي القرآن والسُنّة والتراث الصالح.

ب-البديـــل: رفـــض التغريب داخل المحتـــوى الفكري للإمام ونهضتـــه، وضد التحديث علـــى النمط الغربي، والتصدي للتبعية للغرب في كل المجالات، فنهضة الأمة يجب أنْ تقوم على أرضية فكرية تنبثق من الإســـلام وليس قادمة من الغرب [111].

ثانياً: عوامل الانتصار من وحي مقاومة الحزب

في محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان بدمشـــق [112] اســـتنتج رمضان شلّح ثلاثة عوامل لانتصار المقاومة في لبنان، هي:

أ-عامل الإنســـان: إنَّ المقاومة انتصرت بفضل إنســـان المقاومة، الذي واجه الدبابـــة والطائرة والصاروخ والســـلاح الإسرائيلي المتمور... الإنسان المقادم إلى الموت بفرح باحثاً عن الشهادة.

---

[110] - مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.

[111] - كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإســـلامية في إيران،2003م.

[112] - محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشـــق، 4-6-2000م.

ب-عامل الوحدة: إنَّ الشعب اللبناني بكامل قواه وبكامل طوائفه والسلطة والمقاومة في تكامل وظيفي مبدع، اســتطاعوا أنْ يحققوا نوعاً من الانسجام الداخلي المنقطع النظير.

ج-عامل القوة: اســتطاعت المقاومة أنْ تطور إمكاناتها العسكرية والتقنية، واستطاعت كحالة مقاومة شعبية أنْ تفرض نوعية الســلاح وتوقيت المعركة وموقعها وإمكانها، فأبطلت مفعول القوة العسكرية الإسرائيلية.

وفي موضع آخر [113] تحدث عن أســباب انتصار حزب الله بالنقاط التالية:

1- العامل البشــري (إنسان المقاومة): التفوّق النوعي في إرادة القتال والروح المعنوية...

2- العقيــدة الصلبة: زرعت روح التضحية والفداء والانضباط والإيمان بالله والقضية...

3- نظــام التعبئة: الجمع بين التنظيم الحديدي المغلق، والتيار الجماهيري المفتوح....

4- القيادة الموحدة للمقاومة: التي رأس حربتها حزب الله وقدرتها على إدارة المعركة العســكرية والسياسية بكفاءة.

---

[113]- محاضرة بعنوان (القضية الفلســطينية وانتصار المقاومة في لبنان)، دمشق،6-6-2000م

المبحث الثالث: الثورة الإسلامية في إيران.. مفارقات وإضاءات

أولا: الثورة الإسلامية في إيران .. مفارقات:

1- خروج مصر.. ودخول إيران:

"انتصار الثورة الإسـلامية في إيران عام 1979م بقيادة الإمام الخمينية - رضي الله عنه- تزامن مع خروج مصر من المعركة مع إسرائيل بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وخروج مصر من المعركة ألقى بعبء الصمود والمواجهة كاملاً على سـوريا، ومن رحمة الله بالأمة الإسلامية وبسوريا وبالعرب جميعاً كان انتصار الثورة الإسلامية وسقوط نظام الشاه الحليف الاستراتيجي لإسرائيل في المنطقة، ولنا أن نتخّيل كيف يُمكن أنْ يكون شكل المنطقة لو تزامن كامب ديفيد مع بقاء نظام الشاه مغروساً في قلب الأمة وقاعدة استراتيجية للمشروع الغربي الصهيوني في المنطقة [114].

2- حرب انتهت .. وحرب بدأت:

"عندمـا واجهت الثورة تحـدي الحرب المفروضة، التي جاءت ضمن سـياق المؤامرة الأجنبية على الثورة ومحاولـة اجهاضها منذ اليوم الأول، الثورة رفعت شـعار (حرباً حتـى النصر...زحفا حتى القدس).وعندما صدر قرار وقف الحرب وقال الإمام الخميني عبارته الشهيرة "إنَّ تجرع السُم أهون علي من وقف الحرب"، والمُفارقة هنا أنَّ الله قد أبدله حرباً خيراً من تلك الحرب، حرباً هي أقرب في الزحف نحو القدس، وأنها على تخـوم الكيـان الصهيوني الغاصب للقدس، حربـاً خاضها أبناء وتلاميذ الإمـام الخميني من جنود حزب الله والمقاومة الإسلامية ضد خيبر الجديدة [115].

3- سقوط القدس.. وانتصار الثورة:

ينطلق الدكتور رمضان شـلّح من كتاب الدكتور فتحي الشقاقي (الخميني - الحل الإسلامي والبديل)، ليتحدث عن الإمام النموذج والمشـروع الإسـلامي النهضوي الحضاري، ويبدأ من قوله: "على المسـتوى المشرق الإسـلامي إذا كان سـقوط الدولة العثمانية عام 1924م، وقيام الكيان الصهيوني عام 1948م أهم حدث في النصف الأول من القرن العشـرين، فإنَّ انتصار الثورة الإسـلامية في إيران عام 1979م كان الحدث الأبرز بعد سـقوط القدس عام 1967م في النصف الثاني من القرن العشـرين ... الكيـان الصهيوني والجمهورية الإسـلامية نقيضان وقلعتان، أحدهما لمطلق الشر والآخر لمطلق الخير المحكومين بالصراع في الحياة" [116].

---

[114] - محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشـق، 4-6-2000م.

[115] - المرجع السابق

[116] - كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإسـلامية الإيرانية، دمشق، 2002م.

ثانياً: الثورة الإسلامية في إيران. إضاءات :

1- إمكانية النهوض من جديد

"بعد نقطة الصفر وفي نفس العام الذي تصل فيه نقطة الســالب بالاعتراف بشــرعية إسرائيل والتوقيع على كامــب ديفيــد ، كانت الأمة على موعدٍ مع نقطة مُضيئة مــن الله، على قدر جاء الامام الخميني - رضوان الله عليــه - وفجّر الثورة الإســلامية في مثل هذا الوقت قبل (23) عاماً ليقــول للغرب، صحيح أنَّ الأمة تضعف وأنَّ الأمة تهمد، لكنها لا تموت، واذا بالمشــروع الإسلامي الذي فجّره الإمام يُمثل بارقة أمل وشمعة مضيئة وســط هذا الظلام الدامس والهيمنة الغربية الكاســحة والمهيمنة على العالم، وإذا بالإمام يقرع ويهز أبواب العالم ويقول: إنَّ للإســلام دوراً، وانَّ للمســلمين قدرة، وإنَّ إمكانية النهوض من جديد ليبدأ الإســلام دورة حضارية جديدة وهجوماً إســلامياً مُضاداً، هذه الفرصة لا زالت قائمة، وشرارة الانطلاق كانت لحظة انتصار الإمام الخميني[117] ...

2- الإسلام منطلق الثورة:

"الثورة الإســلامية كانت حدثاً فريداً ليس في تاريخ الإســلام والمنطقة فقط، بل والعالم كله، فقد مثلت الثورة الإســلامية نقطة فاصلة في تاريخ النهوض الإســلامي، البعض كان يعتقد أنَّ الإسلام شيء يتعلق بالماضي، الإمام الخميني - رحمه الله - جاء بالثورة ليدك حصون هذا العالم ويوقظ النائمين ويقول لهم إنَّ الإسلام جاء من جديد لقيادة الحياة، هذا الحدث على هذا المســتوى كان له دور كبير في إيقاذ ضمائر ومشــاعر وعقول الفلســطينيين ليبحثوا من جديد على موقعية الإســلام في حياتهم وعن قربهم وبعدهم من هذا الإسلام" [118].

3- التغيير يبدأ من النفس:

" إنَّ الإمام الخميني -رحمه الله-والثورة الإســلامية أبرز قدرة الشعوب على التغيير، إذا عمّ الظلم والطغيان، لا يمكن أنْ ننتظر أن يأتي الله - سبحانه وتعالى - بمعجزات وأن تكون من القاعدين منتظرين أنْ تهبط علينا منح من الســماء لتغير أحوالنا، كلا " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِــهِمْ"، الإمام الخميني أخذ زمام المبادرة وفجّر الثورة الجماهيرية التي غيّرت واقعها وأنهت الظلم والفســاد"[119] .

---

[117] -المرجع السابق.

[118] - مقابلة مع وكالة (قدســنا) للأنباء، طهران، 12-2-2007م.

[119] - ــــــــ

مصادر الفصل الثالث

1- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم)، 21-10-2007م.

2- مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.

3- كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإســلامية في إيران،2003م.

4- محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشــق، 4-6-2000م.

5- محاضرة بعنوان (القضية الفلســطينية وانتصار المقاومة في لبنان)، دمشق،6-6-2000م.

6- محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشــق، 4-6-2000م.

7- محاضرة في ذكرى رحيل الإمام الخميني وانتصار المقاومة في لبنان، دمشــق، 4-6-2000م.

8- كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإســلامية الإيرانية، دمشق،2002م.

9- كلمة في الذكرى (33) لانتصار الثورة الإســلامية الإيرانية، دمشق، 2002م.

10- مقابلة مع وكالة (قدسنا) للأنباء، طهران، 12-2-2007م.

11- مقابلة مع وكالة (قدسنا) للأنباء، طهران، 12-2-2007م.

قضايا ومفاهيم في فكر رمضان شلّح

الباب
الرابع

الفصل الأول: الوحدة في فكر رمضان شلُح

المبحث الأول: فلســطين قضية الأمة المركزية.. لماذا وكيف؟

أولاً: الأمة الإسلامية.. أمة واحدة يوحدها الإسلام

1- أمة واحدة تجمعها رابطة الدين

أ- إننــا أمــة واحدة، "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِـدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"، الأمة هي الجماعة البشــرية الحاملة لرسالة الإســلام، وتضم مختلف الشعوب الإسلامية مهما اختلفت قومياتها ولغاتها وألوانها.

ب- إنَّ الرابطة التي تجمع الأمة الإســلامية هي الدين علــى قاعدة العبودية لله " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"، وحبل الله هو دين (الإســلام) " وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" [120].

2- الدين الإســلامي والخطر الصهيوني .. قواسم مشتركة للوحدة

" نحن أمة لم تتوحد عبر تاريخها الا بالإسلام، فالإسلام وحده هو الذي يستطيع توحيد المسلمين، هذه حقيقة بل مُســلّمة من مُســلمات وجود أمتنا وتاريخها، ولكن إذا كان هذا غير ممكن في الظروف الراهنة لأســباب وتحديات كثيرة، فيجب أنْ نبحث عن القواسم المشتركة بين كافة قوى الأمة لتحقيق الحد الأدنى من التضامن العربي والإســلامي. إنَّ أول مســتلزمات تكوين جبهة.. هو إدراك حجم الخطر الذي يتهدد أمتنا من الوجود الصهيوني وإدراك عناصر القوة لدى الأمة"[121] .

ثانيا: الوحدة من خلال التعدد في الحركة الإسلامية:

أ- إنْ كان الإســلاميون يأخــذون على الواقع العربي حالة التجزئة والتشــرذم ويصفــون كل نداءات الوحدة العربية والإســلامية بين الأقطار بعدم المصداقية والجدية، فماذا عن واقعهم وحالهم هم؟.

ب-هل يمكن للحركة الإســلامية التي تعيش حالة التشــرذم والانقسام.. أنْ تعد الأمة بوحدتها إذا مُكن لها في أقطارها؟

ج-وحدة الحركة الإســلامية لا يعنى أنْ تتحول الحركة في مجموعها إلى فصيل واحد بالضرورة، ولذلك قلنا في البداية (وحدة العمل الإســلامي)، وليس (وحدة الحركة الإسلامية).

د- هذا يعني أنه رغم التعدد والاختلاف في الرأي بين الفصائل المختلفة للحركة الإســلامية، فلابد من وجود حد أدنى من اللقاء يســمح بصياغة رؤية مستقبلية للعمل الإسلامي [122].

---

[120] - دراســة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

[121] - مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.

[122] - دراســة بعنوان (الحركة الإسلامية ومهام المرحلة الراهنة)، مجلة (الأمة)،1-9-1991م.

ثالثاً: الوحدة طريقة التحرير

في كلمة ألقاها رمضان شـلّح يوم القدس العالمي [123] أكد فيها على أنَّ وحدة الأمة الإسـلامية ونهضتها هو الطريقة التحرير فلسـطين، وحل إشـكالية الجدل حول ثنائية الوحدة والتحريـر، ومما جاء في كلمته: " إنَّ وحـدة الأمة هـي المفتاح لتعديل الخلل في ميزان القوة بيننا وبين عدونـا، لذلك فإنَّ الطريق لتحرير القدس وفلسـطين يبدأ باستنهاض الأمة لتحقيق وحدتها، إنَّ الجدل حول ثنائية الوحدة والتحرير أصبح محسوماً في عقولنـا ووعينـا، فلابد من تحقيـق الوحدة لبلوغ هدف التحريـر، وإذا كانت الوحدة العضويـة أو الكيانية السياسـية صعبة أو مسـتحيلة اليوم ... فلنتفق على : وحدة هدف، ووحدة قضية، ووحدة مصالح، ووحدة أولويات صحيحة، ووحدة القاسم المشترك الذي يُمكن أنْ يجمع الأمة رغم اختلاف مشاربها. في يوم القدس نسـتطيع أنْ نقول أنَّ القدس هي القاسم المشـترك الذي يُمكن أنْ يجمع الأمة، والقاسم المشترك الذي يُمكن أن يتجـاوز واقع التجزئة والشـرذمة، والقدس عنوان لوحدة الأمة، ويجب أنْ يُصبـح هذا العنوان برنامجاً للعمل.

إنَّ تحقيق الوحدة في هذا البرنامج يُمكن أنْ يتم على مسـتويين:

المستوى الأول: تحقيق وحدة هذا الوطن

المستوى الثاني: تحقيق وحدة أهل القبلة

... وحدة (أهل الوطن)، ووحدة (أهل القبلة) هو الأسـاس الذي يُرشد المسيرة ويحقق التحام الأمة والتفافها حول الخيار الذي يُقرّبها إلى القدس وفلسطين ويضع أقدامنا على طريق النصر والتحرير... إنّه خيار الجهاد والمقاومة.

[123] - كلمة في (يوم القدس العالمي)، 2008م.

المبحث الثاني: الوحدة الوطنية

أولاً: مرتكزات الوحدة الوطنية

يرى رمضان شـلّح أنَّ الوحدة الوطنية الفلسـطينية في مرحلة الكفاح الوطني ليست ترفاً وليست خياراً، بل إنها واجب وضرورة مصيرية، وشـرط وجود للكل الفلسـطيني، ويستشـهد على ذلك بشـعارات الشعب في مرحلة الانقسام "الشعب يُريد إنهاء الانقسام .. الشعب يُريد إنهاء الاحتلال" فالتخلّص من الانقسام والاحتلال هدفان مُتلازمان، لأنَّ الوحدة والحرية وجهان لعملة واحدة... ويخرج رمضان شـلّح من هذا الاسـتنتاج إلى تحديد أربعة مرتكزات للوحدة الوطنية هي [124]:

1- الهدف:

ليـس هناك حركة تحرر وطني فـي التاريخ اعترفت بعدوها قبل تحقيق أهدافهـا... منظمة التحرير اعترفت بعدوها في مقابل اعترافه بها كمؤسسـة.... حتى لو اختار الشعب الفلسطيني المرحلية وتجزئة الأهداف كان ينبغـي أن يُترك أمر الاعتراف والصلح للشـعب الفلسـطيني كلـه عندما يصبح له دولـة ليُقرر.. فهذا خطأ استراتيجي فادح في إدارة الصراع.

2- الوسيلة:

وسيلة الوصول إلى الهدف (التحرير) هل هي المفاوضات أم المقاومة؟، أظن أنَّ تجربة المفاوضات ومعركة غزة تُجيبان على هذا السـؤال، فالأولى وصلت إلى طريق مسدود وأثبتت عقم هذا الخيار، والثانية تفتح أُفقاً جديداً للمقاومة، ويكفي التفاف الشـعب حولها، واستعداده لتّحمل تكلفتها العالية.

3- المؤسسات:

السـلطة.. هي التي تحرف المسـار الوطني من صراع مع الاحتلال إلى صراع فلسـطيني -فلسـطيني على السـلطة والمنظمـة ... فتحولت إلى مشـكلة.. وتجاذب داخلـي.. بدلاص من أنْ تكون الإطـار الجامع للكل الفلسـطيني ووعاء الشراكة في القرار ... كي تُجسّـد المنظمة من جديد الهدف الذي قامت من أجله (تحرير فلسطين).

4- التهديد:

التهديد الإسـرائيلي ... إنَّ شراسـة العدوان الصهيوني الذي يسـتهدف الأرض والإنسـان والمقدسات، أو التاريخ والجغرافيا، تفرض علينا أن نتجاوز الكثير من التناقضات الثانوية بيننا، وأنْ يظل التناقض الرئيسي لنا جميعاً هو مع دولة الاحتلال. لا شـك أنَّ التهديد الإسـرائيلي عامل توحيد كبير، لكن هذا لن يحدث برأي شـلّح دون الوقوف بشـجاعة وشـفافية لإجراء مراجعة لكل العناوين السـابقة، حتى يتم تصحيح المسيرة وتصويب المسـار.. لتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية في مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين.

---

[124] - مقابلة مع مجلة (الدراسـات الفلسطينية)، العدد(100)، خريف 2014م.

ثانياً: الوحدة من خلال التعدد بين حماس والجهاد:

"رغم سلبيات العلاقة في الماضي بين حركتي حماس والجهاد نحن ندرك معاً أنَّ خلافاتنا اليوم مهما كان حجمها لا تتناسب مع حجم التحديات والمخاطر التي تتعرّض لها أمتنا وقضيتنا المركزية فلسطين التي تستوجب الوحدة، فالوحدة بالنسبة لنا هي الهدف الأكبر، وإذا تعذّر تحقيق وحدة الإطار، فنحن حريصون على وحدة العمل الإسلامي والنضالي ... ليس مطلوباً أنْ نكون نسخة كربونية تحمل رؤية موحدة لكل شيء، المهم أنْ نؤسس نوعاً من التعايش الأخوي والتنوّع الإيجابي والتعاون في طلب الحق من أجل بلورة مواقف مشتركة إزاء القضايا المصيرية للأمة، نحن نسعى جادين لتحقيق المؤاخاة والتناصر في السرّاء والضراء بين الحركتين وصولا إلى الوحدة الكاملة إنْ شاء الله" [125].

ثالثاً: الوحدة من خلال التعايش بين برنامجي المقاومة والمساومة

" رؤيتنا قائمة على أنَّ هناك برنامجين في الساحة الفلسطينية، برنامج المقاومة وبرنامج المفاوضات السياسية والتسوية، ولا يمكن الجمع بينهما، ولكن يمكن أن يتعايش أصحاب البرنامجين، بأن لا يُلغي كل طرف الطرف الآخر... أي أننا نؤمن بالشراكة لكن ليس على قاعدة الخلط بين البرنامجين، بل على قاعدة التمايز وتوزيع الأدوار، إلى أن تتحسّن موازين القوى المحلية والإقليمية والدولية، أمَّا هذه المرحلة التي فيها ضعف للوضع العربي والإسلامي والانحياز المُطلق لإسرائيل دولياً وأمريكياً ليست هي المرحلة التي يدخل فيها الشعب الفلسطيني في تدافع وتنازع داخلي على الخيارات والبرامج" [126].

---

[125] - مقابلة مع مجلة (الدراسة الفلسطينية)، العدد (37)، شتاء 1999م.

[126] - مقابلة مع صحيفة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م.

مصادر الفصل الأول

1- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
2- مقابلة مع جريدة (الفجر) الإيرانية، 6-2-1997م.
3- دراســة بعنوان (الحركة الإسلامية ومهام المرحلة الراهنة)، مجلة (الأمة)،1-9-1991م.
4- كلمة في (يوم القدس العالمي)، 2008م.
5- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد(100)، خريف 2014م.
6- مقابلة مع مجلة (الدراســة الفلسطينية)، العدد (37)، شتاء 1999م.
7- مقابلة مع صحيفة (الشرق) القطرية، 23-3-2008م.

الفصل الثاني: العروبة في فكر رمضان شلّح

المبحث الأول: نقد المشروع القومي العربي

يرى الدكتور رمضان شـــلح أنَّ أفكار المشـــروع القومي العربي لإعادة بعث الأمة الواحدة لم تسلم من حالة التبعية للفكر الغربي، فطرحت وحدة الأمة على أســـاس عناصر، مثل: وحدة اللغة، ووحدة المصالح، ووحدة الإرادة، ووحدة الأرض والإقليم، ووحدة التاريخ والتراث المشـــترك ووحدة المصير المشترك ... دون إشارة صريحـــة إلى الدين كعامل توحيد مع حصره في التراث الروحي للأمة، واتهامه من بعض القوميين أنّه عامل تفريق بســـبب وجود المســـيحيين العرب، وعامل تخلّف ورجعية عند (التقدميين) ، هذا الطرح بنظر رمضان شـــلّح يُثير بعض الملاحظات التي أجملها في دراسته (حول سؤال الانتماء والهوية) [127] بالآتي:

1- يغفل دور الدين الإســـلامي في أصل نشـــأة هذه الأمـــة، رغم وجود العرب قبل الإســـلام كقبائل متناحرة يســـودها البؤس في كل مناحي الحياة الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

2- يغفل طريقة التكوين التاريخي للأمة ودور الإســـلام في إنشـــائها من جماعات وشـــعوب مختلفة جمعتها رابطـــة العقيدة التي لا تحدها جغرافيا ولا تُلغيها مصلحة.

3- دعاة الحداثة من أصحاب المشـــروع القومي وقعوا في ذات التناقض الذي عانت منه الفلسفة الغربية في النظرة إلى العقـــل، فمن تأليه العقل كمرجعية مُطلقة إلى عدم اعتبار العقل من محددات الانتماء.

4- تبنى العلمانية كمحتوى ومضمون اجتماعي وثقافي للمشـــروع القومي بحجة أنَّ الدين يستبعد الآخر غير صحيـــح ... فقـــد عاش اليهود والنصارى أزهى عصورهم في ظل حضارة الإســـلام تحت قاعدة (لا إكراه في الدين).

5- عندما وقف القوميون ضد فكرة (الرابطة الإسلامية)، وثاروا على الدولة العثمانية، فانتقلوا إلى التحالف مع بريطانيا عدوة العرب والمســـلمين وحليفة المشروع الصهيوني.

---

[127] - دراســـة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

المبحث الثاني: العروبة والإسلام

أولاً: عروبة رسالة الإسلام

" يقول الله تعالى مُخاطباً رسوله الكريم "إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ"، ولم يقل القرآن للنبي "لك ولأمتك"، بل قال "لك ولقومك"، الذين هم العرب ليؤكد أنَّ الذكر (الإسلام) أُرسل لهم ابتداءً، وعلى عاتقهم وقعت مسألة توصيله للناس كافة، "وسوف تُسألون"، وقد ذكر القرآن عروبة الرسالة إحدى عشرة مرة، تارةً بوصفها "قرآناً عربياً"، وتارةً "حُكماً عربياً"، وأُخرى "لسان عربي" ... الإسلام جعل من العروبة ظاهرة عالمية.. الرسالة عالمية لكن وعاء أو وسيلة نقلها (اللغة) عربية ... ولا يُعقل الفصل بين محتوى الرسالة ووعائها بجعل الأولى عالمياً والإبقاء على الثاني محلياً، إنَّ الدمج المُعجز بين المحتوى والوعاء واضح في قوله تعالى: " وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ"، فاللسان هنا هو القرآن أو الرسالة بمحتواها ولغتها وبالمضمون والخطاب" .

ثانياً: العرب مادة الإسلام

"هناك معركة مؤسفة وطاحنة بين جناحي الأمة الأساسيين: العروبة والإسلام، والفصام النكد الذي وقع طيلة عقود مضت بين العروبة والإسلام لم يكن مُطلقاً في صالح هذه المعركة التي تخوضها الأمة.. كم يُساوي العرب بدون الإسلام؟، العرب مسيحيون ومسلمون، لقد عاش المسيحيون واليهود في ظل الدولة الإسلامية آمنين.. العرب هم مادة الإسلام، القرآن هو لسان عربي ... لماذا يكون لنا مشكلة داخل البيت تحت عنوان عروبة وإسلام؟!، الإسلام الذي نستمد منه مفاهيم وقيم الاستشهاد والجهاد والمقاومة والكفاح وعدم إعطاء الدنية في ديننا، وعدم إعطاء الدنية في أرضنا وعرضنا... لا أحد له مشكلة مع هذا الإسلام؛ المشكلة مع الانحرافات والأخطاء التي تُرتكب باسم الإسلام، وهي ليست من الإسلام" .

ثالثاً: القومية شيء والعروبة شيء آخر

" في الأساس النظري أنا أؤمن أنَّ هناك فرقاً بين العروبة والقومية.. العروبة شيء والقومية شيء آخر.. العروبة مُلتصقة بالإسلام، بل هي الوعاء الذي نشأ فيه، واختيار العرب لحمل رسالة الإسلام من قبل الله عزّ وجل - لم يكن عرضياً- حمل العرب الرسالة وكانوا أهلاً لهذا الاصطفاء الربان ، ونظراً لعالمية الرسالة دخلت شعوب أُخرى وأقوام أخرى الإسلام، وذابت وانصهرت فيه، بل إنَّ كثيرين تعرّبوا بالإسلام، فعلاقة العروبة والإسلام أكثر من أنْ تقول عنها وجهين لعملة واحدة، بل هي عملة واحدة جوهرها دين الإسلام كنظام حياة ولسانها وابجديتها العربية...

---

[128] - مقال بعنوان (ما جرى في الخرطوم ويجري في غزة)، جريدة (الاستقلال)، غزة، 2-4-1995م.

[129] - محاضرة بعنوان (الانتفاضة: طبيعة الصراع وإدارته وأدواته وأفقه)، دمشق، 11-6-2001م.

الاصطفاء الرباني للعرب لحمل الرسالة لم يكن على أساس تفوّق عرقي على طريقة (شعب الله المختار)، وهذا الفهم لمسألة القومية هو الذي يُثير قوميات أُخرى ويجعلها تبحث عن ذاتها وهويتها في إطار الكيانية الكبرى للأمة، الكيانية التي أنشأها الإسلام لتتسع كل الشعوب وكل الأجناس وكل الألوان على قاعدة (إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم).

عندما نطرح القومية على الطريقة الأوروبية في الأمة نجد أنفسنا أمام قومية تركية طورانية، وقومية كردية، وقومية فارسية، وقومية عربية، وغيره وهذا تقزيم للعروبة وهبوط بها عن المستوى والدور الذي أراده الله لها، بل هو فك ارتباط بينها وبين الإسلام، كما أنَّ القومية بذلك تتحوّل إلى أداة تفسيخ وتفتيت للأمة لا طريق للوحدة، وهذا ما حدث عندما حاول البعض محاكاة أتاتورك واختار العلمانية كمحتوى أيديولوجي للمشروع القومي العربي" [130].

[130] - مقابلة مع جريدة (الأهرام) المصرية، بدون تاريخ.

مصادر الفصل الثاني

1- دراسة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.
2- مقال بعنوان (ما جرى في الخرطوم ويجري في غزة)، جريدة (الاســتقلال)، غزة، 2-4-1995م.
3- محاضرة بعنوان (الانتفاضة: طبيعة الصراع وإدارته وأدواته وأفقه)، دمشــق، 11-6-2001م.
4- مقابلة مع جريدة (الأهرام) المصرية، بدون تاريخ.

الفصل الثالث: الشهادة في فكر رمضان شلّح

المبحث الأول: ظاهرة الاستشهاديين والعمليات الاستشهادية

أولاً: العمليات الاستشهادية مشروعة دينياً

1- العمليات الاستشـــهادية برأينا قُربى دينية وضرورة سياســـية وعســـكرية تقتيضها طبيعة المواجهة مع العدو، وهي في فهمنا للإســـلام من أشـــرف درجات الجهاد؛ كما يقول العلماء، فنزول المجاهد للقتال بقصد إيقـــاع إصابات أو إلحاق الضرر بالعدو أو بث الرعب في صفوفه، وذلك بدون أي تفكير للرجوع من المعركة حياً ســـماه بعض العلماء (الاستشـــهاد المبرر) وكتب التفســـير والحديث والســـيرة والفقه مليئة بآراء أئمة العلماء والمذاهب التي تصب جميعها في اتجاه الحكم بمشروعية العمليات الاستشهادية ضد اليهود الغاصبين لفلســـطين، لقد أجاز العلماء أن ينزل نفر واحد من المســـلمين لمقاتلة ألف مـــن جنود العدد بما يعني الموت المحتوم إذا كان يبتغي وجه الله وقهر العدو.

2- في تفســـير القرطبي للقرآن الكريم ورد ما معناه: " لا بأس أن يحمل واحد من المســـلمين على ألف من المشـــركين، إذا كان فيه نفع للمســـلمين، فتلفت نفســـه لإعزاز دين الله، فهو المقام الشريف الذي وعد الله به المؤمنين في قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ اشْـــتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ".

3- تاريخ المســـلمين حافل بقصص البطولة والفداء التي نفذ فيها المســـلمون عمليات استشهادية في حدود أدوات وإمكانيات عصرهم، الصحابي الجليل البراء بن مالك حمله الصحابة وألقوه في الحديقة التي سُـــميت حديقـــة الدم يـــوم موقعة اليمامة ليفتح للمســـلمين باب الحديقة الذي تمترس خلفـــه الأعداء، والصحابة في البداية رفضوا الاستجابة لطلبه إشفاقاً عليه، لأنهم أدركوا أنه يطلب الموت المؤكد وربما لا يتمكن من تحقيق الهـــدف، لكنهم أمام إصراره و اســـتعداده للموت فعلوا ذلك وألقوه وحيداً طعماً لســـيوف العدو، وغيرها من الأمثلة مثل قصة الفيلة يوم موقعة الجسر حين ألقى المسلمون بأنفسهم بين أقدام الفيلة لقطع حبالها، فداست الفيلة قادة من أبطال المسلمين [131].

ثانياً: العمليات الاستشهادية ليست انتحاراً

بالنســـبة للأمل في النجاة فالقرآن وصف القتال في بعض الآيات بالموت " إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُـــمْ"، على اعتبار أنَّ خوض القال يعني احتمال وقوع الموت بدرجة عالية جداً... والخروج للقتال يعني الخـــروج للموت، وثواب المجاهد يكون أعظم، ودرجته عند الله أعلى كلما زادت درجة تأكد الموت وقلت

---

[131] - - مقابلة مع قناة(المستقلة)،6-5-1996م.

احتمالات نجاته في العملية التي يقوم بها، والقصة المشهورة في موقعة بدر أنَّ عوف بن عفراء سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا رسول الله ما يُضحك الرب من عبده ؟، فقال : " أن يراه غمس يده في القتال حاســـرا"، أي قاتل بدون درع، فنزع عوف درعه و تقدم فقاتل حتى قُتل شـــهيداً... فأراد أن يضمن الشهادة حتى يُرضي ربه. عن قتل المســـلم بسلاحه لا بسلاح عدوه، فهذه مســـألة مُعتبرة في الفقه الإسلامي، فهناك ما يُعرف بقاعدة (التترس)، بمعنى إذا تترس العدو بأســـرى المسلمين وصنع منهم جداراً بشرياً يحتمي خلفه من ضربات المســـلمين، أجاز الفقهاء ضربهم بســـلاح المسلمين إذا كان هناك ضرورة لقتال العدو، ولا يمكن الوصول إليه إلاّ بهذه الطريقة، وعليه فإذا كان الهدف من العملية التفجيرية هي ضرب العدو وليس التخلص من الحياة فهي عملية استشـــهادية وليس انتحاراً هدفه التخلّص من الحياة يأسا وجزعاً" [132].

ثالثاً: ظاهرة الاستشهاديين تبتكر توازن الرعب

عندما نحتفل بذكرى الشـــهيد يحيى عياش وتلامذته الاستشـــهاديين، فإننا نحتفل بالاستشهاديين كظاهرة من ظواهر نضال شـــعبنا الفلســـطيني وأمتنا... لقد قيل لنا يوم انطلقت عملية التسوية من مدريد، ماذا ستفعلون أنتم الآن على طرفي الخيار؟.. أنتم في مأزق إما الانتحار، وإما الإذعان، فماذا ســـتفعلون؟. هنا كانت عظمة الشـــهداء، وهنا تقدم يحيي عياش وإخوانه الاستشـــهاديون ليضعوا ابتكار التوازن، ولينقلوا الرعب ولينقلوا المـــأزق إلـــى جبهة العدو، فيقع هو في مـــأزق، كان ابتكار التوازن الذي صنعه الاستشـــهاديون معجزة في تاريخنا.. الاستشـــهاديون الذين تقدموا بالاستشـــهاد في زمن الهزيمة، في زمن الاستسلام، في زمن أصبح الخنـــوع فيـــه هو الظاهرة التـــي يجري تعميمها.. هنا تحقـــق التوازن، توازن الرعب مـــع العدو، بأن نقلوا المعركة إلى قلبه وعقر داره .

---

[132] - المرجع السابق

[133] - كلمة في الذكرى الثالثة لاستشـــهاد يحيى عياش، بدون تاريخ

المبحث الثاني: قيم ومعاني مستوحاة من الشهادة والشهداء

أولاً: الشهادة والشهداء .. حياة

1- الشهادة حياة للشهداء ولشعبهم

" نحن اخترنا الحياة في لونها الوردي وشكلها الوردي، نحن انتقينا حلاوة الانشطار والانتشار كالضوء كالغبار الحلو في الوطن، كي لا يرهق ميزانيات الجيوش والعروش الفاخرة ثمن الكفن، نحن قررنا بأنَّ نحيا نيابة عن موتى وهبوا ظهورهم للأنظمة كما تهب الأوطان للشيطان... نحن انفجار الحق ضد من عقروا خيولهم، وحالوا دوننا ودون قدسنا سبية، يلتف حولها حول جيدها ثعبان.. سمّوه في الزمن المؤمرك الاستيطان، نحن الرد ونحن الوعد يا عرب الفضائح والمدائح .. يا من تقايضون الدين بالدولار.. يامن تغرزون حصون خيبر، وتطاردون نيابة عنها أمير (ذو الفقار) [134].

2- من لا يقوى على الشهادة لا يقوى على الحياة

" حين يمنعنا الغزاة حقنا في الحياة الحرة الكريمة فإنهم لا يستطيعون منعنا حقنا في الموت بشرف.. علينا أن لا ننتظر الموت أو الشهادة، بل نمشي إليها مبتسمين " ويا شعبنا العزيز.. من لا يقوى على الاستشهاد لا يقوى على الحياة" [135].

3- الشهادة حياة تبزغ مع الفجر

"أي فجر لجهادي.. يبزغ الآن حياة لهنادي... بسمة الثلج.. كبسمة الصبح .. كزهرة اللوز.. كوردة الصبح تغفو على صدر حيفا.. حصاناً يطير على شكل رمح وطيف حمامة.. على شاطئ البحر.. على قمة الكرمل الليلكي .. يطير قرآنها سرب العصافير فوق الغمامة.. لا شيء يمنعها الآن من فرحة الموت.. لا علم يكفي لفك رموز الشهادة" [136].

4- الشهداء لا يموتون.. إنهم يعودون انفجاراً ولهيباً يحرق الأعداء

"خذوا دمنا لتبقى فلسطين.. خذوا أرواحنا لتحيى فلسطين .. خذوا كل شيء كل شيء وابقوا لنا سلاحنا.. وأبقوا لنا بنادقنا.. بنادق الثوار الأحرار.. لترسم لنا خريطة فلسطين شلالاً من الدم الواصل بين رفح الشقاقي وجنين القسام ... قم يا إياد.. قم لتمسح عن قلوبنا أوساخ الدنيا وهمومها وعذاباتها.. قم لتمحو بدمك أكاذيب السلام المفخخ .. قم وانبعث فينا من جديد لتسقي أحفاد القردة والخنازير بسيف السرايا كؤوس المنايا.. قم أيها القائد العملاق لتثبت للجميع أنَّ الشهداء لا يموتون .. إنهم يعودون انفجاراً ولهيباً يحرق الأعداء" [137].

---

[134] - مقال بـ (جريدة الاستقلال)، مرايا محمد الفاتح، 27-1-1997م.
[135] - مقال بـ (جريدة الاستقلال)، 9-9-1999م.
[136] - مقال بـ (جريدة الاستقلال)، بدون تاريخ.
[137] - كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان، جنين 6-4-2001م

5- الشهداء أكثر منا حياة

"أسعد لم يمت.. من قال أسعد مات فقد خالف كلام الله عز وجل الذي يقول لنا (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ)، أسعد أكثر منا حياة الآن، هو وإخوانه الشهداء ... هم جميعاً أكثر منا حياة الآن كما كانوا بالأمس أكثر منا شجاعة وأكثر منا نخوة وشهامة أكثر منا غيرة على الأرض والعرض والشرف والدين والمقدسات، هكذا هم الشهداء، وهكذا هم الاستشهاديون" 138.

6- الشهادة ميلاد جديد لآلاف المقاومين والمجاهدين

" لا تفرحوا كثيراً ولا تظنوا أن قتل لؤي السعدي يعني نهاية المقاومة، إنه ميلاد جديد لآلاف المقاومين والمجاهدين الذين سينبتون من دمه ويسيرون على خطاه بإذن الله .. هكذا هو شعبنا، وهكذا هي أمتنا.. إنَّ قتل قائد لا يعني مقتل شعب أو نهاية قضية، بل هو ميلاد جديد للشعب وللقضية" 139.

7- الشهداء هم الأحياء

" نعم الشهداء هم الأحياء، أما الأموات فهم أصحاب الأحياء الفانية التي تتحرك على الأرض بلا أرواح، وبلا ضمائر مدفونة في الخطايا والآثام، خطايا التفريط بالقدس والجري من جديد وراء السراب والوهم" .

زها فو الخطايا والأقام خطايا التفريط بالقدس والجري من جديد وراء السراب والوهم ..140

ثانياً: دم الشهداء يروي شجرة المجاهدين والانتصار

1- الشهادة مفتاح الحل وطريق الخلاص

"أصوات الشهداء الذي يؤكد أن الجهاد والجهاد المسلح هو السلاح الوحيد لانتزاع حقوقنا وتحرير أمتنا وتثبيت وجودنا وفرض إرادتنا في معركة المصير، إنَّ الشهداء هم الذين يرسمون لنا بدمهم الطاهر معالم الطريق نحو الخلاص والحرية إنهم يقولون لنا إنَّ مفتاح الحل والخروج مما نحن فيه... استمرار الجهاد والمقاومة، وأن تكون مقاومتنا موّحدة لا متناحرة" 141.

2- دم الشهداء يروي شجرة الجهاد والمقاومة

" يا أخي محمد نحن نعرف أنك لم تكن الأول في قافلة الشهداء، ولم تكون الأخير، لكن القافلة في غيابك ستمضي كما لو كنت على رأسها بروحك ودمك ترتوي شجرة الجهاد اليوم لتصبح أصلب عوداً... فنم قرير العين يا أمير المجاهدين، فإنَّ إخوانك وتلاميذك سيمسحون بالثأر لك الدمعة من كل عين بكفك.. سيمسحون الحزن عند مآذن المسجد الأقصى" 142.

---

138 - كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان، جنين 6-4-2001م.
139 - كلمة: رثاء شهداء طولكرم 15-9-2001م.
140 - كلمة: رثاء الشهيد لؤي السعدي، جنين، 24-10-2005م.
141 - كلمة: رثاء الشهيد ماجد الحرازين، غزة، 19-12-2007م.
142 - كلمة: رثاء الشهيد أنور حمران، جنين،24-3-2001م.
143 - كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد العال، غزة،2-4-2001م.

3- دم الشـــهداء ينبت جيلاً من المقاتلين والمجاهدين الأطهار

" إننا في عرس الدم والشـــهادة نقول: (لَن يَضُرُّوكُـــمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ)، لن يضروكم إلا أذى.. ولن يســتأصلوا شــجرة الجهاد والمقاومة بإذن الله.. إنَّ كل قطرة دم ســالت من إياد حردان ومحمد عبد العال وأنور حمران وإبراهيم بني عودة وحســين عبيات وكل شــهداء شعبنا ستنبت جيلاً من المقاتلين والمجاهدين الأطهار" [143].

4- دماء الشهداء ثمن الحرية

"ربمــا لا يدرك البعض أن قيمة مــا حققناه في الانتفاضة هو أكثر مما فقدناه، وصحيح أننا قدمنا الشــهداء الأعــزاء علــى قلوبنا، ولكن دماء الشــهداء هي ثمن الحرية وثمن العتق للشــعب والأمــة من قبضة العدو الصهيوني المجرم، إنَّ هؤلاء الشــهداء هم عنواننا في العالم اليوم، هم رســالة شــعبنا إلى الأمة كلها وإلى العالم كله على مسمع التاريخ" 144.

5- الشهداء يرتقون على طريق تحرير الأرض والإنسان

" إنكم تقفون الآن في حضرة الله.. في حضرة الشهداء الذين يرتقون إلى العُلا، ليس من أجل تحرير الأرض فقط، بل من أهل تحرير الإنسان أيضاً.. إنَّ الشهداء هم الذين يحررونا من خوفنا و من ذنوبنا ومن مآسينا، ومــن أوهامنا وتصوراتنا الخادعة عن الحياة والموت، وعن العدو والصديق، وعن الســلم والحرب.. وعن كل شيء في الوجود .. كل شيء" 145.

6- الشهداء يعبّدون لنا طريق النصر

"إنَّ الشــهداء أمثال مراد يعبّدون لنــا طريق النصر نحو فجر الحرية، نحو الخلاص والتحرير.. بالشــهداء ســنواصل المسير، وبالشهداء سننتصر، وســيطلع فجر فلسطين من جديد وترتفع راية الوطن، راية الجهاد، راية الإســلام، راية لا إله إلا الله خفاقة على قبة المسجد الأقصى بإذن الله" 146.

7- دماء الشهداء مشاعل تُضيء الطريق إلى النصر

"إنَّ دماء الشــهداء هي المشــاعل التي ستضيئ لنا الطريق نحو النصر والظفر بإذن الله ولن يضيّعنا الله ولن يخذلنا وســيوفنا وعده إن كنا أهلاً له بالإيمان، " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" 147.

---

[143] - كلمة: رثاء الشــهيدين إياد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م.
[144] - كلمة: رثاء الشــهيدين إياد حردان ومحمد عبد العال، 7-4-2001م.
[145] - كلمة: رثاء شهداء جنين، 6-7-2001م.
[146] - كلمة: رثاء الشهيد مراد أبو عسل، 6-2-2002م.
[147] - كلمة: رثاء شهداء مذبحة عبسان، 9-3-2002م.

8- دم الشهيد يزرع الأرض أبطالاً وقادة ومقاتلين

" إننا ونحن نوّدع القائد العملاق إياد صوالحة لا نسدل الستار على نهاية بطل في تاريخ صراعنا و جهادنا لأنَّ دمه اليوم يزرع الأرض بدايات جديدة، وينبت أبطالاً وقادة ومقاتلين واستشهاديين جدد يحملون الراية من بعده، ويثبتون للعالم كله أننا لن ننكسر ولن ننحني ولن نتراجع، وأننا من دم إياد صوالحة سنصل إلى فلسطين.. إلى النصر والتحرير.. فدم الشهداء خارطة الطريق إلى حيفا ويافا والقدس والخضيرة والعفولة، وكل بقعة من فلسطيننا الحبيبة" [148].

9- الشهادة هي الانتصار

" إنَّ الشهادة هي مبتغى هؤلاء المجاهدين الأبطال، بل هي أُمنية كل مؤمن وكل مخلص وكل من سلك طريق الجهاد ابتغاء مرضاة الله، نعم نحن نريد أن نحقق الانتصار، نتريد أن يكون الجهاد طريقاً للحياة لا بوابة للموت فقط.. لكننا في ظل اختلال موازين القوة وإصرار العدو على سحق خيار الجهاد والمقاومة، يصبح حمل الراية ومواصلة الجهاد بأي شكل وبأي قدر عملاً استشهادياً، وتصبح الشهادة هي الانتصار" [149].

ثالثاً: الشهادة فوز وتكريم واختبار إلهي

1- فرحة الفوز بالشهادة وحزن الغياب

" لا فرحة تعدل اليوم فرحة شهدائنا بفوزهم بالشهادة سوى حزننا على غيابهم في هذا النهار الحزين، وهذه البلدة الحزينة، وهذا الوطن الحزين، وهذا المنفى الحزين، على فقدان الشهيد الإنسان الذي لا يخون ولا يُخلف الوعد و العهد، عهد الجهاد و الاستشهاد " مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"[150] .

2- الشهادة اصطفاء وتكريم

" نحن لا نُعزّي ولا نعزى بالشهداء، بل نبارك لأنفسنا ولأهل الشهيد ولأسرته ولأبويه ولإخوانه وأحبابه هذا الاصطفاء الرباني، وهذه النعمة الكبرى، نعمة الشهادة في سبيل الله وما يتبعها من نعمة الشفاعة لذوي الشهيد" [151].

3- الشهادة اختيار إلهي

" قد يتساءل البعض لماذا قتل الصهانية رائد وجميل وسعيد في ظل ما يُسمّى بالتهدئة المزعومة ؟!، لقد قتلوهم لأنهم كانوا أهل للشهادة.. فالشهادة اصطفاء واختيار إلهي قبل أن تكون قراراً إرادياً بالقتال والمواجهة، وما أكثر من يخوضون المعارك ويواجهون الأخطار ولا يُقتلون.. لقد باع أبطالنا أرواحهم ودماءهم رخيصة في سبيل الله فاشترى الله منهم أنفهم بالجنة، فيا نعم الصفقة الرابحة بهذا الموت الجميل الذي هو الحياة بعينها" [152].

---

[148] - كلمة: رثاء الشهيد أياد صوالحة، 11-11-2002م.

[149] - كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد الله (أبو مرشد)، غزة، 29-12-2007م.

[150] - كلمة: رثاء الشهيد محمدة عبد الله (أبو مرشد)، غزة، 29-12-2007م.

[151] -نفس المرجع السابق.

[152] - كلمة: رثاء شهداء سرايا القدس، طولكرم، 25-9-2005م.

رابعاً: دماء الشـــهداء معين لا ينضب من المعاني الجميلة

1- دماء الشهداء .. ثوب العز للأحياء

قسمٌ برب الجرح والرمح
سيحيل ملح الشاطئ المغدور سُكّر
وتجيء يا محمود تطلع من بقايا الروح والأشلاء
تحمل لوعة الفقراء
تنسخ من دم الشهداء ثوب العز للأحياء
وتسيل يا محمود من دمع المخيم
وتطل يا محمود من دمنا المقاتل
من عطش الســجن وجوعه، وتجيء يا محمود من زرد السلاسل
في ضحكة الأطفال.. في حزين الأرامل
ستجيئ يا محمود

2- الشهداء روح الشعب وصرخة الثأر

" لا رثاء لمثل نضال ويوسف الأبطال فهم الأحياء ونمن الأموات، هم الذين استعادوا روح الشعب حين فدوه بأرواحهــم، وهــم الذين اختاروا أن يكونوا صرخة الثأر والفداء لبيت ريما الذبيحة وبيت لحم و بيت جالا" .

3- عندما يختار الشهداء موتهم الجميل

" أخي حمزة إنني لا أرثيك هنا لأنك مت كما يظن البعض، بل إنني باســم اخوانك وشــعبك وأمتلك احتفل بك عريساً لأنك عرفت كيف تموت... و اخترت كيف تموت.. لقد اخترت القتال والوقوف في وجه ارتال الدبابات والجنــود بصدرك العــاري إلاّ من الإيمان وبضع رصاصات.. لقد قاومتهــم وقاتلت حتى آخر رصاصة وآخر قنبلة وآخر رمق وآخر قطرة دم" .

4- الشهداء صاروا أنشودة عز في دمنا

" أحمــد ومحمد ما ماتوا فهم شــهداء أحيــاء ... لقد صاروا طائرين من طيور الجنــة... يُحلقان فوق جبال الخليل، وعلى شــواطئ يافا وحيفا وغزة.. صاروا أنشودة عز في دمنا.. صاروا تسبيحاً ودعاءً في صلاتنا.. صــاروا خصباً وعطاءً في كرومنا وســنابلنا.. صــاروا أملًا ملء جفوننا وقلوبنــا وأرواحنا.. صاروا مثالاً للقداســة والطهارة يغسل الأمة كلها من أدران الهزيمة وعار الخنوع الخضوع" .

5- دماء الشهداء تطهرنا من أدراننا

" أيهــا المجاهد البطل أخجل من نافورة دمك التي انفجرت لتغســلنا من أدران الدنيا وتطهرنا من شــهواتنا وآثامنا" .

---

[153] - مقال: بـ (جريدة الاستقلال، مرايا محمد الفاتح، 1-7-1995م.
154 - كلمة: رثاء الشــهيدين نضال جبالي ويوسف سويطات، جنين، 30-10-2001م.
155 - كلمة: رثاء الشــهيد حمزة أبو الرب، قباطة، 29-12-2002م.
156 - كلمة: رثاء الشــهيدين أحمد فقيه ومحمد شاهين، 2-1-2003م.
157 - كلمة: رثاء الشــهيد منير أبو قوس، الأغوار، 24-9-2001م.

مصادر الفصل الثالث

1- مقابلة مع قناة(المستقلة)،6-5-1996م

2- مقابلة مع قناة (المستقلة)،6-5-1996م

3- كلمة في الذكرى الثالثة لاستشـــهاد يحيى عياش، بدون تاريخ.

4- مقال بـ (جريدة الاستقلال)، مرايا محمد الفاتح،27-1-1997م.

5- مقال بـ (جريدة الاستقلال)، 9-9-1999م.

6- مقال بـ (جريدة الاستقلال) بدون تاريخ.

7- كلمة: رثاء الشهيد إياد حردان، جنين 6-4-2001م.

8- كلمة: رثاء شهداء طولكرم 15-9-2001م.

9- كلمة: رثاء الشهيد لؤي السعدي، جنين، 24-10-2005م.

10- كلمة: رثاء الشهيد ماجد الحرازين، غزة، 19-12-2007م.

11- كلمة: رثاء الشهيد أنور حمران، جنين،24-3-2001م.

12- كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد العال، غزة،2-4-2001م.

13- كلمة: رثاء الشهيدين إياد حردان ومحمد عبد العال،7-4-2001م.

14- كلمة: رثاء الشهيدين إياد حردان ومحمد عبد العال،7-4-2001م.

15- كلمة: رثاء شهداء جنين، 6-7-2001م.

16- كلمة: رثاء الشهيد مراد أبو عسل، 6-2-2002م.

17- كلمة: رثاء شهداء مذبحة عبسان،9-3-2002م.

18- كلمة: رثاء الشهيد أياد صوالحة،11-11-2002م.

19- كلمة: رثاء الشهيد محمد عبد الله (أبو مرشد)،غزة،29-12-2007م.

20- كلمة: رثاء الشـــهيد محمدة عبد الله (أبو مرشد)،غزة، 29-12-2007م.

21- نفس المرجع السابق.

22- كلمة: رثاء شهداء سرايا القدس، طولكرم، 25-9-2005م.

23- مقال: بـ (جريدة الاستقلال، مرايا محمد الفاتح،1-7-1995م.

24- كلمة: رثاء الشـــهيدين نضال جبالي ويوسف سويطات، جنين،30-10-2001م.

25- كلمة: رثاء الشهيد حمزة أبو الرب، قباطة، 29-12-2002م.

26- كلمة: رثاء الشهيدين أحمد فقيه ومحمد شاهين،2-1-2003م.

27- كلمة: رثاء الشهيد منير أبو قوس، الأغوار، 24-9-2001م.

ومضات فكرية في التاريخ والاقتصاد والسياسة والدين عند رمضان شلّح

الباب
الخامس

الفصل الأول: ومضات تاريخية

المبحـــث الأول: (بدر) كتاب مفتوح للأجيال .. تأملات قرآنية في ظلال المعركة

أولاً: استنباط الدروس من التاريخ.. بدر مثالاً

نشـــر الدكتور رمضان شَلّح دراسته [158] (بدر.. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات قرآنية في ظلال المعركة) ليس لمجرد الدراسة العلمية أو المتعة العقلية أو استدعاء التاريخ.. كما يقول.. ولكن من أجل استخلاص الدروس والعبر من التاريخ، واستحضار الماضي لربطه بأحداث الحاضر والاستفادة منه في رسم المستقبل، واستنباط قوانين التقدم والتأخر، وســـنن النصر والهزيمة.. وهذا ينســـحب على دراسة (بدر)، ولذلك نجده في مقدمة الدراسة يكتب:

" كم نشـــعر بالضياع والتيه، ونحن منذ أكثر من خمســـين عاماً، ننشـــد عكا وحيفا ويافا، في رحال أبي جهل وأمية بن خلف، ولم نبحث عن أسمائنا الضائعة ومدننا المخطوفة في نبي امتشق السيف وقاتل بضراوة من أجل أنبل قضية وأشـــرف مصير للإنســـان، لم نكن نُدرك أنَّ إدارة ظهرنا للوحي أو خروجنا من بدر العقيدة والتاريـــخ يعنـــي الخروج من ذاتنا ومن أرضنا، ومن ثم الدخول إلى الهزيمة والاستســـلام.. ففي ضفاف بدر العقيدة والتاريخ، نقف خاشـــعين في شـــهر القرآن أمام هذا الكتاب المفتوح لكل الأجيال في كل زمانٍ ومكان، نلتمس طريق الخلاص في زمن ارتماء قريش الجديدة في أحضان قيصر واستســـلامها المُرّوع ليهود خيبر.. علّنا نبصر النور الســـاطع من رقاب الخيل العائدة من بدر لنصعد على صهواتها إلى قمم النصر".

ثانيـــا: حضور الفعل الإلهي في المعارك ... بدر مثالاً

1- التقاء الفريقين في قلب الصحراء

وجد الفريقان -المســـلمون والكفار-نفســـهما وجها لوجه في قلب الصحراء، كيف تم ذلك ولماذا؟ إنها الإرادة الإلهية "ليقضى الله أمراً كان مفعولاً"، وما هذا الأمر الواقع لا محالة ســـوى القتال والمعركة التي ســـتمرغ أنـــف الباطل في التراب... ليهلك من هلك عن بينة يحيى من حيى عن بينة ".

2- إنزال النُعاس والمطر

من المنن التي منَّ الله بها على عباده المؤسسين يوم بدر، إنَّه نزّل عليهم النُعاس والمطر، وذلك قبل نشوب المعركة والتحامهم بأعدائهم "إِذْ يُغَشِّـــيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّـــيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ".

---

[158] - دراســـة: (بدر).. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات قرآنية في ظلال المعركة، نشرة المجاهد،17-11-2003م.

3- تقليل عدد الكفار في أعين المسلمين

لقد زاد عدد كفار قريش في المعركة عن الألف في حين لم يتجاوز عند المسلمين الثلاثمائة، لذا نرى العناية الإلهيـــة تتكفل بتعديل هذا الميزان في أعين المســـلمين، " إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِـــكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِـــلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ".

4- إنزال الملائكة

وهـــو ما أبرزه القـــرآن الكريم في أكثر من موضع ، منه قوله تعالى في ســـورة الأنفال:" إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ".. ما يهمنا هنا هو نتيجة المعركة التي حُســـمت بالتدخل الإلهي والفعل الإلهي المباشر في تحقيق النصر.

ثالثاً: نتيجة استبعاد الدور الإلهى من المعركة

هذا يلفت نظرنا إلى حال الأمة في هذا العصر، حيث تصدت قطاعات وتيارات عديدة في الأمة لإدارة الصراع مـــع أعدائهـــا على قاعدة اســـتبعاد الدور الإلهـــي من المعركة. كم مـــن الحروب والمعـــارك خاضها العرب والمســـلمون دون أنْ يكـــون هناك حضور لله في برامجهـــم وعقولهم وقلوبهـــم؟!، يتحركون وكأنَّ الله غير موجـــود وليـــس له دور فاعل في التاريـــخ... لقد كانت بدر هي المحطة الأولـــى للانتصار المدوّي في تاريخ الإســـلام، ذلك الانتصار الذي أســـس لانطلاقة الإســـلام الدافعة في الأرض... لقد كانت بدر المعركة الفاصلة (الفرقان) التي تُشـــكل ملابساتها في المقدمات والوقائع والنتائج دستوراً للنصر والهزيمة، وآية من آيات الله تتنـــزل في كل زمانٍ ومكان.. ذلك هو القانون الإلهي الذي أرســـته تجربة الخروج والقتال بقرار إلهي، ومن ثم النصر بمدد إلهي في بدر.. إنها سُنّة الله في الحياة وفي التاريخ "فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا".

---

[120] - دراســـة بعنوان (حول سؤال الانتماء والهوية)، بدون تاريخ.

المبحث الثاني: الإســـلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع

كتب الدكتور رمضان شلّح دراسة [159] وألقاها محاضرة بعنوان: (الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، بطريقة وصفية تحليلية مُميزاً بين مسارين لحركة الإسلام منذ نزول الوحي بالقرآن في غار حراء حتـــى التاريـــخ المعاصر، المســـار الأول: هو الحراك الإســـلامي الداخلي، والنمو والتطـــور الذي طرأ على الجماعة/ الأمة التي أنشـــأها الإســـلام منذ العهد النبوي إلى عهد الخلفاء الراشدين وما تلاه من دول إسلامية مركزية ... هذا المســـار في نمو حركة الإســـلام وتطوره ليس موضوع هذه المحاضرة. المسار الثاني الذي يتعلّق بحركة الإســـلام ومســـيرة صعوده وهبوطه في التاريخ في مواجهة القوى الخارجية.. هذا المسار هو موضوع الدراســـة والمحاضرة الذي يُمكن تلخيصه بالنقاط التالية:

أولاً: الغرب .. منظومة كاملة

" الغـــرب هو منظومـــة كاملة وكتلـــة حضارية عملاقة فيها دول وحكومات وشـــعوب وجيـــوش ومنظمات ومؤسسات وبنوك وشركات وأسواق عالمية، وفوق هذا والأهم هناك الثقافة الغربية، ومنظومة القيم الغربية بـــكل مخزنها وإرثها الديني والتاريخي وإمكاناتهـــا وأدواتها الحديثة والمعاصرة... الغرب اليوم رأس حربته والقوة العُظمى فيه هي الولايات المتحدة الأمريكية، التي تسعى لفرض هيمنتها على العالم، وتحقيق مشروع - وليس حلم - الإمبراطورية الأمريكية العالمية... وهو جوهر (العولمة)، ويُمكن أن يتحقق بالأدوات الثقافية والاقتصادية.. الجديد هو العودة إلى مفهوم الســـيطرة الاستعمارية ... والاستعمار المباشر".

ثانياً: الإسلام.. في الذاكرة الغربية

" الإســـلام في الذاكرة الغربية والثقافة الغربية (المســـيحية -اليهودية) كان دوماً في خانة العدو، لكنه الآن يُختار كعدو في سُـــلّم أولويات السياسة الأمريكية والغربية في إدارة شئون العالم ... لم تكن حالة العداء هذه مجرد موجة إعلامية عابرة، بل كان هناك تأصيل فكرى، وطُرحت نظريات تُبرر العداء والكراهية للإسلام ... منهـــا نظرية (نهاية التاريـــخ) لصاحبها (فوكـــو ياما)، ونظرية (صـــدام الحضـــارات) لصاحبها (صموئيل هنتجتـــون)... لا يقف الأمر اليوم في الغرب عند النظريات أو الدعاية الإعلامية ... بظهور المحافظين الجدد من اليمين المســـيحي (الإنجيليين) الذين يرون في قيام إســـرائيل تحقيقاً لنبوءة الإنجيل، وأنهم سيحتفلون بأورشـــليم الجديدة التي ستنبعث بهزيمة الإســـلام في معركة (هار مجدون) قبل ظهور (المسيح المنتظر) أو بعدها ... وهذه عقيدة (المسيحية الصهيونية).

---

[159] - دراســـة: (الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، كتيب نشر بدون تاريخ.

ثالثاً: الحملة الفرنسية تفتتح الهجمة الغربية الحديثة

تستعرضن الدراسة العديد من المحطات التاريخية الفاصلة في مسار الصراع مع الغرب مبتدئة بسقوط دول الطوائف في الأندلس، مروراً بالحروب الصليبية أو حروب الفرنجة على الشرق، والغزو المغولي وسقوط بغداد، وبروز دولة المماليك فالدولة العثمانية في عصور قوتها ثم ضعفها الذي بدأت فيه الهجمة الغربية الحديثة على الأمة، وتؤرخ الدراسة لبدايتها بالحملة الفرنسية، وهذه فقرة مقتبسة توضح ذلك:

" كانت الحملة الفرنسة أول حملة تُرسلها أوروبا الناهضة إلى الشرق العربي الإسلامي في العصر الحديث، وقد حلم نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية عام 1798م على مصر والشام بجعل مصر وفلسطين قاعدة لإمبراطورية استعمارية تمتد شرقاً وغرباً، وأحضر معه جيشاً من العلماء والخبراء إلى جانب الجنود والضباط تعبيراً عن الوجه الفكري للحملة، صحيح أنَّ الحملة الفرنسية هُزمت عسكرياً ولكنها افتتحت الهجمة الغربية الحديثة على الشرق العربي والإسلامي... والخلاصة في هذه الحقبة أننا شهدنا تدهور وتفكك الدولة العثمانية كثمرة للهجوم الاستعماري الغربي الحديث، بل إنَّ هزيمة الدولة العثمانية ضمن دول المحور في الحرب العالمية الأولى، تبعها توقيع تركيا على معاهدة لوزان عام 1923م لإعلان استقلال تركيا وتوزيع إرث الإمبراطورية العثمانية".

رابعاً: نتائج توزيع إرث الإمبراطورية العثمانية

1- مقدمات ضياع فلسطين

- سقوط الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك في 3 مارس 1924م التي كانت تقف سداً منيعاً أمام مشروع إقامة الدولة اليهودية في فلسطين خاصة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي رفض عرض هرتسل بسد ديون تركيا مقابل فلسطين لليهود.

- الاستعمار الثقافي والمعنوي الذي بدأ يخترق الجسد الإسلامي منذ الحملة الفرنسية، إنَّ النخب الليبرالية السياسية والثقافية العربية ومن أسموا أنفسهم رواد النهضة العربية هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن ضياع فلسطين.

2- إسرائيل والتجزئة .. وجهان لعملة واحدة

- إقامة الدولة اليهودية أو الكيان الصهيوني (إسرائيل) على أرض فلسطين كرأس حربة للمشروع الاستعماري، وثمرة للهجمة الغربية الحديثة.

- تجزئة وتقسيم الشرق العربي والإسلامي، كما نصّت اتفاقية (سايكس بيكو)، وتأسيس ما سُمّي بدولة الاستقلال الحديثة على أنقاض الدولة العثمانية، وإذا كانت بعض الأدبيات القومية والإسلامية قد اعتبرت التجزئة وإسرائيل وجهان لعملة واحدة، فإنَّ ما لم ينتبه إليه كثيرون هو الحقبة الزمنية الواحدة التي جمعت الاثنين: التجزئة وإسرائيل.

خامســاً: سقوط القدس.. منحنى الانحدار الإسلامي والعربي يصل نقطة الصفر

- لــم تكــن إقامة دولة الكيان الصهيونــي خاتمة الأحزان ونهاية الأدوار... في الســابع من حزيران في تلك الحــرب (1967م)، ســقطت القدس ليصــل منحنى الانحدار الإســلامي والعربي إلى نقطــة الصفر، ويبلغ المشــروع الصهيوني رأس حربة الغرب إلى ذروته وقمة توّســعه وقوته، إنّها اللحظة الأكثر مأســاوية في تاريخ الإســلام منذ تحرير بيت المقدس من الصليبيين، لحظة أخطر من ســقوط غرناطة على يد الصليبيين، وســقوط بغداد على يد التتار، لأنَّ تلك الضربات كما قال توفيق الطيب.. كانت في الأجنحة، أمّا سقوط القدس فهي طعنة في القلب من الوطن الإسلامي.

- ســبب الهزيمة كما رأى رمضان شــلّح هو: " لأنَّ المقابلة في ميدان الصراع التاريخي بين الأمة وأعدائها تمــت هــذه المرة بين مشــروع صهيوني قام على أُســس عقائديــة توراتية، وهو نتاج الحضــارة الغربية بمرجعيتهــا الفكرية (اليهودية والمســيحية)، ومشــروع عربي يســتعيد الليبرالية والاشــتراكية من فتات الحضارة الغربية، أي أنّه إفراز مشــوّه للغرب وليس نقيضاً له، بل هو ســلعته وصورته الممسوحة، وعدت بالتنمية والتقدم فلم تؤمّن رغيف الخبز، ووعد بتحرير فلســطين، فأضاعت مُجدداً أكثر من ثلاثة أضعافها".

- يــرى رمضان شــلّح أن معاهدة (كامب ديفيــد) بين مصر وإســرائيل قد قطعت منحنــى الانحدار العربي والإســلامي عند نقطة الصفر ليُصبح المنحنى سالباً حتى وصل إلى اتفاقية (أوسلو) بين إسرائيل والمنظمة، ويرى في المعاهدتين خطورة أكثر من وعد بلفور الذي أعطى من لا يملك من لا يســتحق، أمّا في أوسلو فقد أعطى من يملك من لا يستحق.

سادســاً: فلسطين والقدس قاعدة لاستنهاض الأمة للجهاد والتحرير

يخرج رمضان شلّح من دراسته التاريخية (الإسلام والغرب .. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، "بخلاصة من هذا الســياق التاريخي والصراع مع الغرب، لاسيما في الشرق الإسلامي، لابد أنْ يعود إلى ما أشرنا إليه ســابقاً عن دحر الهجمــة الصليبية وتحرير بيت المقدس مقارنة بالهجمة الحالية، قلنا إنَّ فلســطين والقدس يومها شــكلت قاعدة لاستنهاض الأمة للجهاد والتحرير، الآن هذا لا يحدث وليس هناك مشروع نهضة عربي يجعل من فلســطين قاعدة ارتكاز". وبهذه الخلاصة يرى شــلّح ضرورة وجود مشروع عربي إسلامي يجعل من فلســطين قاعدة ارتكاز لمشروع نهضوي عربي إسلامي شامل.

مصادر الفصل الأول

1- دراسة: (بدر).. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات قرآنية في ظلال المعركة، نشرة المجاهد، 17-11-2003 م.
2- دراســـة: (الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع)، كتيب نشر بدون تاريخ.

الفصل الثاني: ومضات اقتصادية

المبحث الأول: قراءة في الاقتصاد السياســـي لاتفاق غزة .. أريحا

رمضان شـــلّح يحمل شـــهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة (دورهام) في بريطانيا عام 1990م، ولذلك فهـــو خبير في الاقتصاد، ولكن العمل الفكري والحركي لـــم يمنحه الفرصة للتفرّغ للبحث في مجال الاقتصاد، ولم أعثر إلاّ على دراســـتين نشرهما في مطلع تسعينات القرن العشرين، الأولى عام 1992م بعنوان (قراءة في الاقتصاد السياســـي لاتفاق غزة -أريحا .. تنمية اقتصادية أم بوليســـية للحكم الذاتي) نُشـــرت في جريدة الحياة ، والثانية عام 1995م بعنوان (تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة) نُشرت في فصلية (قـــراء ات سياســـية) وكلا الدراســـتين كتبهما قبل توليه منصـــب الأمين العام لحركة الجهاد الإســـلامي في فلسطين.

أولاً: تزاحم السياسة والاقتصاد في اتفاقية أوسلو

" إنَّ التزاحم الحاصل بين السياســـة والاقتصاد في حركة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية نحو تطبيق اتفاق غـــزة- أريحـــا يُثير في الأذهان الســـؤال التقليدي: هل السياســـة في خدمة الاقتصـــاد أم الاقتصاد في خدمة السياســـة؟، وهو ســـؤال لا تتطلب الإجابة عليه فلســـطينياً جُهـــداً أكثر من قراءة نص اتفـــاق غزة - أريحا وملاحقه، لنُدرك أنَّ كليهما - السياســـة والاقتصاد- في خدمة الأهداف والمصالح الإســـرائيلية.. يجب التأكيد علَى أنَّ البعد السياســـي يظل هو الأســـاس الذي ينبغي التعاطي به مع اتفاق غزة - أريحا، وفي ضوئه يجب أن تتـــم معالجة وتقييم كافـــة الجوانب الأُخرى ذات الصلة، ولكن هذا لا يمنع من معالجة الجوانب الاقتصادية للاتفـــاق علـــى أرضية الحقائق العلميـــة التي تمثل جوانب التحليل الرئيســـية لفهم الواقـــع الراهن للاقتصاد الفلســـطيني المُحتل، ومعرفة إمكانية تطويعه وتسخيره لتحقيق ما يعد به دعاة مشروع غزة - أريحا".

ثانياً: قراءة اقتصادية تحليلية لاتفاق غزة - أريحا

1- إنَّ تحقيـــق التنميـــة الاقتصادية لم يكن هو الدافع أو الســـبب الذي قاد إلى توقيـــع اتفاق غزة - أريحا... والأزمة المالية للمنظمة كانت نتيجة لمشـــروع الحكم الذاتي وليس من أسبابه.

2- إنَّ الأولوية في مشـــروع الحكم الذاتي هي في الحفاظ على أمن إسرائيل، وهذا يتطلب بناء منظومة أمنية فلســـطينية قادرة على تطبيق هـــذه الأولوية .. ولذلك فالمطلوب هو تنمية ولكنها تنمية بوليســـية وليســـت اقتصادية.

---

[160] - دراســـة بعنوان، (قراءة في الاقتصاد السياســـي لاتفاق غزة- أريحا. تنمية اقتصادية أم بوليسية للحكم الذاتي)، جريدة (الحياة)، 27-11-1992م.

[161] - دراســـة بعنوان (تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة)، فصلية (قراءات سياســـية) الســـنة (5)، العددان (2-3)، ربيع وصيف 2995م.

3- الأولوية للتنمية البوليسية لا يعني تجاهل التنمية الاقتصادية وتحسين الأوضاع المعيشية للناس، فهو هدف موجود ولكن من البوابة البوليسية، فالاقتصاد للتغطية على الدور الأمني للسلطة، ويلعب دور (الجزرة) مقابل (العصا) البوليسية.

4- تحوّل الفكر السياسي -الاقتصادي لقادة المنظمة من الدعوة إلى فك الارتباط بين الاقتصادين - الفلسطيني والإسرائيلي - قبل الاتفاق، إلى ضرورة الارتباط بين الاقتصادين بعد الاتفاق والزعم أنَّ الانفصال بين الاقتصادين انتحار.

5- رغبة المنظمة في سلطة ما بالضفة والقطاع جعلها تتجاوز مبدأ (الأرض مقابل السلام) رغم ما يحمله من خطأ وضلال، إلى مبدأ جديد هو (الرخاء مقابل السلام)، وهو ذات الشعار الذي رفعه السادات لتسويق (كامب ديفيد) على الشعب المصري.

6- إنَّ كلمة (التعاون) ومشتقاتها الواردة (29) مرة في نص إعلان المبادئ وملاحقه وكذلك كلمة (التنسيق) لا قيمة لها، طالما أنَّ هناك طرفاً قوياً يستطيع إملاء شروطه والآخر ضعيف لم يكن لديه أية أوراق يُساوم بها.. لذلك فالتعاون سيكون لصالح إسرائيل.

7- إنَّ النص على التعاون في الملحق الرابع من ملاحق الاتفاق المُسمى (بروتوكول التعاون الإسرائيلي - الفلسطيني في مجال برامج التنمية في المنطقة) يتناقض وبشكل مُريع مع الدعوة إلى استمرار المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل .. وهذا يفتح الباب للتطبيع واندماج إسرائيل في المنطقة.

8- إنَّ انهيار الأُسس والثوابت التي استمدت منها قيادة منظمة التحرير هويتها وشرعيتها السياسية بتوقيعها اتفاق غزة- أريحا، ودخولها رهينة في اختيار السلام المفروض أمريكياً وإسرائيلياً يعني أنَّ هذه القيادة تُغادر المشروع الوطني الفلسطيني.

9- أطلقت المنظمة على خطتها الاقتصادية اسم (البرنامج الإنمائي الفلسطيني) كأحد متطلبات المرحلة السياسية الجديدة التي دخلت بها المنظمة، وهذا البرنامج يُعاني من التشوّهات والاختلالات الهيكلية أكثر من تلك التي يُعاني منها الاقتصاد الفلسطيني تحت الاحتلال.

10- ليس من المعقول طرح برنامج إنمائي يُشار فيه إلى بعض عناصر ومكونات نظام اقتصادي دون تحديد شكل وعناصر النظام السياسي الذي سيرتكز عليه النظام الاقتصادي.

11- المشكلة الأساسية في صياغة برنامج تنموي للاقتصاد الفلسطيني في ضوء اتفاق غزة- أريحا تكمن في المسموح به وغير المسموح به إسرائيلياً، طالما أنَّ الاتفاق أعطى للإسرائيليين كشريك حق التقرير في كل القضايا الأساسية المتعلّقة بالاقتصاد.

المبحـــث الثاني: تحوّلات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة

أولاً: هدف الدراسة.. فهم حركة الاقتصاد والسياسة الدولين

يشـــهد النظام الاقتصادي العالمي اليوم تحوّلات دراماتيكية ســـيكون لها كبير الأثر في تحديد الخريطة الجيو-سياسية والجيو- اقتصادية للنظام العالمي خلال العقدين القادمين، ولفهم هذه التحوّلات لابد من معرفة بعض التطورات الاقتصادية والمالية في النظام الدولي، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وصولاً إلى أهم التغيرات الجارية اقتصادياً على الساحة الدولية.

ليس الهدف من هذه الدراســـة تقديم دراسة تفصيلية تُحيط بكل مكونات النظام الاقتصادي العالمي، بل إعطاء صورة بانورامية للمشـــهد الاقتصادي المالي العالمي والمؤسســـات الدولية التي تتحكم بسياساتها في حركة الاقتصاد والسياسة الدوليين.

ســـنحاول الوقوف علـــى التوجهات العامة التي تعكســـها الأحداث والوقائع الاقتصادية بالاســـتناد إلى بعض الخلفيـــات التاريخيـــة، وبالاعتماد على بعض المؤشـــرات والبيانات الإحصائية وما تعكســـه من دلالات لفهم الأوضاع الاقتصادية الجارية اليوم في العالم.

وإذ تتداخل قضايا السياســـة والاقتصاد الآن، على نحو غير مســـبوق، ويتعذر فيـــه الفصل بينهما حيث قوة الدولة سياســـياً أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقوتها الاقتصادية، فإنَّ هذه الدراســـة، ومن خلال الربط بين الأبعاد السياســـية والاقتصادية، تسعى لفهم واقع ومُســـتجدات الاقتصاد العالمي من خلال العناوين الرئيسية التالية:

1- نظام (بريتون وودز) وإدارة الاقتصاد العالمي
2- صدارة الاقتصاد ومعارك الرأسمالية ضد الرأسمالية
3- التكتلات الاقتصادية وموازين القوة الجديدة
4- اتفاقية (الجات) وتحرير التجارة العالمية
5-علاقات الشمال والجنوب والنهب العالمي
6- أزمة الدولار ومستقبله كعملة دولية
7- الأزمة الاقتصادية العالمية وغياب المرجعية

ثانياً: خلاصة الدراســـة.. الاقتصادات الكبيرة تلتهم الاقتصادات الصغيرة

مر الاقتصاد العالمي منذ الحرب العالمية الثانية بتطورات هامة أوصلته إلى التحولات والمســـتجدات الراهنة على كافة الأصعدة. لقد ســـاعد نظام (بريتون وودز) الذي أشـــرفت الولايات المتحدة على هندسته وتصميمه من أجل هيمنتها على الاقتصاد العالمي، لقد أســـهمت المؤسســـات الدولية وشبكة الشركات متعددة الجنسية التي كونتها أمريكا على مأسســـة الهيمنة التي تم عبرها ترويج اقتصاد الســـوق الحر ومحاولة فرضه على العالم.

قادت الولايات المتحدة عملية تدويل أو(عولمة) الاقتصاد الدولي التي تركزت في مجال تحرير حركة رؤوس الأموال... صاحبها تقييد في حركة التجارة العالمية، ومع ظهور اضطرابات وأزمات عدة انهار نظام (بريتون وودز) عام 1971م، وانهار معه نظام أسعار الصرف الثابتة الذي أرساه وحل مكانه نظام أسعار الصرف العائمة. تلى ذلك بروز أزمات اختلال موازين المدفوعات مع تقلبات حادة في أسعار صرف العملات واسعار الفائدة العالمية، وكذلك تفاقمت أزمة الديون العالمية للبلدان النامية، وصاحب ذلك ارتفاع السيولة الدولية. واشتداد المضاربات مع زيادة هائلة في التدفقات الدولية لرؤوس الأموال، بشكل شبه منفصل عن حركة الغارة الدولية، مما أوجد ظاهرة نشاط أسواق المال المصاحبة لموجات الركود التي تعصف بالاقتصاديات الصناعية. توالت الأحداث التي كان أهمها انهيار المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، وانتهاء الحرب الباردة، وبروز الولايات المتحدة كقوة وحيدة مهيمنة على العالم، وتصدر عامل الاقتصاد في موازين القوة ليدفع باتجاه صراع الرأسماليات. يؤذن مشروع الوحدة النقدية والسياسية الأوروبية المقترحة، والصعود الاقتصادي والإنمائي لدول جنوب شرق آسيا بنهاية الهيمنة الأمريكية ونظام القطب الواحد، وبروز قوى وتكتلات جديدة ترشح لنشوء نظام الاقطاب المتعددة في القرن الحادي والعشرين.

واستعداداً لذلك، وفي محاولة منها لاستعادة هيمنتها وقوتها الاقتصادية المتدهورة، سرّعت الولايات المتحدة من وتيرة (العولمة) في الاقتصاد الدولي، الأمر الذي دفع باتجاه التكتلات الإقليمية. التي حاول الولايات المتحدة أيضاً اختراقها وجعلها أمريكية التمحور وضمن الساق نفسه، جعلت الولايات المتحدة لحرية التجارة ولفتح الأسواق الأجنبية أمام الضائع الأمريكية، والأولوية القصوى في سياستها الخارجية. ومن هنا جاء اتفاق (الجات) في دورة الأورغواي متمشياً مع المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى. كما أنَّ تشكيل منظمة التجارة العالمية خلفاً لاتفاقية (الجات) لا يعني نهاية المنافسة والنزاعات التجارية الدولية المحتملة.

لقد مثّل كل من صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، أداة الدول الصناعية في ترويض الدول النامية وتكيفها مع التدويل أو العولمة التي تستهدف الحفاظ على اندماجها في السوق الرأسمالية العالمية، وفق النمط التاريخي للتبعية التي حكمت علاقات الشمال بالجنوب، ترى الدول الغربية في نمو الدول النامية، لاسيما حديثة التصنيع منها خطراً على الاقتصاديات الصناعية التي تقاوم تقسيم العمل الجديد.

وكشف توالي أزمات الاقتصاد العالمي، مثل أزمة الدولار، وأزمة اقتصاد المكسيك، وهشاشة النظام العالمي، فالانتعاش الذي شهدته الاقتصادات الغربية لاسيما الولايات المتحدة التي استعادت موقعها كرقم واحد في الاقتصاد العالمي لا يُبشّر بتعافٍ حقيقي، حيث تُعاني هذه الاقتصادات من اختلالات هيكلية وأزمات مُزمنة، كما عجز الانتعاش الأخير عن حل مشكلة البطالة لاسيما في أوروبا. ويبقى غياب مرجعية دولية غير مُنحازة تعكس موازين القوة الحقيقية في الاقتصاد العالمي هو التحدي الأهم الذي سيواجه إدارة الاقتصاد العالمي في العقدين القادمين. وفي المحصّلة أصبح التكتل سمة أساسية للاقتصاد العالمي، حيث الاقتصادات الكبيرة ستلتهم أو تسحق الاقتصادات الصغيرة الأنانية أو العاجزة أو المُحاصرة.

في غضون ذلك يُشكّل غياب العرب والمسلمين بما يملكون من ثروات هائلة عن خريطة التكتلات الاقتصادية والتجارية العالمية، وفشـــلهم في تحقيق أي نوع من القوة السياســـية أو الاقتصادية المُعتبرة الفاجعة الأهم، التي ســـتتضاعف بنشوء السوق الشرق أوسطية لو قُدّر لها ذلك والتي ستكون محورها وخازنها إسرائيل.

مصادر الفصل الثاني

1- دراســة بعنوان (قراءة في الاقتصاد السياســي لاتفاق غزة – أريحا.. تنمية اقتصاديه أم بوليســية للحكم الذاتي)، جريدة (الحياة)، 27-11-1992م.

2- دراســة بعنوان (تحولات الاقتصاد العالمي.. توازنات الثروة والقوة)، فصلية (قراءات سياســية) السنة (5)، العددان (2-3)، ربيع وصيف 2995م.

الفصل الثالث: ومضات دينية وسياســية عند رمضان شلّح

المبحث الأول: ومضات دينية تنويرية عند رمضان شلّح

أولاً: الوحي والتراث.. التمييز بين الإلهي والبشري

" الوحي (القرآن الكريم والسُـنّة الصحيحة) ليس تُراثاً تاريخياً نأخذ منه ما نُريد ونرفض ما نريد، أو نجعله محكومـاً للواقع باختلاف الزمان والمكان، الوحي غير التراث، فالتراث إنجاز بشـري خالص وعلى أحسـن الأحوال يُعبر عن تفاعل النص المُقدّس أو الوحي مع الواقع عبر قراءة الواقع في ضوء النص وليس العكس ... إنَّ التراث بما يُمثّله من منجزات فكرية ومادية، بما هو أفكار واجتهادات وطرائق وصنائع إنما هو مرتبط بالشـروط الزمانيـة والمكانيـة، ويعكس اختلاف آراء واجتهادات البشـر في الإجابة على أسـئلة عصرهم باختلاف حاجاتهم وبيئاتهم ومشـكلاتهم ... أي أنَّ التراث كنتاج للعقل والجهد البشـري يُمكن أن يتغير فيه الـرأي والاجتهاد والإنجـاز باختلاف الزمان والمكان كمـا فعل علماء الأمة العظام فـي تجربتهم التاريخية واجتهاداتهـم التـي لم تمنع من الانفتـاح على إبداعات البشـر في مختلف الحضارات مع مراعاة شـروط الاستخلاف التي يحددها الوحي" [162].

ثانياً: السلفية.. المشكلة في السلفية التكفيرية

" نحن لا مشكلة لدينا مع السلفية، إذا كانت السلفية تعني التمسك بنهج السلف الصالح فنحن سلفيون، ولكن المشـكلة في السـلفية التكفيرية، أو بعض الجماعات التي تريد نقل معركة الأمة داخلها، ما حدث في العراق نموذج سـيئ، وفلسـطين لا تحتمل تكراره لنقل المعركة من مقاومة العدو إلى المواجهة الداخلية، هذا ليس في مصلحة أحد، ولا نقبل ولا نسـمح به نحن وكل قوى شـعبنا... حركة الجهاد عانت في علاقتها مع التيار السـلفي وغيره في أوساط أهل السُنّة من شـبهة العلاقة على الجمهورية الإسلامية في إيران وحزب الله في لبنـان، وقد عانت حركة الجهاد الكثير جرّاء هذا الأمر، و تعرّضت ومازالت تتعرّض لحرب شـعواء في هذا المجال" [163].

ثالثاً: العلمانية والإسلام.. سؤال المرجعية

" إنَّ التشـكيك في مرجعية الإسـلام ومحاولة إقصائه عن الحياة تزامن مع الهجوم الاستعماري على الأمة، وهنـا نسـجل أن فكـرة العلمانية في بلادنا هـي فكرة وافدة جاءت إلـى المنطقة مع الموجة الاسـتعمارية الحديثة... لقد تم اسـتحضار النموذج الغربي في العلاقة بين الدين والسياسـة، وإحداث انفصام يضرب كل الثواب والحقائق التي ترّسـخت في الضمير والعقل العربي والإسلامي طيلة قرون من تاريخ الأمة...

---

[162] - كلمة في الذكرى العاشـرة لرحيل الإمام الخميني، دمشق، 9-6-1999م.

[163] - مقابلة مع صحيفة (الحياة)،25-3-2010م.

وبرزت الجوانب الفلســفية في التنظير لعلمانية شرســة أيديولوجياً، جعلت إقصاء الإســلام عن الحياة وهدم مرجعيته الفكرية والسياســية هدفا مركزياً، وفعلاً جرى الترويج لعلمانية إلحادية لا تؤمن بالغيب، ولم يدخر أصحاب هذه العلمانية وســعاً في الحرب على الإسلام بوصفه الديني والغيبي والرجعي المسؤول عن تخلّف العرب... ما حدث في العقود الماضية هو عملية فصل قســرية بين الأمة والمنهج . لقد تم حرمان الأمة من المنهــج الصالــح الذي يُحدد للأمة أهدافهــا وغاياتها في الحياة، ومنه اســتمدت وجودهــا وكيانها المادي والمعنوي" [164].

رابعاً: المرأة في الإسلام .. سؤال المكانة والدور

"... نعم الإســلام يقــر بوجود فارق معين في الأدوار بين الرجل والمرأة، كمــا يقول البابا- ولكن ليس على مســتوى الصلة بالله أو التكليــف بعبادته أو الكرامة في كنفه، والخطاب القرآني يقرن عادة بين المســلمين والمســلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وغيرها من الصفات الإيجابية بطريقة تؤكد كيانية المرأة واســتقلالية شــخصيتها وتحملها المسؤولية على قدم المساواة مع الرجل، وتاريخياً لم يكن الإسلام حجر عثرة في طريق المــرأة للقيام بدورها الريادي في كافة مناحي الحياة السياســية والحريــة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها. لم يعترف الإســلام بالذكورة والأنوثة كما هو الحــال عند البابا كعائق يحول دون الوصول إلى الله، أو يمنــع مــن التحصيل المعرفي الدينــي، أو القيام بدور المرجعية الدينية، فالرســول الكريم - عليه الصلاة والســلام يقول: "خذوا نصف دينكم عن هذه الحُميْراء"، في إشــارة إلى الســيدة عائشة - رضي الله عنها - والتاريخ الإســلامي مليء بالنماذج النسائية الفذة التي نبغت في علوم القرآن والتفسير والفقه والأدب، وإلى جــوار الرجال كان هنــاك المحدثات والفقيهات والواعظــات قبل اختراع (الفقه البدوي). كما يقول الشــيخ الغزالــي، بل إنه في مجــال الحديث المصدر الثاني للشــريعة، لم تكتف المرأة بروايــة الحديث، بل أجازته للأخرين، أي أنها كانت مصدراً للشرعية الدينية"[165] .

[164] - مقابلة مع مجلة (النور)، 12-2-2002م.
[165] - مقال في جريدة (الاستقلال)، غزة، 14-7-1995م

المبحث الثاني: ومضات سياســية وطنية عند رمضان شلّح

أولاً: منظمة التحرير الفلســطينية.. مظلة المشروع الوطني الفلسطيني

" الحــل الجذري لتحقيق وحدة وطنية حقيقية والذي يتطلب منا الحوار هو منظمة التحرير الفلســطينية.. لا أحــد في قوى المقاومة يريد أنْ يشــق أو يلغي منظمــة التحرير، لكن لا أحد يقبــل أنْ تبقى منظمة التحرير مخطوفة ومســروقة في ثلاجة الموتى، متى شــاءوا أنْ يستخدمونها لتسويق نهج التفريط، ومتى شعروا أنَّ المقاومة تريد أن يجمع صفوفها في تكوين جبهة تتلكم باســم المقاومة فاعوا علينا كالدبابير وقالوا وامنظمة التحرير، لا أحد يُريد أن تُلغى منظمة التحرير، ونحن نقول لكم منظمة التحرير هي مظلة المشــروع الوطني الفلســطيني وعنوان لحركة التحرير، نحن نريد إعادة بناء منظمة التحرير حسب ما نص عليه اتفاق القاهرة لتســتوعب كل القوى بما فيها حماس والجهاد، وليس لدنيا وهم آخر" [166].

ثانياً: المصالحة الفلســطينية.. المشكلة غياب البرنامج الوطني

1- الانقســام الفلسطيني .. من المسؤول فتح أم حماس؟

" قبــل دخول حماس الانتخابات والمشــاركة فــي الحكومة، كان الاصطفاف السياســي واضحاً، حيث وجود مشــروعين، هما: مشــروع المقاومة (الجهاد وحماس)، ومشروع التســوية (فتح وحلفائها في المنظمة)، ولكن بعد مشــاركة حماس في الســلطة حدث نوع من خلط الأوراق بين المشــروعين -المقاومة والتسوية- وعندما بدأت الصدامات بين حركة حماس وفتح ... وذهبت حماس اتجاه خطوة الحســم العســكري في غزة أحدثــت خلطاً جديداً لــلأوراق ... وزادت الأمور تعقيداً ... نحن أعلنا منذ بدايــة الأحداث أنَّ الطرفين - فتح وحماس - يتحملان المسئولية عما حدث .." [167].

2- غياب المصالحة الفلسطينية.. أين المشكلة الأساسية؟

".. لا أظن أنَّ الانقســام في الساحة الفلســطينية بين حركتي فتح وحماس على الرغم من كل المساوئ على الشعب والقضية هو المشكلة المركزية، أو المشكلة الأخطر في الساحة الفلسطينية، المشكلة الأساسية غياب البرنامــج الذي يتضمن منطلقات ورؤيا وأهداف وأدوات ووســائل يتوافق عليها المجموع الفلســطيني ولو بالحــد الأدنــى، غياب هذا البرنامج هو الذي يفتح المجال للانقســام... لا بد من إعادة ترتيب الأولويات على الســاحة الفلســطينية، ولا بد من إعادة صياغة مشــروع وطني فلســطيني، ولو بالحد الأدنى من القواســم المشــتركة بين الجميع، عندها يُمكن أنْ ننطلق لمصالحة حقيقية" [168].

---

[166] - كلمة في مهرجان (الانتصار)، بدمشق، 6-2-2009م.
[167] - مقابلة مع موقع (الإســلام اليوم) السعودي، 21-10-2007م.
[168] - مقابلة مع صحيفة (الدستور)، الأردنية 23-11-2009م.

ثالثاً: فلسطينيو (48).. أهم ذُخر استراتيجي للقضية

1" أمــا أهلنا فــي مناطقه (48) فعلى الرغــم من معاناتهم وصراعهــم المرير مع العنصريــة الصهيونية البغيضة، فإنَّ بقاءهم على أرض فلســطين هو أهم ذُخر اســتراتيجي للقضية، إنَّهم الشاهد الحي الذي ينسف كل الادعاءات والأســاطير المؤسســة للكيان الصهيونــي، وهم العين التي تواجه المخرز، وتنســف مُخطط (يهوديــة الدولة)، ولذا فإنّهم يتعرضون اليوم لنوعٍ من التطهيــر العرقي الصامت في أماكن وجودهم كافة، وخصوصاً في حيفا وعكا واللد والنقب، من هدم بيوت ومصادرة أراضي وتهجير داخلي وأشــكال المضايقات كلها، وقد رأينا هبة أهلنا في (48) وتضامنهم مع غزة أثناء العدوان، الأمر الذي يؤكد أن الشعب الفلسطيني - رغم فقدان المجتمع الموّحد على بقعة أرض واحدة - استطاع أنْ يُحافظ على الإطار العام للوحدة الوطنية، وأنــة إذا مزقتــه الجغرافيا، فهو جروحه وانتمائه وإرادته التي لا تنكســر، وفــي كل أماكن وجوده، وعلى اختلاف توجهاته شعب واحد وقضية واحدة" [169].

رابعاً: الأسرى.. قضية إجماع وطني

في كلمة للدكتور رمضان شــلّح [170] في يوم الأســير الفلســطيني اعتبر أن قضية الأسرى هي قضية اجماع وطني وحدد النقاط الآتية:

1- قضية الأسرى جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين، أنتم في الأسر لأنَّ فلسطين مأسورة، والقدس مأسورة، وأنتم والله فلذة كبد فلســطين، ومُهجة القدس، فالذي سلبكم حريتكم هو من سلبنا وطننا فلسطين.

2- أنتم في الأسر لأنَّ الأمة كلها في الأسر أيضاً، حكاماً ومحكومين، فالذي سلبكم حريتكم هو من سلب الأمة إرادتها، ولأنكم والشــهداء كنتم الاستثناء الأبرز الذي انتصر في معركة سلب الإرادة فلقد دفعتم حريتكم ثمناً لهذا الانتصار.

3- إنَّ حريتكم هي حرية الوطن، تحريركم هو من تحرير الأرض والمقدسات... حريتكم هي حرية شعبكم من هذا السجن الكبير، وحريتكم هي حرية الأمة من الأسر وخروجها من السجن الأمريكي الصهيوني الذي يمتد بطول وعرض الوطن العربي والإسلامي.

4- أقول لكم وكلي ثقة بالله ووعي بالتاريخ ومعرفة بالحاضر وأمل في المســتقل بأنكم والله أطول عُمراً من هذا الكيان، وأنكم ســترون شمس فلسطين، وستنسمون عبير الحرية بإذن الله، سيخر السجن ويفر السجّان، بــل ينهار هذا الكيان ويزول من الوجود، وهذه ليســت مجرد أماني، بل وعد الله القائــل "وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا".

---

[169] - مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.

[170] - كلمة في يوم الأسير الفلسطيني، 17-4-2010م.

خامساً: ملامح المشروع الوطني الفلسطيني المنشود

حدد الدكتور رمضان شــلّح ملامح المشــروع الوطني الفلسطيني المنشود في كلمة له بذكرى معركة 2012 يمكن إجمالها بالنقاط التالية [171]:

1- إنَّ فلســطين كلها وطن الشعب الفلسطيني، والفلسطينيون أينما وجدوا شعب واحد وقضيتهم واحدة.

2- لا يحــق لأي فئــة أو جهــة من الشــعب أنْ تفرض حلاً يتضمــن تنازلا عن أي حق من حقوق الشــعب الفلسطيني في وطنه.

3- التأكيــد على وحدة الصف ولا ينبغي لأي اختلافات بين الفلســطينيين مهمــا كانت طبيعتها أنْ تطغى على صراعهم مع الكيان الصهيوني.

4- إعــادة بناء الكيان الوطني الفلســطيني والكيــان المعنوي في ظل غياب الدولــة الوطنية بعيداً عن قيود التســوية (منظمة التحرير الفلسطينية بعد التحرر من قيود أوسلو وتعود حركة تحرر وطني).

5- اعتماد حق وخيار المقاومة كبرنامج لقوى الشــعب الفلسطيني كافة.

6- إعادة الاعتبار إلى البُعد العربي الإســلامي للقضية، أي أن تحتضن الأمة قضيتها من جديد.

سادساً: ملامح المشروع الإسلامي المعاصر المنشود

حدد الدكتور رمضان شــلّح ملامح المشروع الإسلامي المعاصر المنشود في دراسته (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)[172] ، يُمكن إجماله بالنقاط التالية:

1- تحرير الأرض من الاســتعمار والاحتلال الأجنبي لتحقيق الاستقلال.

2- تحرير الإنســان من الاستبداد بهدف تحقيق الحرية والشورى والمشاركة الشعبية.

3- هــدف التقدم والتنمية في مواجهة التخلّف الذي تُعاني منه الأمة.

4- مطلــب العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات وضمان عيش كريم للناس.

5- مطلب الهوية العربية الإســلامية في مواجهة التغريب والاستلاب الثقافي.

سابعاً: مفهوم (النصر).. استمرار المقاومة حتى التحرير

1- بعــد حــرب 2008 -2009م وجه رمضان شــلّح كلمة للشــعب الفلســطيني [173]مُحــدداً مفهوم النصر الفلسطيني للمقاومة بانتصار الإرادة الوطنية على القوة الطاغية الإسرائيلية، ومما جاء في كلمته: "... حق لنا وحري بنا أنْ نحتفل وأنْ نحتفي بانتصار إرادتكم على جبروت القوة الصهيونية... نعم لقد انتصرت إرادة أهــل غــزة، وانتصرت المقاومة، وانتصر الجُرح الفلســطيني الذي ما زال ينزف ... لقــد انتصرنا في منعنا لعدونا من تحقيق أهدافه، لقد انتصرت إرادة الشــعب... إرادة الحياة .. إرادة الحرية .. وأمّا انتصارنا الكبير والنهائي فهو تحرير كامل أرضنا فلســطين، وفي عودتنا إلى فلسطين، كل فلسطين مُحررة بإذن الله".

---

[171] - كلمة في الذكرى السنوية الأولى لمعركة (2012)،18-11-2013م.

[172] - دراسة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)،5-6-2000م.

[173] - كلمة في مهرجان (الانتصار)، دمشق، 2-6-2009م.

2- بعد حرب 2014م وجه كلمة [174] للشــعب حدد فيها مفهوماً آخر للنصر هو منع العدو من تحقيق أهدافه، ومما جاء في كلمته:

"... وانتصرت غزة، لأنَّ العدو لم يُحقق شــيئاً من أهدافه في هذه الحرب، سوا تدمير الصواريخ، أو تحقيق الأمن، أو نزع ســلاح المقاومة، أو تصفية قياداتها، وفشــل على المستوى الاستخباري والأمني والعسكري والسياسي والاستراتيجي والأخلاقي، وكل ما أحدثه هو إحداث أكبر قدر من الدمار وقتل النساء والأطفال ... لقــد صنعت غزة ميزاناً جديداً للرعب والردع مع الكيان الصهيوني".

3- بعــد حرب 2014م، أيضاً في مقابلة مع قناة (الجزيــرة) الفضائية [175] تحدث عن (توازن الرعب) كنوع من الانتصار في الصراع مع العدو، فقال:

" توازن الإرادات يعني أنني استطيع أنْ أصنع من لا شيء كل شيء، المقاومة التي نطرحها ونقدمها نموذجاً اليــوم هي المقاومة التي تهزم العــدو وتحقق معه نوعاً من (توازن الرعب)، مثلا العمل الاستشــهادي في فلســطين بعد إنهــاء الانتفاضة، الإرادة الفلســطينية المقاتلــة، الإرادة العربية والإســلامية، إرادة الجهاد والاستشهاد... إرادة الكفاح".

---

[174] - كلمة في (المؤتمر الدولي لعلماء الإســلام دعماً للمقاومة الفلسطينية)، طهران، 11-9-2014م.

[175] - مقابلــة مع قناة (الجزيرة) الفضائية، بدون تاريخ.

مصادر الفصل الثالث

1- كلمة في الذكرى العاشــرة لرحيل الإمام الخميني، دمشق، 9-6-1999م.
2- مقابلة مع صحيفة (الحياة)،25-3-2010م.
3- مقابلة مع مجلة (النور)، 12-2-2002م.
4- مقال في جريدة (الاستقلال)، غزة، 14-7-1995م
5- كلمة في مهرجان (الانتصار)، بدمشق، 6-2-2009م.
6- مقابلة مع موقع (الإسلام اليوم) السعودي، 21-10-2007م.
7- مقابلة مع صحيفة (الدستور)، الأردنية 23-11-2009م.
8- مقابلة مع مجلة (الدراســات الفلسطينية)، العدد (100)، خريف 2014م.
9- كلمة في يوم الأسير الفلسطيني،17-4-2010م.
10- كلمة في الذكرى السنوية الأولى لمعركة (2012)،18-11-2013م.
11- دراسة (فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر)،5-6-2000م.
12- كلمة في مهرجان (الانتصار)، دمشق، 2-6-2009م.
13- كلمة في (المؤتمر الدولي لعلماء الإســلام دعماً للمقاومة الفلسطينية)، طهران، 11-9-2014م.
14- مقابلة مع قناة (الجزيرة) الفضائية، بدون تاريخ.

محمـــــد
الفاتـــــح

الباب
السادس

الفصل الأول: محمد الفاتح.. قبل الأمانة العامة

كتب الدكتور رمضان شلّح مقالات وخواطر في جريدة الاستقلال الفلسطينية الصادرة بغزة في زاوية (مرايا) باسم (محمد الفاتح) بين عامي 1994م- 2002م في مرحلة سياسية حساسة من تاريخ القضية الفلسطينية شـــهدت نهاية الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)، وبداية الانتفاضة الثانيـــة (انتفاضة الأقصى)، وبينهما عقد اتفاق أوســـلو ونشأة الســـلطة الفلسطينية، وعمليات المقاومة العســـكرية والاستشهادية في كافة أنحاء فلســـطين المحتلة، وقد قُسّـــم هذا الباب إلى فصلين، الأول كتابات رمضان شـــلّح (محمـــد الفاتح) قبل توليه منصب الأمين العام لحركة الجهاد الإســـلامي في فلســـطين، والثاني بعد توليه المنصب... وقد سُـــجّلت هذه الكتابات بناءً على التسلسل الزمني بغض النظر عن المضمون، وقد اختيرت المقتطفات بالنص أو المضمون بناء على تقدير مُعد الكتاب وفق معيار تغطيتها لعنوان المقال أو الخاطرة في زاوية مرايا، وبما يخدم الهدف من الكتاب بتقديم مختصر عن فكر وأدب الراحل الكبير الدكتور رمضان شـــلّح.

المبحث الأول: مرايا عام 1994م

1- <u>ما نتوقع من الاستقلال</u>

بمناسبة إصدار العدد الأول من الاستقلال

لا تطمح هذه الصحيفة إلى ما يفوق إمكانياتها، فهي ببساطة تريد أن تكون الذاكرة ضد النسيان الزاحف إلى عقولنـــا، ويكاد يوصلنا إلى غيبوبة اختيارية لم تُســـبق في التاريخ.. ببســـاطة نأمل من الاســـتقلال أن تُمثل مشـــروع النجاة من الإبادة لشـــعبنا وقضيتنا، وأن تطرح الرأي والأفكار القادرة على صياغة الرأي وإنجاز دورة الأمة في تحرير واستقلال فلسطين[176].

2- <u>القدس .. الملك .. الرئيس</u>

بمناســـبة: صراع الأردن والسلطة على السيادة الدينية على المسجد الأقصى

أقدس من القدس هو التحرير الكامل، التي يمكن أن ترجع القدس طاهرة مُطهرة إلاّ في سياقه، لأنَّ استرجاع جزء منها والتفريط بالجزء الآخر ليس من القداســـة في شيء، كما إنَّ أيَّ مشروع يُطرح نتيجة ضعف الأمة وعدم قدرتها على إنجاز مشروع التحرير واسترداد كامل الحقوق، لن يقنع أو يرغم الدولة اليهودية بالتنازل عن أطماعها في القدس كما بقية فلسطين [177].

---

[176] - جريدة الاستقلال، العدد(1)،21-10-1994م.

[177] - جريدة الاستقلال، العدد(2)،28-10-1994م.

3- اغتيال هاني عابد

بمناسبة اغتيال هاني عابد

من لم يمت بالسيف مات مفخخاً، توّحدت الأسباب والموت مختلف، أخي هاني: هذه هي حكمة الموت الفلسطيني في الزمن المُفخخ والمطرز بالندى والنار... هذه هي حكمة الموت الفلسطيني في زمن النكوص... فقد تموت على قمة المجد كالأنبياء، وقد تموت على مزبلةٍ كاللصوص... أخي هاني: كم موجع هذا الرحيل، لكها سُنّة الله، أن لا نعرف خارطة للأرض سوى شلالات دم الشهداء، فهي زادنا وزوادنا في الطريق الطويل أيها القتلة، هاتوا ما عندكم فليس هذا هو نهاية الحقد، سيرصدنا شجر الغرقد إلى ساعة الرعد... [178]

4- القرار الأمريكي والبوسنة... لماذا؟

بمناسبة صدور قرار أمريكي يوقف حظر إرسال السلاح إلى البوسنة وكرواتيا

أشاد الدكتور رمضان شلّح بتمسك مُسلمي البوسنة بحقوقهم وهويتهم واستعدادهم للتضحية دفاعاً عن وجودهم في أرضهم ووطنهم وحفاظاً على كيانهم الديني والوطني وسط أوروبا.[179]

5- مُضر وربيعة في غزة

بمناسبة أحداث يوم الجمعة الأسود في محيط جامع فلسطين بغزة بتاريخ 18-11-1994م ما حدث في غزة جد خطير، لكن الأخطر منه أن يكون ذلك مجرد (بروفة) لما هو آت وما هو أعظم، ويبدو أنَّ شعبنا المنقوع في الدم منذ ما يزيد على ثلاثة أرباع القرن مكتوب عليه أن يُجرّب كل أنواع الحروب، فبعد محاولة البعض دفن المأسوف على شبابها (حرب التحرير الشعبية) في مقبرة (غزة - أريحا)، بدأت عملية تمرير مسلسل موديلات الحروب بسرعة فائقة حتى تصل إلى بيت القصيد الحرب الأهلية.... [180]

6- إدوارد سعيد والجرح الذي لا تُضمده الأكاذيب

بمناسبة موقف إدوارد سعيد الناقد لسلطة الحكم الذاتي في صحيفة الحياة اللندنية

في زمن انسحاب المثقف أمام سطوة السياسي وفاشية الأمني، كما فعل الكثيرون من أصحاب النوايا الحسنة المُحبطين، أو استقالته من ذاته، كما في حال أصحاب الحناجر المستوردة وسادة اللغة الحربائية من منتمي (السلام المُسّلح)، يبقى صوت إدوارد سعيد، المؤيد للتسوية أصلاً (وهذه هي مأزق المشروع الوطني كله)، مدعاة لاحترام واعتزاز كل فلسطيني يأبى السقوط في لعبة الزيف الوطني (المقدس) والموصل للانتصار، لكن هذا لا يعني أننا لا نختلف عنه في الرأي. [181]

---

[178] - جريدة الاستقلال، العدد(3)،4-11-1994م.
[179] - جريدة الاستقلال، العدد(5)،18-11-1994م.
[180] - جريدة الاستقلال، العدد(7)، 2-12-1994م.
[181] - جريدة الاستقلال، العدد(8)،9-12-1994م.

7- حول انتخابات الحكم الذاتي

بمناسبة انتخابات الحكم الذاتي للرئاسة والمجلس التشريعي

تضمنت (المرايا) تحليل موقف السلطة وإسرائيل من الانتخابات، وسعي السلطة للحصول على الشرعية عن طريق الانتخابات، وسعي إسرائيل للحصول على الأمن لمستوطنيها بوجود سلطة مستقرة. [182]

8- الإسلاميون وانتخابات الحكم الذاتي

بمناسبة جدل الانتخابات ومشاركة الإسلاميين في هذا الجدل

تتضمن تحليل موقف الإسلاميين من انتخابات الحكم الذاتي ما بين المؤيدين للمشاركة في الانتخابات من منطلق سياسي تحت مبررات عدم ترك السلطة تنفرد بالقرار، وتصليب موقفها أمام إسرائيل، وحماية مؤسسات المعارضة وأُطرها التنظيمية، والمشاركة في بناء مجتمع ديمقراطي. وقد أسماه "التكيف مرحلياً مع نفسية الهزيمة والتبعية" أمَّا المعارضون للمشاركة في الانتخابات لأسباب شرعية وعقدية وتاريخية استراتيجية (الثوابت)، ولأسباب سياسية مرحلية تتعلّق بوجود الانتخابات تحت سقف (أوسلو). وقد رد كاتب المرايا على المؤيدين بطريقة منطقية. [183]

9- إسرائيل وعضوية الجامعة العربية

بمناسبة تصريح شمعون بيرز عن رغبه انضمام إسرائيل إلى الجامعة العربية وتحويلها إلى جامعة شرق أوسطية، فرجع رمضان شلّح إلى أصل مأزق العرب.

ضيّع العرب ملكهم، وأضاعوا فلسطين في نكبتين، لمّا تمردوا على ما يحصل لهم به المُلك والغلبة (الإسلام)، واستبدلت العلمانية والأفكار الغربية الوافدة بالإسلام فوقع (التغريب) الذي هو ثالثة الأثافي في مشروع الهيمنة الغربية على بلادنا إلى جانب التجزئة وإسرائيل، وحفاظاً على مصالح النخب الحاكمة، امتهنت أنظمة التجزئة القطرية تضليل شعوبها وسحق حريتها وكرامتها فخرّجت أجيالاً مقموعة مهزومة نفسياً . [184]

---

[182] - جريدة الاستقلال، العدد(7)،23-12-1994م.

[183] - جريدة الاستقلال، العدد(11)،30-12-1994م.

[184] - جريدة الاستقلال، العدد(12)،6-1-1995م.

المبحث الثاني: مرايا عام 1995م

1- قمة الإسكندرية.. لماذا؟

بمناسبة عقد قمة عربية مُصغّرة بين مصر وسوريا والسعودية بتاريخ 28-12-1994.

حلل الدكتور رمضان شلّح أسباب القمة العربية، وكيفية تأثير علاقات الدول الثلاث مع أمريكا، واعتبر القمة العربية المصغرة تظاهرة سياسية لبيان قوة الدول الثلاث مجتمعة ومنفردة لإجبار أمريكا على عدم تجاوز دورها .[185]

2- في صحة القدس

بمناسبة استشهاد ستة رجال شرطة في الصفة الغربية على يد جيش الاحتلال الإسرائيلي.

طوى الشعب المُتعب خيمة عزائه، عاد أصحاب الأوسمة إلى مكاتبهم، لكن (شمات الهوا) المفاوضات استؤنفت، التقينا ببيرز واختلفنا على السنتيمترات في (لعبة دق القدم)، واحتياجات الأمن لجحور النمل اليهودي في الضفة المنكوبة، لكننا في النهاية، رفعنا كأس حرارتنا لتحيته: في صحة أمتكم؛ ورفع بندقيته التلمودية للثناء علنيا: في صحة موتكم!؛ وافترقنا لنعد للقاء رابين غداً، ولكل العرب والمسلمين: في صحة القدس! .[186]

3- الحجاج في القرن العشرين

بمناسبة واقع الاستبداد في الأمة كتب رمضان شلّح قصيدة (أنا الحجاج)

ولمّا كان حجاج القرن العشرين المُتفشي في أوطاننا هو الشمس الذي توّزع الضوء على نهاراتنا بالقسط كما يوّزع الحليب على أطفالنا، آثرت أن أقاسم شريكي في الهم القارئ الغبطة والفرح بواقع أمتنا المجيدة كما يشع من كلمات هذه القصيدة في الأجزاء التي اقتطفها هنا..

أيها الناس: لقد أصبحت سلطاناً عليكم .. أنا الحجاج إن أنزع قناعي تعرفوني.

فاكسروا أصنامكم بعد ضلالٍ واعبدوني.

إنني لا اتجلى دائما.. فاجلسوا فوق رصيف الصبر حتى تبصروني.

واحمدوا الله على نعمته.. فلقد ارسلني كي اكتب التاريخ ..والتاريخ لا يُكتب دوني ..

---

[185] - جريدة الاستقلال، العدد(13)،13-1-1995م.

[186] - جريدة الاستقلال، العدد(14)،20-1-1995م.

4- والنعم يا من تركتم لنا الوصية في شـظية

بمناسـبة عملية (بيت ليد) الاستشهادية المزدوجة (صلاح شاكر وأنور سكر)

والنعـم يا صلاح الدين، يا شـاكر الإله في عُلاه، يا داخلاً عباءة النبي، يا فـارس القصواء.. والنعم يا أنور المجـد الفدائي، يا سُـكّر الليمون، والبرق المعطر ليلـة الحناء.. يا آخر المدافعين عن شـرف أمة مهيضة الجنـاح، يـا براعم الملاحـم المضيئة في غدٍ مثل نجمة الصباح، يا سـيف عز الديـن ولعلعة الرصاص في الأعراس، يا فجرنا القريب في جزائر المجد على ذُرى الأوراس، يا شـجر الورد الذي يزهر البارود والقمح المقاتل، يا حمزة العربي يُشـهر في عكاظ سـيفه ضد السـلالات الجبانة في القبائل.. والنعم يا من تركتم لنا الوصية في شظية .[187]

5- كلينتون والمزدوج أنور- صلاح

بمناسـبة عملية (بيت ليد) الاستشهادية المزدوجة (أنور سكر وصلاح شكر)

لا يسـتطيع كلينتون أن يرسـل بطاريات صواريخ (باتريوت) لتبطل مفعـول (المزدوج أنور- صلاح)، فهذه صواريخ آدمية مجال حركتها الأرض المسروقة التي تُغني وشوشتها عن الرادارات فتدل خُطى النشامى على الهـدف... دوت أصـداء انفجارات بيت ليد فـي أروقة البيت الأبيض، فسـارع كلينتون إلى إدانتها بشـدة باعتبارها عملاً إرهابيا ضد (أبرياء) هم أفراد الجيش الاسـرائيلي الذين ربما يرشّـحهم كلينتون العام المقبل لنيل (جائزة نوبل للبراءة) .[188]

6- والعود أحمد

بمناسـبة عودة إصدار (الاستقلال) بعد حجبها من السلطة

فـي نوفمبـر الماضي اغتال العدو الصهيوني الأخ هاني عابد المدير العام لصحيفة الاسـتقلال، لم يكن هاني يتوسـد ثرى فلسطين شـهيداً حتى كان يتعرّض لمحاولة الاغتيال الثانية بإطلاق نار الصمت والإسكات على كلماتـه وفكرته. في المـرة الأولى التقطت (مرايا) الفجيعـة حكمة الموت الفلسـطيني تنطلق "من لم يمت بالسـيف مات مفخخاً"، في المحاولة الثانية التقطت (مرايا) الهزيمة الوجه الآخر الأكثر سـواداً في مشـهد الانكسـار، فسألت حكمة الموت الجديدة أو الحياة الجديدة "من لم يمت بالسيف مات مكمماً" .[189]

---

[187] - جريدة الاستقلال، العدد(15)،27-1-1995م.

[188] - جريدة الاستقلال، العدد(16)،3-2-1995م.

[189] - جريدة الاستقلال، العدد(17)،17-3-1995م.

7- بوريم الفلسطيني في سجن سرايا غزة

بمناسبة نشر الصحف الإسرائيلية صورة لمستوطنين يهود ينزلون من الطائرة في القدس وهم يرتدون الأزياء العربية والفلسطينية في عيد المسخرة (البوريم) اليهودي.

الذي يزور سرايا غزة ينشرح صدره للمنجزات العظيمة والرائدة للحكم الذاتي: العسكر، البنادق، السّجآن، الزنازين، التحقيق، المردوانات، الإحباط النفسي.. كل شيء على ما يُرام. المتغيرات الطفيفة التي تلمسها والخطة والعلم المسكين تدفعك إلى الاعتقاد بقيام السجن بدوره على أكمل وجه، إنَّ أولئك لم يرحلوا، ولكنهم في حفلة عيد المسخرة (البوريم) [190].

8- قيادة أمريكيا .. لعنة العالم

بمناسبة نشر مقال لوزير الخارجية الأمريكي (وارن كريستوفر) بعنوان (قيادة أمريكا.. فرصة للعالم) قام رمضان شلّح بتحليل المقال واستعرض أهداف أمريكا في الشرق الأوسط التي حددها (كريستوفر)، وهي: دعم إسرائيل وضمان أمنها، وحفظ أمن واستقرار الأنظمة العربية الموالية لأمريكا، وضمان استمرار تدفق النفط للغرب بأ[191]بخس الأثمان، والهدف الجديد هو محاربة الإسلام المكافح لا الإسلام الأمريكاني بلغة الشهيد سيد قطب، وذلك تحت شعار الأصولية أو الإرهاب ... وختم (مرايا) مُعلّقا على (قمة الأرض) "إذا كنا نسينا أنَّ قمة الأرض ناقشت تلّوث البيئة فيجب أن لا نشك لحظة أننا بحاجة إلى قمم جبال تُناقش (تلّوث عقولنا) التي لا تُدرك أنَّ قيادة أمريكا.. لعنة العالم".

9- ما جرى في الخرطوم ويجري في غزة

بمناسبة انعقاد (المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي) في الخرطوم برئاسة حسن الترابي

رد رمضان شلّح على اقتراح أفريقي بشطب كلمة (العربي) من اسم المؤتمر فرفضه الترابي، ومما كتبه شلّح تعقيباً على ذلك "لقد أصبح عرب اليوم أضحوكة ومهزلة بين الأمم، فيما نحن ببركة الحكم الذاتي أصبحنا مضحكة العرب، فماذا تكون النتيجة لو ضربنا أخماس الهزيمة بأسداس العار الذي يُجلل جنبات الوطن المنكوب بهم (الزمن العبري)، المُلقى على عاتقنا بعد هذا العمر الطويل من الدماء والشهداء؟، النتيجة هي صاعقة مدّوية ماحقة لن يقف منها أحد ليُقال له صح النوم، إذا أردت أن تفهم ماذا جرى في البيت الأبيض فعليك أن تعرف ماذا جرى في سرايا غزة! [192].

---

[190] - جريدة الاستقلال، العدد(18)،24-3-1995م.

[191] - جريدة الاستقلال، العدد(19)،31-3-1995م.

[192] - جريدة الاستقلال، العدد(20)،7-4-1995م.

10- ولنا فيها مآرب مشبوهة

بمناسبة إصدار أحكام السجن المؤبد على مجاهدين فلسطينيين من (محكمة أمن الدولة) للسلطة الفلسطينية، وما ورد في حيثيات الحكم (استغلال الدين لمآرب مشبوهة)

" يا الله .. مآرب مشبوهة!، فلسطين، القدس، حيفا، يافا، عكا، اللد، الرملة، وإخراج المستوطنين من قلب القطاع مآرب مشبوهة!، تُرى ما الذي دار في مُخيلة الشيخ عمر شلحّ (أخ الدكتور رمضان) لحظة سماعه النطق بالحكم في حقه؟!، أهكذا أيها الوطن.. لقد كنت لنا في درة حليب الأم حباً، فُيصبح لنا اليوم ذنباً.. يا صفي الدين الحلبي ..هل ما زلت تسأل: هل خاب الرجا فنيا؟، خاب الرجا، ومات الإباء، وأصبح الذل فينا كبرياء" [193].

11- سنة اولى مسخ ذاتي

بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لتوقيع اتفاق القاهرة وبدء تطبيق الحكم الذاتي بالأمس أطفأت السلطة الذاتية، الشمعة الأولى من عمر الحكم الذاتي الذي أطفأ سراج قلوبنا وأمل العودة إلى فلسطين. كشف المنجزات في عام يتلوه عليكم (بإسهال) النائب (الخاص) في زمن الذمم (التنك)، والألسنة التي لا تدخل (الحنك) [194].

12- القدس في البازار الأمريكي

بمناسبة التنافس في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وتصريح (كلينتون) برفض نقل السفارة الأمريكية إلى القدس غضب إدارة كلينتون ورفضها نقل السفارة ليس ناتجاً عن عدم قناعتها الراسخة بأنَّ القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل، بل لأنَّ ذلك يُمكن أن ينسف عملية السلام، فحسب كلينتون ورابين يجب الانتظار حتى يبتلع العرب والمسلمون طعم التسوية و(خوازيقها) كاملة بعدها ننقل (البيت الأبيض) إلى (جبل الكرمل)، أو حتى إلى (جبل الهيكل)، أي المسجد الأقصى [195].

13- وكفى العرب شر القمة

بمناسبة إلغاء القمة العربية بعد تجميد اسحق رابين لقراره بمصادرة أراضي في القدس توقفت حملة أو هوسة رابين الأخيرة بشأن القدس، وتبادل الملوك والرؤساء العرب التهاني بينهم لانقشاع غيمة القمة (المسخوطة)، التي قبولها على مضض، وطيروا أسمى آيات الشكر لرابين على كرمه النبيل، وإتاحة الفرصة لهم بتغيير صيغة المثل الشعبي إلى (اجت منك يا رابين) بدلاً من (اجت منك يا جامع)، نظراً للإنزعاج الشديد الذي تسببه لهم الجوامع مأوى (الأصوليين) [196].

---

[193] - جريدة الاستقلال، العدد(21)،28-4-1995م.
[194] - جريدة الاستقلال، العدد(22)،5-5-1995م.
[195] - جريدة الاستقلال، العدد(23)،19-5-1995م.
[196] - جريدة الاستقلال، العدد(24)،27-5-1995م.

14- ما بعد النكبة الثالثة

بمناسبة ذكرى التوقيع على اتفاقية أوسلو السنوية

بعد النكبتين كنا نعرف الوطن ونعرف الطريق إليه، وبعد (النكبة الثالثة) تضاءل الوطن فصار بحجم بند في اتفاق، فلم يعد من السهل التعرّف عليه... واختلفنا على الطريق، فصار من الصعب الوصول إليه... فهل يأتي اليوم الذي يتضاءل فيه الباطل ليكبر الوطن، فنراه ناصعاً كاملاً من جديد، فنسلك الطريق الواضح والصعب إليه، خارج مايو المُفجع، وخارج يونيو الموجع، في الزمن الهجين [197].

15- الإيدز السياسي والاستعمار

بمناسبة الذكرى السنوية لاتفاق أوسلو كتب رمضان شلّح ناقداً مشروع التسوية " (الإيدز السياسي) وباء فكري ولوثة في العقل والإرادة تنسخ مقولة المفكر الإسلامي مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، ليحل محلها (القابلية للاستحمار)، فوفقاً لنظرية مالك بن نبي فإنَّ الشعوب لا تُستعمر إلاَّ إذا كان لها القابلية لذلك من خلال الإحساس بالضعف والهزيمة أمام العدو بما يقود إلى الإذعان والاستسلام، والاستحمار يعني أن تتصرف النخبة الحاكمة على أساس أنَّ الشعب (أهبل) ولا مبالي، ويوماً بعد يوم يقل اهتمامه بالسياسة، ويسعى ليل نهار من أجل لقمة العيش في ظل الحصارات المُتتالية التي يفرضها العدو للتجويع من أجل التركيع" [198].

16- أيها العقل الفلسطيني أين أنت؟

بمناسبة مواصلة قمع سلطة اوسلو للمقاومين الفلسطينيين

منذ النكبة الأولى أو قبلها، ونحن نتقلّب نتغلب على جمر الصبر، ونحمل الوطن جرحاً في القلب لا يندمل، ولكنا بقينا في كامل وعينا، ولم نفقد عقولنا التي ظلت دوماً شعلة متقدة وبوصلة تؤشر للوطن، وترسم سارقه في مركز دائرة الهدف فلا تخطئه أبداً، بعد اوسلو اختلف الأمر، فالعقل الفلسطيني (المخمود) بالتسوية طالت مدة غيابه [199].

17- محمود الخواجا

بمناسبة استشهاد (محمود الخواجا) قائد القوى الإسلامية المجاهدة (قسم) الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين داخل قطاع غزة.

محمود أن المسدس، أنت القلم، أنت الخريطة، أنت العلم، أنت فلسطين كل فلسطين، وأنت مع الله دوما (قسم)، أنا عرفات، في موكب الفاتحين كنت أنت بوصلة القلب، وكنت الجهات الأربعة، كنت تُهيء، للذاهبين إلى جنة الخلد مواعيدهم [200].

---

[197] - جريدة الاستقلال، العدد(26)،9-6-1995م.
[198] - جريدة الاستقلال، العدد(27)،16-6-1995م.
[199] - جريدة الاستقلال، العدد(28)،23-6-1995م.
[200] - جريدة الاستقلال، العدد(29)،1-7-1995م.

18- 25 يوليو.. أي موعد لأي اتفاق

بمناسبة عقد اتفاق (إعادة الانتشار) بين السلطة واسرائيل

25 يوليو الجاري موعد جديد لإجراء اتفاق دفع قسط جديد من أقساط استحقاقات كارثة أوسلو، هذا التاريخ مناسبة جديدة للإفصاح عن الحضور الكثيف لمفردات التضليل والتزوير التي سوّقت ولا زالت مشروع الدولة في قلب أمتنا ... فمخلب اسرائيل الوحشي ونابها الذي افترست به أراضي الغير في هجوم كاسح لم يتوّقف حتى هذه اللحظة يُسمى (جيش الدفاع الإسرائيلي) [201].

19- الإسلام والمرأة والغرب

بمناسبة توجيه البابا بولس الثاني نداءً يدعو إلى إنصاف المرأة ومساواتها بالرجل، مع إصراره على خطر انضمامها إلى (الكهنوت).

الكنيسة (أو الدين في الغرب) ترى أنَّ العلاقة بالسماء تخصص يُحرّم على نصف المجتمع (المرأة) الولوج إليه أو الوقوف على أسراره ... منذ قرون والغرب يصر على تقديم صورة المرأة المسلمة والعربية لشعوبه وللعالم من خلال حكايات (ألف ليلة وليلة)، نعم الإسلام يقر بوجود فارق معين في الأدوار بين الرجل والمرأة - كما يقول البابا - لكن ليس على مستوى الصلة بالله أو التكليف بعبادته أو الكرامة في كنفه، والخطاب القرآني يقرن عادة بين المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وغيرها من الصفات الإيجابية بطريقة تؤكد كيانية المرأة، واستقلالية شخصيتها، وتحملها المسئولية على قدم المساواة مع الرجل [202].

20- مأساة البوسنة تواطؤ لا تخاذل عالمي

بمناسبة الإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة خاصة سقوط مدينة (سربرنيتسا) وقتل وتشريد سكانها.

هل سقطت (سربرنيتسا)، أم سقطت ورقة التوت عن عورة النظام العالمي البشع؟، نعم سقطت المدينة المسلمة المغدورة، وسقط في وحل افتراسها المجتمع الدولي كله الذي يُطلق عليه زوراً وبها وبهتاناً (القرية الكونية)، إنها الكذبة الكبرى أو الغابة الكونية، التي ينمو فيها شجر الموت، وليس التوت بكل أشكاله، وتحكمها الساحرة أمريكا بعصا (الشرعية الدولية)، أو (الملهى الدولي) المُسّمى الأمم المتحدة، هذه القرية الظالم أهلها يرتفع فيها كل شيء إلاّ الدم المسلم [203].

---

[201] - جريدة الاستقلال، العدد(30)،7-7-1995م.

[202] - جريدة الاستقلال، العدد(31)،14-7-1995م.

[203] - جريدة الاستقلال، العدد(32)،21-7-1995م.

21- ما قبل الطوفان

بمناسبة مشاركة بيرز ورابين في حفل السفارة المصرية في تل أبيب بمناسبة ذكرى ثورة (23) يوليو

عندما يصبح العقل هو التنكر للوطن

وحب الوطن هو الجنون

عند هذا كله، وهو غيض من فيض، يغطي الدخان الأسود وغيوم ما جدوى الكلمات.. هل يمكن أن تغسل درن العصر والشيطان الذي لا يقتله السيف

هل يمكن أن يقتله الحبر؟! [204]

22- الفساد بين المستوزر والمستهبل

بمناسبة صدور تقارير دولية عن فساد السلطة الفلسطينية

ثلاثون عاماً والمستهبل يُعاني من بطش المستعمر الطامع في الأرض ولا زال، اليوم يُعاني أيضاً من ظلم المستوزر الطامع في العرش.. كم من وقت سيمر حتى تدرك أنَّ هذا العرش هو النعش لنا جميعاً؟! [205].

23- القدس! القدس!

بمناسبة احتفالات إسرائيل بالقدس 3000

هل هناك من يمكنه أن يزعم أنَّ أحداً سوى إسرائيل يستطيع أن يقرر مصير القدس؟!، لا ننتظر جواباً على هذه الأسئلة، لكن حين تطاردنا صيحاتهم في المحاريب، فلا تملك إلاَّ أن تصرخ في العرب والمسلمين.. القدس.. القدس. [206]

24- محمود درويش في غزة

بمناسبة زيارة الشاعر محمود درويش لقطاع غزة

مرحبا بشاعر فلسطين الكبير في (جيتو غزة)، حيث نهاية الحرب التي لانهاية لها وبداية السلام الذي لا بداية له، جاء ليطلّع على التجربة وهو يحاول أن يُحصّن نفسه من خيبة الأمل، كما يقول، وهل من حصانة من أوبئة المرحلة سوى فلسطين، لأنَّ فلسطين هي العدو المشترك لكل الأمراض الرائجة كما قال محمود درويش يوماً. [207]

---

[204] - جريدة الاستقلال، العدد(33)،28-7-1995م.

[205] - جريدة الاستقلال، العدد(34)،4-8-1995م.

[206] - جريدة الاستقلال، العدد(37)،8-9-1995م.

[207] - جريدة الاستقلال، العدد(38)،15-9-1995م.

25- هزُلت

بمناسبة دعوات إصلاح السلطة

عــاد أبو صابــر من حاجز إيرز ممنوعاً مــن التوّجه للعمل .. أمضى يومه في البحــث عن عمل في القطاع المُحرر فلم يجد .. تحســس جيبه.. اشــترى من فتات عمله بالأمس في الأرض المحتلة رغيفاً عاد به إلى أم صابر وأولادها فوجدهم نائمين.. فكتب على الرغيف "ذكرى خالدة من سلطات الاحتلال" ونام، وفي الصباح اســتيقظت الأسرة فوجدت الفئران قد أتت على الرغيف ولم تبق منه سوى كلمة الاحتلال" [208].

26- عبد الله و(روش هشناه)

بمناسبة رأس السنة العبرية

يقتبس رمضان شــلّح مقطعاً من قصيدة للشــاعر العراقي مظفر النواب تُعبّر عن فكرته منها: " ولا تعرف يا عبــد الله بأي رصاص الطرفين ستستشــهد.. أيهما إســرائيل كما أيهما إســرائيل؟!.. الخبــز عليه علامة إسرائيل.. والمسرح والخمارة.. والصندوق القومي لتحرير القدس.. بداخلها إسرائيل.. فكر يا عبد الله مجرد تفكير.. بكيانين على أرضك.. أرضك أنت فإنك إســرائيل وإسرائيل [209].

27- محاكمة العدالة الأمريكية

بمناســبة إدانة الشيخ عمر عبد الرحمن بجرائم الإرهاب في أمريكيا

يكره الأمريكيون السياســة بقدر ما يحبون المال، ويعشق معظمهم الشهرة والنجومية بقدر ما يمقتون العرب والمســلمين، لذا لم يكن غريباً أن يتزامن إعلان براءة سمبســون مع إعلان إدانة الشــيخ عمر عبد الرحمن المتهم مع تســعة آخرين بمحاولة تفجير مبنى مركز التجــارة العالمي، والتخطيط لتفجير مبنى الأمم المتحدة وأهداف أمريكية أخرى، ومحاولة اغتيال الرئيس المصري حســني مبارك [210].

28- سمبسون وموسييف ووليمة العصر

بمناســبة تبرئة سمبســون في المحكمة الأمريكية بعد قتل زوجة وعشيقها، وفقر موسييف وهو ضابط جيش روسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي

حكاية سمبســون وموسييف بشــقيها هي حكاية النظام الدولي الجديد، وهي حكاية قديمة بالية، ولكن بشاعة فصولهــا المُتجــددة تفتح أعيننا كل يوم على نظام عالمي طازج: اقتصاد ســوق حر، مطعم وجبات ســريعة لالتهام أوطان بأكملها وشــعوب بأسرها، لقاحات إيدز عابرة للقارات، صندوق نقد وبنك دولي لتطاحن الأمم وانهيار الحضارات، نظام شرق أوسطي زئبقي لتغيير جلود المحميات، دول وهمية مسخوطة تنبت كالطحالب على خرائط الغزاة [211].

---

[208] - جريدة الاستقلال، العدد(39)،22-9-1995م.
[209] - جريدة الاستقلال، العدد (40)، 29-9-1995م.
[210] - جردة الاستقلال، العدد(41)،6-10-1995م.
[211] - جريدة الاستقلال، العدد(42)،12-10-1995م.

29- بعد القدس الخيانة ترتكب العرب

بمناسبة تصويت الكونجرس الأمريكي بالأغلبية الساحقة أنَّ القدس هي العاصمة الموّحدة لإسرائيل إلى الأبد ها توا أدوارد ســـعيد يقســـم لنا أنَّ هذا السلام "استسلام بلا حدود وأنه عار شديد"، وها توا محمود درويش ليؤكد لنا أنه ســـيحيلنا "حفنة من تراب"، وهاتوا نزار قباني ليصرخ "ليس هذا الثوب ثوبي، ليس هذا العار عاري"، ويا طير البرق هل تســـتطيع أن تحمل مظفر النواب إلى نيويورك ليصارحهم بحقيقتهم أنَّ شـــيئاً ما "أطهر من أطهرهم" [212].

[212] - جريدة الاستقلال، العدد(43)،20-10-1995م.

الفصل الثاني: محمد الفاتح بعد الأمانة العامة

المبحث الأول: مرايا عام 1999م

انقطع الدكتور رمضان شلّح عن الكتابة في زاوية مرايا طوال السنوات الأولى لتوليه مسئولية منصب الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وعاد للكتابة في النصف الثاني لعام 1999م، ولم يكتب بعد هذا العام سوى أربع مرات في أزمنة متباعدة.

1- لهم الحائط ولنا البكاء

بمناسبة مصافحة الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة ليهود براك في جنازة ملك المغرب الحسن الثاني. حين تتفتح الأبصار في الزمن اليهودي، وتعي القلوب التي في الصدور يفسر العرب تعارف البشر لحظة البعث في موكب القيامة، بعد أن غيبهم الموت، بالتعارف على قادة إسرائيل في مواكب الجنائز والمصائد، لقد أجهز الحكام العرب على كل ما في حياتنا من كرامة وقُدسية، ولم يبق أمامهم إلاّ ملاحقتنا في الموت ليمحقوا روحانية الأمة، ويلوثوا كل الشعائر التي تذكرها بالآخرة وتصلها بالله .[213]

2- احتكار المجد وثورة حتى النصر

بمناسبة عملية استشهادية في جنوب لبنان وإنشاء كازينو للقمار في أريحا الفلسطينية

لماذا لا يُضيء قمر فلسطين اليوم؟، لماذا وحده العاملي يشع منه الضياء و يهزم عتمة الموت الفاجع الذي اجتاح أرواحنا النائمة؟... وهكذا يكتمل الفعل الثوري الفلسطيني المبدع دورته من جهاد الخنادق إلى جهاد الفنادق وصولاً إلى جهاد الكازينوهات!، فالمجد للمقامر.. والسجن للمواطن.. عاشت فلسطين الكازينو حرة عربية.. وإنها لثورة حتى النصر [214].

3- حماس والأرض مقابل الحل النهائي

بمناسبة قرار الأردن إغلاق مكاتب حماس فيها وطرد قيادتها

عقب انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والذي جاء قُبيل توقيع مصر معاهدة الصلح مع إسرائيل، علّق مسؤول إسرائيلي آنذاك على إغلاق سفارة إسرائيل في طهران وتحويلها إلى سفارة لفلسطين بقوله: " إذا كان العلم كانه العلم الإسرائيلي قد أُنزل في طهران فإنه سيرتفع غداً في القاهرة"، ولم تكتف بعض العواصم المُتيمة حباً بإسرائيل برفع علم الأخيرة في سمائها، بل أخذت على عاتقها أن تنزل راية المقاومة وتلاحق المجاهدين إرضاءً لإسرائيل، وهذا ما فعله نظام (وادي عربة) في الأردن هذا الاسبوع بما اتخذه من إجراءات تعسّفية بحق قيادة وكوادر ومكاتب حركة حماس في الأردن [215].

---

[213] - جريدة الاستقلال،30-7-1999م.

[214] - جريدة الاستقلال،20-8-1999م.

[215] - جريدة الاستقلال،2-9-1999م.

4- من لا يقوى على الشـــهادة لا يقوى على الحياة

بمناســـبة تنفيذ عملية فدائية أبطالها ثلاثة رجال من الأرض المحتلة عام 1948م

خمسون عاماً من التهويد، ذُبحت فيها فلسطين من الوريد إلى الوريد، لكنها لم تمت، بل فاجأت الجميع، وهي تســتطيع كالشمس وكالســيف يقطر شهداً من دعاء الفجر في صلاة (أمير مصالحة) إمام قرية مشهد... حين اختار النشـــامى طريقهم إلى الخلود، عبر لحظة الانفجار المقدس في طبريا وحيفا، كانوا يدشـــنون ممراً آمنا للعودة بالصراع إلى نقطة الصفر .[216]

5- حصّاد وأوسلو ووادي عربة وزرع الله

بمناسبة إجراءات الأردن التعسفية ضد حركة حماس

ينســـى هؤلاء جميعاً أنَّ طريق الجهاد والمقاومة ليس عنواناً لتنظيم أو فصيل بعينه، إنّ إرادة شـــعب وخيار أمة، وإنَّ الســـائرين عليه على مدار الأجيال هم زرع الله الذي اســـتوى على ســـوقه، لن تطاله ولن تكســـره اتفاقـــات الهزيمة، وكما امتد منجل الطغاة من حصّادي أوســـلو ووادي عربة نحو نبتة المقاومة، تقول لهم: أنتـــم تحصدون والله يزرع، فانظروا أين حصادكم من زرع الله ؟! [217]

6- قطع (سنيه) قول كل مُكابر

بمناســـبة عودة قادة اليســـار الفلســـطيني إلى الضفة والقطاع وتصريح (افرايم ســـنيه) نائب وزير الحرب الإسرائيلي بهذا الخصوص.

لا يريـــد (المناضل الكبير) أن يعترف بثمن العودة... لكن (افرايم ســـنيه) نائب وزير الحرب الصهيوني قطع قـــول كل مُكابر، فقـــال: "نحن نأخذ قرارنا بناء على مصلحة الدولة... يجب أن نمكن من الدخول للمناطق كل من يؤيد اتفاق أوســـلو ويرفض الإرهاب ويســـتنكره وتخلى عنه ... أما من يواصل الإرهاب لن نســـمح له بالدخول" [218].

7- عصر الكلاب الإلكترونية

بمناسبة تسارع وتيرة القطيع العربي مع إسرائيل

استعرض رمضان شلّح محاولات كثير من الأنظمة العربية لإقامة علاقات مع إسرائيل ثم كتب: "وهكذا يبدو النظام العربي (داير على حل شعره) كما يقولون؛ بحثاً عن أقصر وأنجع السبل التي توصل إلى تل أبيب، ولم لا؟ فالمثل الشعبي في كل الأقطار العربية تقريباً - مع مراعاة الفروق الطفيفة في اللهجات يقول: "كلب داير ولا سبع مربوط" [219].

---

[216] - جريدة الاستقلال، 9-9-1999م.

[217] - جريدة الاستقلال، 23-9-1999م.

[218] - جريدة الاستقلال، 7-10-1999م.

[219] - جريدة الاستقلال، 14-10-1999م.

8- فتحي الشقاقي

بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لاستشهاده

فتحي الشقاقي رفض أن يستجدي الحياة من العدو، أو أن يلتمس العفو من الجلاد... رفض الحفاظ على ذاته ورأســـه ووجوده بأي ثمن كما فعل كثيرون... وعندما يفرض قانون غاية العصر على النور أن يُسلَّم أوراقه للظلام، وأن يُمنح الذئب اســـم غزالة، كان خيار الشـــقاقي واضحاً، أن لا شيء على هذه الأرض يُغري بهذه الحياة [220].

9- الوعد المشؤوم والاتفاقات الأكثر شؤماً

بمناسبة الذكرى السنوية لـ (وعد بلفور)

يعود رمضان شلّح إلى أصل قصة وعد بلفور بقرنٍ من الزمان، فكتب : "لم تبدأ القصة في العقل الاستعماري البريطاني بوعد بلفور، فمنذ عام 1839م دعا (بالمرســـتون) رئيس وزراء بريطانيا إلى إقامة كيان يهودي اســـتيطاني في فلســـطين. ليكـــون حاجزاً بين مصر والمشـــرق العربـــي، وليصبح قاعدة أمامية للمشـــروع الإمبريالي الغربي في قلب الوطن الإسلامي [221].

10- نحن والنكبة وسؤال المصير

بمناســـبة انتشار ظاهرة النكتة الفلسطينية في ظل السلطة الفلسطينية

بدأ رمضان شـــلّح بعرض دور النكتة السياسية في مصر كنوع من الرفض الشعبي للواقع السياسي، واقتبس ما قاله عباس العقاد عن ذلك " إنّ المزاج والتدين هما توأما الشـــخصية المصرية"، ثم انتقل إلى النكتة في فلســـطين بأنها ليســـت من سمات الشعب الفلسطيني بســـبب " رحلة العذاب الفلسطيني من النكبة الأولى وما قبلها وما بعدها من نكبات أعطت المزاج الفلســـطيني نكهة خاصة تشـــعر من خلالها أن الروح الفلســـطينية مجبولة بالألم والعذاب... ولكن يبدو أنَّ الشعب الفلسطيني هذه الأيام بدأ يجرب حظه مع النكتة، والسبب في ذلك... أنَّ الكلام لم يعد يُسعف في التعبير عما يُعانيه الشعب ويشعر به وبلغة الشارع (لغة الدغري) أنَّ الكلام غير مسموح به"[222] .

---

[220] - دراسة: (بدر).. كتاب مفتوح للأجيال.. تأملات

[221] - جريدة الاستقلال، 28-10-1999م.

[222] - جريدة الاستقلال، 11-11-1999م.

11- <u>أجهل من خروف وأحمق من ديك</u>

بمناسبة الذكرى الثانية عشرة للانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

لم يفوت رمضان شلّح مناسبة لبيان عيوب اتفاقية أوسلو، وفي هذه المناسبة كتب "ما فعله المفاوض الفلسطيني في هذا العقد لم يحدث في تاريخ التفاوض، سواء كانه التفاوض لبيع الأوطان أو بيع البندورة، وليس هناك نظرية سياسية أو إدارية في العالم تستطيع تفسير ما حدث خارج دائرة الجنون أو العبث، ولعلنا نجد في الحكاية الشعبية التي تُروى للأطفال شيئاً يُعيننا على فهم واستيعاب ما جرى"، ويروي شلّح حكاية الثعلب والديك، الخروف الذي أنقذ الثعلب من العطش ثم أكله الثعلب، والديك الذي أخرج العظمة من حلق الثعلب ثم أكله الثعلب.. وهكذا حدث عندما أنقذ فريق أوسلو الكيان الصهيوني من مأزق الانتفاضة [223].

[223] - جريدة الاستقلال، غزة،9-12-1999م.

المبحث الثاني: مرايا بعد عام 1999م

1- الجهاد الإسلامي .. مشروع استوى على سوقه

بمناسبة نشأة حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

كتب رمضان شلح في مجلة (المجاهد) موضحاً البدايات الأولى لنشأة (الجهاد الإسلامي)، "قبل ما يقرب من ربع قرن كنّا نتحلّق حول (الفارس) وهو يحدثنا عن وطنٍ ضاع بين الخنادق والثلوج، وعن هتاف الجماهير التي سحقوها وهي تحلم بالخبز والمطر، وعن الحاكم الذي يُريد شعباً أبكم يُساق كالقطيع، وعن المخيم الذي قالت سيدته للذاهبين إلى المنافي؛ لا تنشدوا وطناً ضائعاً في البلاد الخرساء، ولكن فتشوا عنه في لهيب المدن.. كان الفارس الطبيب يمتشق القلم مبضعاً يفتح عقل الحركة الإسلامية المعاصرة، ويخرج الورد اليابس من قلبها، ويزرع مكانه بذرة فلسطين، ويُعلقها جرساً على شفتيه يدق في كل لحظة، وفي كل ساعة، وينسف به وعي أمة لا تستطيع أن تتنفس أو تتنهد بحرية، لكنها تبني إمبراطورية من كلام جميل عن فتوحات قابلة للنشيد وغير قابلة للحضور... كان الشقاقي يسرج خيل وعيه وينسج حروفه من القرآن، وكان يجدل سياق فكرته من نسج التاريخ، فتجد بريقها في مرآة الواقع، فيرتسم حلمه ومشروعه على جدار عقولنا صافياً كعيون الأطفال، كان يكتب وطناً شهياً في سنابل القمح، نادياً في صوت بلال، ومُلعلعاً في فوهة بندقية القسام..." [224].

2- ساعة الورد والياسمين

بمناسبة العملية الاستشهادية التي نفذتها المحامية الفلسطينية هنادي جرادات في مدينة حيفا المحتلة عام النكبة 1948م كتب رمضان شلّح هذه القصيدة منها:

أي جُرح في فؤادي
أنت يا طُهر بلادي؟
يا غزال البحر
يا ألق العصافير
ويا سرب الملائكة المُطل من السحاب
ليقطف الليمون والنعناع من سرِ الصلاة على النبي
ومن تسابيح النوارس فوق هذا الأزرق الدموي
أي ثوب لحدادي
طرزته الريح وشماً في سماء القلب

---

[224] - مجلة (المجاهد)، نشرة الجهاد الإسلامي، العدد (351)،2001م.

شمساً لعيونك يا هنادي؟!
يا تفاريح بلادي
من يدافع عن صهيل الأرض؟!
من يمشي على رمشي؟!
ويسند ظهره لجحافل الافرنج
أعيُنها على بردي
فأبصر في مرايا الموت نعشي
حبة من قمح جدي
كسرة من خبز أمي
أحواناً من دم الشهداء
حزناً من هوى الشعراء
وحشاً يحصد الورد وأطفال الحجارة
يزرع الموت سياجاً للحداثة
ينشر الرعب طقوساً للحضارة

3- القدس و(سلام نسوان) العم سام [225]

بمناسبة التعامل المُهين للإدارة الأمريكية مع أنظمة الحكم العربية، وبالتحديد وزيرة الخارجية الأمريكية (مادلين أولبرت)، عندما حددت عاماً واحداً لتحقيق السلام والتطبيع مع العرب، فكتب رمضان شلّح مُعقباً اقتبس منه ما يلي:

" معادلة أولبرايت لتحقيق السلام واضحة: لا شيء في خمس سنوات وكل شيء في سنة واحدة. بالعقل والحساب يبدو هذا مستحيلاً، لكن بـ (الشلوت) الأمريكي والإسرائيلي تتحقق المعجزات، وتصبح المعادلة بجرة قلم أو كبسة زر، ما ينجز في خمس سنوات يُنجز اضعافه في سنة واحدة، والسلام قادم (واللي مش عاجبه يشرب من البحر الميت أو من بحر غزة)، وتبقى كلمة السر لفهم حسابات أولبرايت هي (القدس)، القدس هي أعقد القضايا العالقة".. ويعلق على تقصير وتخاذل العرب في موضوع القدس فيختم بقوله: "... وعلى شاشات الفضائيات يُحلّق النسر الأمريكي المتخفي في صورة امرأة، ويتلو منشوراً ألقته طائرات الفرنجة على الجثث المزروعة في الصحراء العربية (العربي العاشق إما أن يمتلك محبوبته أو نقيلها)، فيا لمصير القدس إذا عشقها العرب في زمن الهزيمة" [226].

---

[225] - مجلة المجاهد، 2002م.
[226] - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

4- وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر يا محمود

بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لاستشهاد محمود الخواجا

" لم أكن أُدرك يا محمود أنَّ رحيلك كان رحيل مرحلة بأكملها، وأنَّ غيابك سيطوي معه صفحة مجد تطوي معها بساط فلسطين من تحت أقدامنا. وحين نجلس على كومة الذكريات نسترجع أيام الوهج الساطع في مهرجان الشروق القرآني في (بيت ليد)، تدفعني طقوس الانزواء إلى حيث البدايات البعيدة، حين كان (البصري) يحدثني عن شيخ في أرض الكنانة كان يصرخ في التائهين المُصابين بمرض (اختلال الأولويات) من شباب الإسلام، فينادي بالصوت العالي: يا ليت لحاكم كانت عشباً أكلته خيل خالد بن الوليد !!" [227].

5- هل تستقيل الوردة من عطرها

بمناسبة تركه الكتابة في جريدة الاستقلال وعودته للكتابة لمرة واحدة بعد استشهاد يحيى عياش

" لم يكن محمد الفاتح سوى تلميذ صغير في مدرسة مؤسسها العملاق فتحي الشقاقي، كان أبو ابراهيم رضوان الله عليه توأم روحي ومداد قلمي، حين غادرنا لملم من زوايا عقلي وجنبات قلبي كل المفردات التي زرعها فيّ لما يقرب من عقدين من الزمان.. كما فتحي الشقاقي عندي، فإنَّ يحيى عياش غير قابل للرثاء، وتستعصى عليّ كل الكلمات، يحيى عياش كان قابلاً للانفجار، قابلاً للاشتعال، وقلبه وسع فلسطين من بحرها إلى نهرها، فأية لغة يمكن أن تسعه ؟!... إنَّ دم فتحي الشقاقي ويحيى عياش يضعنا على طرف الخيار: إمّا أن نغيب أن نغلّب أو نموت على مزاج الأوصياء، فتلك منطقة الجنون، فهل نختار جنون السقوط من هذه البدائل طالما أننا نستطيع الموت على مزاجنا؟!" [228].

6- فلا نامت أعين الجبناء

بمناسبة ذكرى معركة اليرموك التي خاضها المسلمون ضد الروم عام 636م - 13هـ

... ونحن حين ننفتح على التاريخ، فإننا لا نهرب من الواقع، بل نحاول أن نصنع من كلمة التاريخ وسننه جسراً نمده على نهر الهزيمة لنعبر المرحلة باتجاه أولئك الذين قهروا في نفوسهم (القابلية للانكسار)، قبل أن يقهروا الامبراطوريات بضحكة الأمل المُشرعة في وجه الموت والطاغوت الذي يفترس الرجولة والحياة... اليرموك عنوان (قطار النصر) الذي لا يعرف أبجديته ركاب قطار الهزيمة (قطار السلام) في زمن العم سام. اليرموك نهار عربي إسلامي لم تعرف شمه الكسوف، لكن جحافل جيش الروم خطف أبصارها وميض البرق الساطع من (سيف الله المسلول). اليرموك حديقة الدم الذي يعبق بعبير الورد وأسرار النجوم، نقطف منها باقة لزماننا المثقل بأوراق الخريف الميتة والمكدسة في ملفات عصر التفاوض والمفاوضين.

---

[227] - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

[228] - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

باقة تكسـر ميزان القوى حين التقى جيش التوحيد بجيش الشـرك. وقطف الفقراء شمس النصر على أسوار التاريخ... في زمن الردة يا سـيف الله حشـونا آذاننا بالقطن الأمريكي الناعم كي لا نسـمع نداء عكرمة: من يبايـع على الموت؟، واسـتطبنا (صـوت العير)، على فراش الزمن الإسـرائيلي الوثيـر .. فلا نامت أعين الجبناء!" [229].

7- من محمد الفاتح إلى عبد الله الشاعر

بمناسـبة رسالة من الكاتب الأديب عبد الله الشاعر يطلب منه العودة للكتابة في زاوية مرايا

المشـروع الـذي أطعمته كل عمري يسـرقني مـن (المرايا) ومن نفسـي، يطحنني في التفاصيـل المُملّة والرديئـة.. يسـرق الياقوت من لغتي، وينثر فوق أزمنتي أكواماً من الهم. والشـوك، لعل أشـد ما يؤلمني إحساسي أنَّ البراعم التي كنت ولا زلت أعصر لها عناقيد روحي في (المرايا) وغيرها تخذلني فلا يتفتح منها برعم ليعدوا على سطح المرايا الساخن يُشاركنا الرؤى ويسترد شموخنا الشارد في زمان يناصبنا العداء في كل لحظة وفي كل بقعة. ولكن عندما قرأت رسـالتك المُثيرة تنفسـت الصعداء وقلت: لعله هو؟! لذلك فإنني اعتذر لله ولقراء (الاسـتقلال) الأعزاء عن عدم قدرتي على تلبية رغبتك بالعودة لكتابة (المرايا) ..." .

[229] - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.
[230] - مجلة المجاهد، بدون تاريخ.

المبحث الثالث: تعقيب على (مرايا) محمد الفاتح

تخرّج الدكتور رمضان شـلّح من مدرسة أو جامعة المفكر الشهيد فتحي الشقاقي كما وصف نفسه أكثر من مرة، المدرسـة التي تُكتب فيها السياسة بأسـلوب أدبي، أو يكتب فيها الأدب بمضمون سياسي، ويُكتب فيها النثر بقلم شـاعر، أو يُكيت الشعر بقلم ناثر، والسياسـة التي تُكتب يحكمها منهج أخلاقي ومضمون مبدأي، كما إنَّ الأدب الذي يُكتب تفوح منه إحسـاس شـاعر وروح فنان. وقد تميز رمضان شـلّح بأسـلوب المدح المبطن بالذم وهو أصعب أسـاليب السـخرية في فن المقال وكتابة الخواطـر والوجدانيات، ومن خلال تنوّع مواضيع (مرايا) واضح أنه مُتابع للأحداث اليومية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية والتي تخص القضية الفلسـطينية بالتحديد، وهذا ينقلنا إلى مضمون (مرايا). كانت محاور: فلسـطين، والإسلام، والجهاد هي المحاور التي قام عليها مشـروع فكرة وحركة (الجهاد الإسـلامي) التي أسـها المفكر الشـهيد فتحي الشـقاقي، وهي المحاور التي التزم بالكتابة عنها المؤسـس وكذلك سـار على دربه الراحل الكبير رمضان شـلّح، وفي إطار هذه المحاور التزم بالكتابة عن قضايا فلسـطين، والأمة العربية، والأمة الإسـلامية، وهي كتابة مضمونها يدل على مفكر اسـتوعب التاريخ وسُـننه، وشّـخص الواقع وأحداثه، واستشرف المستقبل وآفاقه، وإلى جانب هذا الفكر الاسـتراتيجي فقد التقط الأحداث الصغيرة واسـتطاع الخروج بكل حدث بفكرة تخدم المشـروع الفكري الذي يحمله شلّح كما حمله سلفه الشقاقي وهو مشروع (الجهاد الإسلامي).

وإذا فصلنا قليلا في هيكل الكتابة المتميزة لرمضان شلّح فنجد (العنوان) فيه معايير عنوان المقال النموذجي المتميز بالدلالة على المضمون بلغة واضحة، وبالإشـارة لجذب القُرآء بطابع سـاخر أحياناً. ونجد (المقدمة) بدايـة مُثيرة تشـد القارئ لمواصلة القـراءة والدخول في عرض المقال دون تكلّـف أو اقحام. أمّا (العرض والمضمون) فيعرض الفكرة بسلاسـة ويبسط المضمون بعقلانية ويلتزم بفكر (الجهاد الإسلامي)، ومضمون محوره (الإسـلام وفلسـطين والجهاد)، ومنهج تفكير يحترم عقل القارئ، وبالنسـبة لـ (الخاتمة) فهي تترك القارئ في ذروة اهتمامه بالمضمون مما يترك بصمة قوية في ذهن القارئ بعد أن أوصله إلى نتيجة منطقية لجسم المقال.

وإضافة لما سبق بالنسبة لـ (الاسلوب) الذي كتب به رمضان شلّح فالطابع العام هو أسلوب أدبي بلغة عربية فصحى رصينة، وظفّ فيها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأمثال الشـعبية، والاقتباسـات التاريخية، وإلـى جانب ذلك وظف الكلمات العامية في مكانها المناسـب الذي يخدم فكرة المضمون وهدف المقال فكانت إضافة نوعية للمقال أو الخاطرة وكسـرت أي رتابة يُمكن أن تتسـلل إلى القارئ من قوة العربية الفصحى.

مصادر الباب السادس
(الفصل الأول والفصل الثاني)

1- جريدة الاستقلال، غزة، العدد (1)،21-10-1994م.

2- جريدة الاستقلال، غزة العدد (2)،28-10-1994م.

3- جريدة الاستقلال، غزة، العدد (3)، 4-11-1994م.

4- جريدة الاستقلال، غزة، العدد(5)،18-1-1994م.

5- جريدة الاستقلال، العدد (7)،20-12-1994م.

6- جريدة الاستقلال، العدد(8)،9-12-1994م.

7- جريدة الاستقلال، العدد (9)،16-12-1994م.

8- جريدة الاستقلال، العدد (10)،23-12-1994م.

9- جريدة الاستقلال، العدد (11)،30-12-1994م.

10- جريدة الاستقلال، العدد(12)،6-1-1995م.

11- جريدة الاستقلال، العدد(13)،13-1-1995م.

12- جريدة الاستقلال، العدد(14)، 20-1-1995م.

13- جريدة الاستقلال، العدد (15)،27-1-1995م.

14- جريدة الاستقلال، العدد (16)،3-2-1995م.

15- جريدة الاستقلال، العدد (17)،17-3-1995م.

16- جريدة الاستقلال، العدد (18)،24-3-1995م.

17- جريدة الاستقلال، العدد(19)،31-3-1995م.

18- جريدة الاستقلال، العدد(20)،7-4-1995م.

19- جريدة الاستقلال، العدد(21)،28-4-1995م.

20- جريدة الاستقلال، العدد(22)،5-5-1995م.

21- جريدة الاستقلال، العدد (23)،19-5-1995م.

22- جريدة الاستقلال، العدد(24)،27-5-1995م.

23- جريدة الاستقلال، العدد(26)،9-6-1995م.

24- جريدة الاستقلال، العدد(27)،16-6-1995م.

25- جريدة الاستقلال، العدد(28)،23-6-1995م.

26- جريدة الاستقلال، العدد(29)،1-7-1995م.

27- جريدة الاستقلال، العدد(30)،7-7-1995م.

28- جريدة الاستقلال، العدد(31)،14-7-1995م.

مصادر الباب السادس
(الفصل الأول والفصل الثاني)

29- جريدة الاستقلال، العدد(32)،21-7-1995م.
30- جريدة الاستقلال، العدد(33)،28-7-1995م.
31- جريدة الاستقلال، العدد(34)،4-8-1995م.
32- جريدة الاستقلال، العدد(37)،8-9-1995م.
33- جريدة الاستقلال، العدد(38)،15-9-1995م.
34- جريدة الاستقلال، العدد(39)،22-9-1995م.
35- جريدة الاستقلال، العدد(40)،29-9-1995م.
36- جريدة الاستقلال، العدد(41)،6-10-1995م.
37- جريدة الاستقلال، العدد(42)،12-10-1995م.
38- جريدة الاستقلال، العدد(43)،20-10-1995م.
39- جريدة الاستقلال، غزة، 30-7-1999م.
40- جريدة الاستقلال، غزة، 20-8-1999م.
41- جريدة الاستقلال ،2-9-1999م.
42- جريدة الاستقلال، 9-9-1999م.
43- جريدة الاستقلال، 23-9-1999م.
44- جريدة الاستقلال، 7-10-1999م.
45- جريدة الاستقلال، 14-10-1999م.
46- جريدة الاستقلال، 28-10-1999م.
47- جريدة الاستقلال، 11-11-1999م.
48- جريدة الاستقلال، 2-12-1999م.
49- جريدة الاستقلال، 9-12-1999م.
50- مجلة (المجاهد) نشرة الجهاد الإسلامي، العدد(315)،2001م
51- مجلة المجاهد، العدد ( ) 2002م.
52- مجلة المجاهد، العدد ( )، بدون تاريخ
53- مجلة المجاهد، بدون تاريخ
54- مجلة المجاهد، بدون تاريخ
55- مجلة المجاهد
56- مجلة المجاهد

قراءة فـــي الوثيقـــة الفكرية للجهاد الإســـلامي التي كتبها رمضان شلّح

ملحق
رقم (١)

قراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإســـلامي التي كتبها رمضان شلّح

الأزمـــة الفكرية التي تعاني منها الحركات الأيديولوجية هو إيمانهـــا اليقيني بامتلاكها الحقيقة المطلقة، لأنها تأخذهـــا من مصدر معصوم من الخطأ، هـــذا المصدر المعصوم قد يكون الكتاب المقـــدس كالقرآن الكريم أو الانجيـــل أو التوراة، وقد يكون الزعيم المُلهم أو القائـــد العبقري أو النخبة المميزة. وخطورة ذلك بأنه يجعل الجماعة على يقين راسخ بأنها تُمثل الحق والصواب والخير، بينما غيرها يمثل الباطل والخطأ والشر، وهذا يجعلها تؤمن بأنها الفرقة الناجية الوحيدة، أو شـــعب الله المختار، أو خلاصة الخير البشـــري، وهذا ينطبق على الحركات الإســـلامية المتطرفة وغيرها من الحركات العقائدية المتطرفة سواء كانت سماوية كالنصرانية واليهودية أو غير سماوية كالشيوعية والنازية. وهذا أصل تكفير الآخرين ومن ثم استباحة دمائهم، وإزهاق أرواحهم، وانتهاك أعراضهم، واغتصاب أموالهم.

ونتيجـــة لإدراك عمق هذه الأزمة الفكرية، فقد كُتبت الوثيقة الفكرية لحركة الجهاد الإســـلامي في فلســـطين الصادرة عام 2018 تحت عنوان (الأســـس والمفاهيم الإســـلامية) التي كتبها أمينها العام الســـابق الدكتور رمضان عبدالله شلح، وجاءت الوثيقة معبرة عن فهم مختلف يُعالج هذا الجانب من الفكر الديني الذي قد يقود إلـــى إلغـــاء الآخر أو تكفيره، لذلك فقد جاء في مقدمة الوثيقة الفكرية "لا تزعم الحركة أن هذه الوثيقة تُعبر عن الحقيقة النهائية أو خاتمة فهمها للإسلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإسلام، للإجابة على سؤال: أي إسلام؟ ولأي عالم؟ إنها تمثل الإطار العام الذي يحدد ملامح الهوية الإسلامية لحركة الجهاد، والمنطلقـــات العقدية والفكرية التي تحكم مواقفها من كثير من القضايا المطروحة في شـــتى المجالات". فما ورد في الوثيقة ليس أكثر من اجتهاد بشـــري متواضع يقبل الصواب والخطأ، ولا يمثل الحقيقة المُطلقة.

وتأكيداً لهذا الفهم جاء في أحد بنود الوثيقة "الفكر الإســـلامي ليس هو الإسلام، فالإسلام هو الوحي الإلهي، في كتاب الله، والســـنة النبوية الصحيحة، والفكر الإســـلامي هو فهم علماء المســـلمين للإسلام واجتهاداتهم وآرائهـــم فيما لا نص فيه، أي أنه فكر إنســـاني في دائرة الإســـلام، يؤخذ منه ويُتـــرك.". وهذه التفرّقة بين الإســـلام والفكر الإســـلامي مهمة وضرورية لمواجهة أســـس الفكر التكفيري، فما يفهمه العقل البشري من القرآن والسنة كنصوص دينية للإسلام، ليست هي الإسلام بل فهمنا للإسلام وهو فكر إسلامي يقترب أو يبتعد عن أصل النص الديني، وبالتالي لا يجوز إضفاء طابع القداســـة على الفكر الإســـلامي وإعطائه صفة اليقين المطلـــق والصواب الكامل، كما نُعطي للنـــص الديني الصحيح القطعي. وهذه الرؤيـــة تفتح الباب أمام الفكر الوســـطي المعتدل المتسامح، وتغلق الباب أمام الفكر الإقصائي لمن يرى بأن فكره هو الإسلام نفسه لا يجوز مخالفته وليس اجتهاداً في دائرة الإسلام.

هذا الفهم الواضح للفرق بين الإســـلام والفكر الإســـلامي، ينسحب على رؤية الوثيقة الفكرية للتراث الواردة في أحد بنودها "التراث هو ما تركه الســـلف للخلف. وما عدا الوحي، فهو ليس معصوماً أو غير قابل للنقد، والموقف المتوازن منه ليس تقديســـه، ولا الانســـلاخ عنه ورفضه، بل هو العمل على تنقيته والانتفاع بكل صالح فيه، بما يســـهم في الارتقاء بحاضر الأمة، ويحقق اســـتمراريتها التاريخية والحضارية". هذه الرؤية للتـــراث تُخلّـــص العقل الإســـلامي من تراث ثقيل ســـاهم بعضه في تغذيـــة ثقافة الفتنة وإراقـــة الدماء بين المســـلمين، فإذا كان التراث هو تفاعل العقل مع النص، أنتج اجتهادات فقهية وفكرية سياسية وغيرها، وبما أنها اجتهادات بشـــرية ففيها الصواب والخطأ، فهي ليســـت مُقدسة، فلماذا يُقدم البعض هذه الاجتهادات على النص، أو يجعلها مســـاوية للنص الديني ؟!، ومنها فتاوي علماء اشـــتهروا بســـرعة إطلاق فتاوي التكفير والتقتيل. ولذلك جاءت الوثيقة لتضع النقاط على الحروف بعدم الانســـلاخ عن التراث أو تقديسه، بل الانتفاع بالصالح والمفيد منه.

وتلك الرؤية نجدها في بند الوثيقة الذي يتحدث عن دور الحركات الإسلامية " العمل لإحياء دور الإسلام في الحياة واجب شـــرعي، ولا يحق لأي جماعة أو حركة إسلامية تسعى لتحقيق هذا الهدف، الزعم بأنها جماعة المســـلمين، بل هي جزء أو جماعة من المسلمين، فيها الصواب والخطأ...". فالوثيقة تتحدث عن إحياء دور الإســـلام في الحياة، وليس إحياء الإســـلام، فالهدف هو تفعيل وتقوية دور الإســـلام في مجتمع مسلم، وليس إحياء الإسلام في مجتمع (جاهلي)، كما في رؤية المتطرفين. وهذا واضح أكثر في رفض الوثيقة زعم بعض الحـــركات المتطرفة بأنها (جماعة المســـلمين)، والأصل أنها (جماعة من المســـلمين)، فالفرق بينهما كبير فالزعم بأنها جماعة المســـلمين يعني إخراج ما عداهم من المسلمين من دائرة الإسلام وتكفيرهم على اعتبار أنهم (الفرقة الناجية) الوحيدة، وهذا من أصول التكفير ومبررات العنف والتقتيل. والأصل أن جميع الحركات الإســـلامية هي جماعة من المسلمين في المجتمع المسلم والأمة الإسلامية.

والوثيقـــة تتحدث في بنود أُخرى عن رؤيتها الوســـطة في إطار الفكر الديني المعتـــدل، واحترامها للتعددية الدينيـــة والعرقيـــة واللغوية والثقافية والسياســـية، ورفض العنـــف والارهاب والتكفيـــر، وأهمية الاجتهاد والتجديد، وربما كان من أهم أهداف التجديد في الفكر الديني هو تنقية التراث الإســـلامي من التطرف بكافة أشـــكاله المنتج للإرهاب الدموي الذي يضر بالأمة الاســـلامية ويفرّقها ويقســـمها، ويجزّء الشـــعب الواحد ويشـــتته، ويفكك الوطن الواحد ويدمره، مع أهمية رفض محاولات الخلط بين الجهاد والارهاب، فالجهاد هي كلمة الســـر التي تحيي الأمة وتجدد حياتها، وتحرر الانســـان والأوطان، والجهاد والمقاومة هي خيار وقدر الشـــعوب الحرة لانتزاع حقوقها وتحرير أوطانها ونيل حريتها.

خُلاصـــة هذه القراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإســـلامي أنها حركة مقاومة فلســـطينية الإســـلام مرجعها وتحرير فلســـطين من الكيان الصهيوني هدفها والجهاد ســـبيلها فهي حركة وطنية بمرجعية إسلامية ترفض ثقافة التكفير من خلال وثيقتها الفكرية وكل أدبياتها المنشـــورة منذ انطلاقتها قبل عقود من الزمن.

رمضان شــلّح..
الرمز والفكرة

ملحق
رقم (٢)

رمضان شلّح.. الرمز والفكرة

لكلّ شـــعبٍ رموزهُ الوطنيةُ الموّحَدة، وعناوينهُ القوميةُ الموّحِدة، العلم الوطني، والنشـــيد القومي، والزعيم المُحرِر... وقد تتســـع الرموز والعناوين لتُغطيَ مســـاحةً أكبر في العقل الجمعي الشعبي، خاصة عند الشعوب التي تعيشُ مرحلة التحرر الوطني كالشـــعب الفلســـطيني، فامتدادها مع امتداد الزمن، فمن عزالدين القســـام وعبدالقادر الحســـيني وياسر عرفات وأحمد ياســـين وفتحي الشقاقي إلى مروان البرغوثي وكريم يونس إلى محمد الدرة ورزان النجار وصولاً إلى رمضان شـــلّح، فحين يشـــتدُ ليل الاحتـــلال حِلكةً وظلاماً تبقى رموزنا نجوماً يهتدي بها الشـــعب إلى سواء السبيل وطريق الحرية.

وإذا كان الشعب الفلسطيني بحاجةٍ إلى الرموز الوطنية لتوّحده وتهديه، فهو أشد حاجةً لها في زمن الانقسام والفُرقة، وحين يعزُّ الإجماعُ الوطني يبدعُ الناسُ من رموزهم الوطنية الإنســـانية قواســـمَ مشـــتركة تجمعهم وتوّحدهم... هكذا كانَ الأمرُ مع رحيلِ القادة الرموز ياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي، وهكذا الأمرُ مع رمضان شـــلّح، عندما اختارهُ الفلســـطينيون ليوّحدهم في لحظةٍ وطنيةٍ حرجة كانوا بأمس الحاجة إليها، ليمنحوا أنفســـهم لحظـــة وحدة وتوحيد، تُعطيهم شـــحنةً وجدانية، وقوة معنوية، وطاقة إيجابية، وحماســـة وطنية...، فيُضفي عليها من روحهِ قبســـاً من المهابةِ والجلال، وجذوةً من العظمة والوقار... فكان رمضان شلّح من أولئك الرموز الذين جسّدوا معاني السمو في الغايةِ والوسيلة، وقيم الثباتِ على المواقف والمبادئ، وصفات القيادة المتمســـكة بالحقوق والأهداف، وسمات الزعامة المؤمنةِ بالشعب والنصر.

لقد كان أبو عبدالله من الذينَ آمنوا بشعبهم وقدرته على صنع المعجزات وتجاوز التحديات، فالفلسطيني قادر أن يأخذ الريح إلى اتجاه النصر، فبادلهُ الشـــعبٌ نفسَ الإيمان، ففي حضرة الغياب استحضره شعبهُ في عُرسٍ وطني مشـــهود، خرج فيه من ســـجون الحزبية الضيقة إلى فضاء الوطن الواسع، وتحرر فيه القائد الوطني من أُحادية اللون الواحد لرايات الفصائل الحركية إلى تعددية ألوان علم فلســـطين الوطني... فلم يُعد رمضان شـــلّح أميناً عاماً لحركة مقاومة فلســـطينية فقط، بل قائداً فلســـطينياً، ورمزاً وطنياً، ومُفكّراً ثورياً، وزعيماً وحدوياً، وفارساً شجاعاً... قال كلمته بصدق ورحل، وسجّل شهادته بشجاعة وغادر، وأدى واجبه بمسئولية ومضـــى، ونصحَ قومه بأمانة وذهـــب، وأوجع عدوه بقوة وترجّل... وعبّرَ عن ضميرِ شـــعبه، وروح أمتهِ، ورائحة أرضه، وبرتقال الجليل، وعنب الخليل، وزيتون غزة، وشـــعر محمود درويش، وأدب غسان كنفاني، وتمرد القسام، وثورة الشقاقي، وجهاد الياسين... وكان نتاج كل ذلك تمسكه بالحقوق الوطنية بقوة لا ضعف فيهـــا، وبوضـــوح لا غموض فيه، وبمثابرة لا مســـاومة فيها، وبعناد لا هوادة فيه، وباســـتراتيجية لا خداع فيها... ففلســـطين من البحر إلى النهر، وليســـت الضفة والقطاع، والقدس الموّحدة الكاملة، وليســـت القدس الشـــرقية، والتحرير يتم بالمقاومة والجهاد، وليس بالتسوية والتقسيط.

رمضان شــلّح كان واضحاً وحاســماً فــي مبادئهِ الفكرية ومواقفه السياســية المتمســكة بالحقوق الوطنية الفلســطينية والمعارضة الجذرية لنهج التسوية واتفاقية أوسلو ومُخرجاتها، وكان صادقاً مع نفسهِ وحركتهِ وشــعبه، فلم يُشارك في أي مؤسســة سياسية أفرزتها اتفاقية أوسلو أو تحت ســقفها، تماماً كسلفه الشهيد فتحــي الشــقاقي، ورغم ذلك كان خطابهُ السياســي وطنياً محوره رفض نهج التســوية بعيــدا عن مُهاجمة الأشــخاص وتخوينهم، وإقصاء المُخالفين تمهيداً لشيطنتهم وتجريمهم وصولا إلى سفك دمائهم _وهذا أصل الفتنــة والاقتتال الداخلــي_، فقد آمن أن الاختلاف مع إخوة الوطن مهما كان كبيــراً وعميقاً يبقى في دائرة الخــلاف الفكري والسياســي، بالإمكان أن يُحل بالحوار الوطني، ليبقى التناقــض المركزي مع العدو المُحتل للأرض، ليواجه بالعنف الثوري والمقاومة المُســلّحة، آمن بالوحدة الوطنية القائمة على كل مكونات الشعب الفلســطيني، و بالشــراكة الوطنية المرتكزة على عدم نفي الآخر، ولم يمنعه خلافه مع الزعيم الراحل ياسر عرفات على إنصافه كقائد تاريخي كبير دفع حياته ثمناً لدفاعه عن حقوق شــعبه الوطنية.

وكما كان المُفكر رمضان شــلّح ضد التخوين السياسي في الإطار الوطني، كان ضد التكفير الديني في الإطار الإســلامي، إدراكاً منــه بخطورة مآلاتــه ونتائجه. فخط بحروف من ذهــب وثيقته الفكريــة لحركة الجهاد الإســلامي في لحظة تاريخية زاخرة بأمواج الفتن، في كتابه (الأســس والمفاهيم الإسلامية) كاشفاً اللثام عن أســاس معضلة التكفير لبعــض الحركات، النابع من إيمانهــا بأنها اوحدها الفرقة الناجيــة وتمتلك الحقيقة المطلقة بما تمتلكه من تفسير وتأويل خاص بها للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فمن كلماته النورانية فــي مقدمة الكتاب "لا تزعــم الحركة أنَّ هذه الوثيقة تُعبّــرُ عن الحقيقة المُطلقة النهائيــة أو خاتمة فهمها للإســلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإســلام"، وبهذا الوعي أخرج نفســه وحركته من أُحاديــةِ الرؤية، والنظرة الإقصائيــة، وعقيدة الفرقة الناجية، بما تحمله مــن مخاطر على المجتمع والأمة، ومؤكدا في نفس الســياق رفضه أنْ تُعرّف أي حركة إســلامية نفســها بأنها (جماعة المســلمين) واعتبرها (جماعة من المسلمين)، والفرق بينهما كالفرق بين الموت والحياة.، هكذا كان رمضان شلّح الرمز والفكرة.

أمّا رمضان شلّح المجاهد كما عرفه كاتب هذه السطور من خلال شهادته ومشاركته في إحدى محطات حياته وســيرته الجهادية في النصف الأول من ثمانينيات القرن الســابق، وهي محطة عودته إلى الوطن مع رفيق دربــه ومعلمه الشــهيد فتحي الشــقاقي_ الذي وصفــه بالجامعة، حين قال في ذكرى رحيلــه أنه تخرّج من جامعتيــن في مصر، هما جامعة الزقازيق وجامعة فتحي الشــقاقي_ ،وتضمنت تلك المحطة مشــاهدَ عديدة امتدت ما بين مســاجد غزة خطيباً وداعياً للإســلام وفلســطين والجهاد، وباحات المســجد الأقصى المبارك بالقدس في ليالي القدر مُبشّــراً بالثورة ومُحرّضاً على المقاومة، وبيوت حارات غزة ومخيماتها- بعضها

بحضور المعلم الشهيد فتحي الشقاقي – مُنظّراً لنهج الإيمان والوعي والثورة، وزارعاً لبذرة الإسلام المقاوم في فلســطين... وصولا إلى محطة الغُربة عام 1986، مع غربة كاتب هذه السطور بعدها بثلاث سنوات إلى محطة الســجن... حتى دار الزمن دورته بعد عشــرين عاماً فكان اللقاء في دمشــق حيث وصل قطار حياته وجهــاده إلى محطة الأمانة العامة ثم إلى مرحلة الغياب.

رحمــك الله يا أبا عبد الله، حاولت توحيدنا حياً ووحدتنا ميتاً كما وصفه كاتب تقرير تلفزيون فلســطين عندما كتب يقول: "وحدتنا يا رمضان، أيُّ قامةً وطنيةً هذه التي ترحلُ في زمنٍ صَعُبَ فيه اجتماعنا، ويُحيلنا بموتهِ من انقســامٍ إلى اتحاد، أيُّ رجلٍ هذا الذي استطاع برحيلهِ أن يُعيدَ إلينا الثقةَ بأننا بخير، وأن أخلاقنا الوطنيةِ ما زالت بعافيتها، وأنَّ فلســطين توّحدنا فعلاً وليس شعاراً... اســتطاع بهذا الرحيل أن يشعرنا بقوتنا ويجدد فينا عنفوان الفلســطينية الواحدة بكل ألوانها، فالكل الفلسطيني نعى قامةً وطنية صاحبة فكر وطني لا قداسة عنده إلاَّ لفلسطين من بعد الله... أخلاقه الوطنية ستظل تُقدّم دروساً في أخلاقيات الاختلاف دون الخلاف على الهدف...".

الوحـــدة... الاســـم الآخر لرمضان شلّح

ملحق
رقم (٣)

الوحدة... الاسم الآخر لرمضان شلّح

مرَّ عامان على رحيل القائد الوطني الكبير رمضان عبد الله شلح، الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ولا يزال حضوره يأبى الغياب، لاسيما لمن عرفوه عن قُرب ومنهم كاتب هذه السطور، إذ عرفته في محطتين: الأولى بعد عودته من الدراسة في مصر مع رفيق دربه ومعلمه المُفكر الشهيد فتحي الشقاقي، مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكان في هذه المحطة يجوب الوطن من أزقة غزة وحاراتها ومخيماتها إلى باحات المسجد الأقصى المبارك وشوارع القدس العتيقة، مُبشّراً بصوتٍ آخر للإسلام وفلسطين، والمحطة الثانية بعد ما يزيد على عقدين دار فيهما الزمن دورته، فكان اللقاء في دمشق العروبة والمقاومة أميناً عاماً للجهاد الإسلامي يقود المقاومة من قلب العروبة، ويحتضن فلسطين في قلبه، فكانت محطته الأخيرة قبل أنَّ يُغيّبه المرض ثم الموت، ولكنه بقي الغائب الحاضر كما كل العظماء الذين يزرعون بذور حياتهم في تربة شعبهم وأمتهم الطيبة، فتثمر أشجارها الطيبة ثمار الحرية والوحدة.

الوحدة في فكر الراحل الكبير رمضان شلح هي وحدة فلسطين: الأرض والشعب والقضية، أرض فلسطين الكاملة كوحدة إقليمية لا تتجزأ، والتأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني بكل مكوناته الدينية والسياسية والثقافية والنضالية، فالشعب الفلسطيني في رؤية رمضان شلح "هو شعب واحد، وقضية واحدة، وهو جزء أصيل وحيوي من الأمة العربية والإسلامية"، بمن فيهم الشعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة عام 1948م، والشعب الفلسطيني في خارج فلسطين (الشتات)، فجميعهم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني ومسيرته الكفاحية.

كما رأى المسيحيين الفلسطينيين "جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وشركاء في الوطن، قدّموا من أجله تضحيات جسام بجانب إخوانهم المسلمين، برز فيهم القيادات السياسية والكفاحية والرموز والنُخب الثقافية والاقتصادية، فكان لهم أثر بالغ وواضح في مسيرة النضال الفلسطيني".

ونادى بالوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة مقاومة الاحتلال، واعتبرها "الضرورة الأكثر إلحاحاً لمواجهة المخطط الصهيوني، الرامي إلى تحويل الصراع من صراع بين الشعب الفلسطيني والمحتل الإسرائيلي، إلى صراع داخلي بين الفلسطينيين أنفسهم"، ولذلك طالب بتوحيد كل البنادق الفلسطينية ضد الاحتلال، وحل المشاكل الداخلية الفلسطينية بالحوار. وأرسى مفهوماً للشراكة الوطنية يقوم على أساس إرساء العمل الوطني على القواسم المشتركة عملاً بقاعدة "تعزيز ما اتفقنا عليه، والتحاور حول ما اختلفنا فيه، من أجل حماية الثوابت ومواجهة مشاريع تصفية القضية". والشراكة على أساس "مساهمة جميع الأُطر والتنظيمات والفعاليات الفلسطينية في صنع القرار الوطني، وإعادة تأطير المؤسسات الفلسطينية بما يلائم حركة تحرير وطني تُجسّد وحدة الأرض والشعب".

بناءً على ذلك، كان خطابه السياسي وطنياً محوره رفض نهج التسوية بعيداً عن تخوين المخالفين أو شيطنة المختلفين، فآمن بأنَّ الاختلاف مع إخوة الوطن مهما كان كبيراً أو عميقاً يبقى في دائرة الخلاف السياسي والفكري الذي يُمكن أن يُحل بالحوار الوطني سياسياً وفكرياً، ليبقى الكل الفلسطيني موحداً في مقاومته للاحتلال.

والوحدة الوطنية في فكر رمضان شلح ليست ترفاً أو خياراً، بل هي واجب وضرورة مصيرية، وشرط وجود للكل الفلسطيني... "الوحدة والحرية وجهان لعملة واحدة"، وهي مرتبطة بمفهوم "الوطنية الفلسطينية" التي حددها بأربعة عناصر، الأول: الهدف، أي ماذا يريد الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية؟ فالاتفاق على هدف تحرير فلسطين الكاملة من البحر إلى النهر هو أحد أعمدة الوحدة الوطنية، أما التنازل عن هذا الهدف فهو نقض لأحد هذه الأعمدة. والثاني: الوسيلة للوصول إلى الهدف... المفاوضات أم المقاومة؟ فالتسوية والمفاوضات تُفرّق الشعب الفلسطيني، والثورة والمقاومة توحّده وتقرّبه للهدف. والثالث: المؤسسات الوطنية، فمنظمة التحرير الفلسطينية يُفترض أنها الإطار الجامع للكل الفلسطيني ووعاء الشراكة في القرار الوطني، لكنها أصبحت هي المشكلة بسبب إقصاء الإسلام المقاوم (حماس والجهاد) من المنظمة، أو محاولة احتواء الإسلام المقاوم، والسلطة كإفراز للمنظمة حرفت المسار من الصراع ضد الاحتلال إلى صراع داخلي على السلطة. والرابع: التهديد الإسرائيلي ممثلاً بالاحتلال والاستيطان والتهويد والأسرلة والحصار والتهجير والإبادة... إذ يستهدف العدوان الإسرائيلي الأرض والإنسان والمقدسات، حتى بات التهديد عامل توحيد للشعب الفلسطيني وحركته الوطنية إذا ما تم الاتفاق على العناوين الأخرى: الهدف والوسيلة والمؤسسات.

الوحدة عند رمضان شلح مرتبطة بمفهوم "الجماعة الوطنية" في فكر الجهاد الإسلامي، وهو المفهوم الذي أعاد الانسجام إلى مفاهيم: الوطنية والعروبة والإسلام، وصهرها في بوتقةٍ واحدة هي "الجماعة الوطنية" كجزء من "الأمة العربية والإسلامية"، وجزء من محاولة إنهاء التناقض الوهمي بين دوائر الانتماء الثلاث: الوطنية الفلسطينية، والقومية العربية، والأمة الإسلامية، ولذلك آمن كأمين عام لحركة الجهاد الإسلامي بأنَّ فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى والمركزية، وآمن بالعلاقة الارتباطية بين وحدة الأمة وتحرير فلسطين، وأنَّ الدعوة إلى وحدة الأمة جزء جوهري من مشروع تحرير فلسطين، فاعتبر "الوحدة الإسلامية من الأهداف الكبرى في الإسلام، وأن المسلمين في دين الله أمة واحدة، جميعهم إخوة في الإسلام على اختلاف أعراقهم وألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ومذاهبهم، ورفض التجزئة ونبذ الفرقة والتنازع، وتحقيق التآلف والوحدة بينهم فريضة شرعية وضرورة حياتية".

وانسجاماً مع هذه الرؤية الوحدوية للأمة ورفض موجة تكفير المسلمين التي ابتدعها المؤمنون بعقيدة الفرقة الناجية الوحيدة، رأى أنه "لا يحق لأي جماعة أو حركة إسلامية الزعم بأنها جماعة المسلمين، بل هي جزء أو جماعة من المسلمين فيها الصواب والخطأ"، ولذلك لم ينسب إلى نفسه وإلى حركته امتلاك الحقيقة المطلقة، فوضع في مقدمة الوثيقة الفكرية للحركة هذا الوعي الذي يرى في الوثيقة اجتهاداً فكرياً متواضعاً في زمن الصراع على الإسلام.

وتأكيداً لوحدة الأمة في إطار هذا الوعي الرافض لهوس التفريق والتكفير قال "إنَّ الشيعة مسلمون تجمعهم بأهل السُنّة رابطة الإسلام، وبينهما خلاف تاريخي حول مسألة الخلافة أو الإمامة، امتد إلى بعض مسائل الاعتقاد والفقه ولكنه لا يُخرج من الملّة"، وأنَّ "الصوفية لهم نهج خاص للتربية والعبادة... معيار القبول أو الرفض موافقة كتاب الله وسُنّة نبيه"، وأنَّ "السلفية مدرسة فكرية لفهم الدين وممارسته على قاعدة الانتساب إلى سلف الأمة الصالح" ،وغيرهم من التيارات والمذاهب الإسلامية.

رحم الله المجاهد الكبير رمضان عبد الله شلح.. حاول توحيدنا حياً، ووحدنا بعد رحيله حاضراً فينا رغم الغياب، وحدنا رمزاً وطنياً وعربياً وإسلامياً لوحدة الشعب والأمة، كما كل رموز الوطن الصغير والكبير منذ فجر التاريخ وحتى عمر المختار ويوسف العظمة وعبدالقادر الجزائري... وصولاً إلى عزالدين القسام وعبدالقادر الحسيني وأحمد عبدالعزيز... وحتى ياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي... ورمضان شلح من أولئك الرموز الذين جسّدوا معاني السمو في الغاية والوسيلة، وترجموا قيم الثبات على المواقف والمبادئ، وأكدوا صفات القيادة المتمسكة بالحقوق والأهداف، وحملوا سمات الزعامة المؤمنة بالشعب والنصر... وإضافة إلى كل ذلك، أصبح رمضان شلح هو الاسم الآخر للوحدة... وحدة الشعب والأمة.

الفهرس:

تقديم: 5

الباب الأول: رمضان شلّح وفتحي الشقاقي والجهاد الإسلامي

بعيون رمضان شلح 7

الفصل الأول: رمضان شلّح كما عرف نفسه..... 8

المبحث الأول: من هو رمضان شــلّح؟ 8

المبحث الثاني: تأثير فتحي الشقاقي على رمضان شلّح..... 10

المبحث الثالث: نشأة (الطلائع الإسلامية) برواية رمضان شلّح..... 12

المبحث الرابع: رمضان شــلح.. الأمين العام لـ (الجهاد الإسلامي)..... 13

مصادر الفصل الأول (الباب الأول):..... 15

الفصل الثاني: فتحي الشقاقي بعيون رمضان شلّح.....16

المبحث الأول: فتحي الشــقاقي يُشّخص مشكلتي الحركتين

الإسلامية والوطنية..... 16

المبحث الثاني: فتحي الشــقاقي يُدشّن مشروع الجهاد

والمقاومة في فلسطين..... 18

المبحث الثالث: فتحي الشــقاقي.. الإنسان والقائد والمفكر..... 19

المبحث الرابع: الأعمال الكاملة للمفكر الشــهيد فتحي الشقاقي..... 21

مصادر الفصل الثاني (الباب الأول):..... 22

الفصل الثالث: الجهاد الإسلامي بعيون رمضان شلّح..... 23

المبحث الأول: حركة الجهاد الإسلامي "الفكرة والمشروع"..... 23

المبحث الثاني: حركة الجهاد الإسلامي "النشأة والتطور"..... 25

المبحث الثالث: حركة الجهاد الإســـلامي "ضرورة وإضافة"..... 27
المبحث الرابع: حركة الجهاد الإسلامي "ميلاد وبرنامج"..... 28
مصادر الفصل الثالث (الباب الأول): 29
الباب الثاني: فلسطين بين مشروعين 30
الفصل الأول: فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر..... 31
المبحث الأول: فلسطين قضية الأمة المركزية "لماذا وكيف؟"..... 31
المبحث الثاني: القدس مركز الصراع الكوني..... 33
مصادر الفصل الأول (الباب الثاني):..... 35
الفصل الثاني: فلسطين في المشروع النقيض (إسرائيل)..... 37
المبحث الأول: إسرائيل ظاهرة يهودية واستعمارية وأمريكية..... 37
المبحث الثاني: طبيعة ومســـتقبل الصراع بين المشروعين..... 40
مصادر الفصل الثاني (الباب الثاني):..... 43
الفصل الثالث:حسم الصراع بين المشروعين بالجهاد والمقاومة..... 44
المبحث الأول: الجهاد والمقاومة "قضايا أساسية"..... 44
المبحث الثاني: الجهاد والمقاومة "قضايا إشكالية"..... 47
المبحث الثالث: (الانتفاضة) بعيون رمضان شلّح..... 49
مصادر الفصل الثالث (الباب الثاني): 52

الباب الثالث: حركات وثورات بعيون رمضان شلّح..... 53
الفصل الأول: رؤية رمضان شلّح للحركة الإسلامية الفلسطينية..... 54
المبحث الأول: الحركة الإســـلامية الفلسطينية "مراجعة ونقد"..... 54

المبحث الثاني: الحركة الإسلامية الفلسطينية "إضافة وإنجاز"..... 56
المبحث الثالث: الحركة الإسلامية "أسئلة الهوية والانتهاء"..... 58
مصادر الفصل الأول (الباب الثالث):..... 60
الفصل الثاني: رؤية رمضان شلّح للحركة الوطنية الفلسطينية..... 61
المبحث الأول: "نشـــأة الحركة الوطنية الفلسطينية "رواية رمضان شلّح"..... 61
المبحث الثاني: نقد الحركة الوطنية الفلسطينية..... 63
المبحث الثالث: فكرة (الجماعة الوطنية) عند رمضان شلّح..... 64
مصادر الفصل الثاني (الباب الثالث):..... 65
الفصل الثالث: رؤية رمضان شلّح لإيران الثورة وحزب الله المقاوم..... 66
المبحث الأول: مرتكزات الموقف من إيران والحزب والشيعة..... 66
المبحـــث الثاني: عوامل الانتصار من وحي ثورة إيران ومقاومة الحزب..... 67
المبحث الثالث: الثورة الإسلامية في إيران "مفارقات وإضاءات"..... 69
مصادر الفصل الثالث (الباب الثالث):..... 71
الباب الرابع: قضايا ومفاهيم في فكر رمضان شلّح..... 72
الفصل الأول: الوحدة في فكر رمضان شلُح..... 73
المبحث الأول: الوحدة الإسلامية..... 73
المبحث الثاني: الوحدة الوطنية..... 75
مصادر الفصل الأول (الباب الرابع):..... 77
الفصل الثاني: العروبة في فكر رمضان شلّح..... 78
المبحث الأول: نقد المشروع القومي العربي..... 78
المبحث الثاني: العروبة والإسلام..... 79

مصادر الفصل الثاني (الباب الرابع):..... 81
الفصل الثالث: الشهادة في فكر رمضان شلّح..... 82
المبحث الأول: ظاهرة الاستشهاديين والعمليات الاستشهادية..... 82
المبحث الثاني: قيم ومعاني مستوحاة من الشهادة والشهداء..... 84
مصادر الفصل الثالث (الباب الرابع):..... 89
الباب الخامس: ومضات فكرية في التاريخ والاقتصاد والسياســة
والدين عند رمضان شلّح..... 90
الفصل الأول: ومضات تاريخية..... 91
المبحــث الأول: (بدر) كتاب مفتوح للأجيال
تأملات قرآنية في ظلال المعركة..... 91
المبحث الثاني: الإسلام والغرب.. جدل الصراع في التاريخ والواقع..... 93
مصادر الفصل الأول(الباب الخامس):..... 96
الفصل الثاني: ومضات اقتصادية..... 97
المبحث الأول: قراءة في الاقتصاد السياســي لاتفاق غزة –أريحا..... 97
المبحث الثاني: تحوّلات الاقتصاد العالمي "توازنات الثروة والقوة"..... 99
مصادر الفصل الثاني (الباب الخامس):..... 102
الفصل الثالث: ومضات دينية وسياسية عند رمضان شلّح..... 103
المبحث الأول: ومضات دينية تنويرية عند رمضان شلّح..... 103
المبحث الثاني: ومضات سياسية وطنية عند رمضان شلّح..... 105
مصادر الفصل الثالث (الباب الخامس):..... 109

الباب السادس: محمد الفاتح..... 110

الفصل الأول: محمد الفاتح.. قبل الأمانة العامة.....111

المبحث الأول: مرايا عام 1994م..... 111

المبحث الثاني: مرايا عام 1995م..... 114

الفصل الثاني: محمد الفاتح بعد الأمانة العامة..... 123

المبحث الأول: مرايا عام 1999م..... 123

المبحث الثاني: مرايا بعد عام 1999م..... 127

المبحث الثالث: تعقيب على (مرايا) محمد الفاتح..... 131

مصادر الباب السادس:..... 132

الملاحق..... 134

ملحق رقم (1) قراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإســـلامي

التي كتبها رمضان شلّح..... 134

ملحق رقم (2) رمضان شلّح "الرمز والفكرة"..... 136

ملحق رقم(3) "الوحدة" الاسم الآخر لرمضان شلّح..... 139

هذا الكتاب

(رمضان شلّح والجهاد الإسلامي).. كتابٌ يجمع بين وجهين لمضمونٍ واحد, فالكتاب يعرض لـ(الجهاد الإسلامي) بقلم وصوت (رمضان شلّح), ويُقدّم (الجهاد الإسلامي) بفكر وعيون (رمضان شلّح), كما يعرض ويُقدّم (رمضان شلح) من خلال علاقته المُتلاصقة بـ (الجهاد الإسلامي) مُنذ تعرفه على مفكرها ومؤسسها وأمينها العام الأول المُعلّم الشهيد والمفكر الدكتور (فتحي الشقاقي) وحتى استشهاده -رحمه الله - ثم وفاة الراحل الكبير الدكتور رمضان شلّح, والعلاقة التي تربطني بالراحل الكبير موضوع هذا الكتاب ليست مجرد علاقة على الورق, بل علاقة في الواقع امتدت على مدى زمني طويل تنقلّت بين عدة محطات, وبدأت منذ عودة فتحي الشقاقي وإخوانه وتلاميذه من مصر في مطلع ومنتصف ثمانينات القرن العشرين وعندما كان رمضان شلّح يجوب قطاع غزة وباحات المسجد الأقصى كادحاً وصادحاً بخيار الإيمان والوعي والثورة, ومُنادياً ومبشراً بكلمة السر الجامعة بين الإسلام وفلسطين والجهاد.. وانتهت بمحطة الأمانة العامة في دمشق قُبيل أنْ يُبتلى بالمرض ثم مصيبة الموت...

والكتاب مجرد ومضات مما كتبه وقاله رمضان شلّح وليس كله, كما أنه يتضمن أعماله الفكرية والسياسية والأدبية المنشورة فقط, كما أنه لا يتضمن أعماله في قيادة الحركة بجناحيها -السياسي والعسكري -وخاصة العمليات الفدائية والاستشهادية المؤلمة للعدو والمؤثرة في مسيرة النضال الوطني.. والكتاب يتبع اسلوب الاقتباس المباشر بالنص مما كتبه أو قاله شلّح, وكذلك الاقتباس غير المباشر بالمعنى والاختصار والشرح مما كتبه أو قاله شلّح. والمصادر التي اعتمد عليها الكتاب هي (موسوعة الأعمال الكاملة للدكتور رمضان شلّح) المجموعة ورقياً وغير المنشورة وعددها أحد عشر مُجلَّداً, وقد قسمت الكتاب إلى ستة أبواب وملاحق, يتفرع منها فصول, والفصول يتفرّع منها مباحث, فبنود وأرقام وحروف.. ومن المُفيد القول أخيراً أن هذا الكتاب (رمضان شلّح والجهاد الإسلامي) قد كُتب وأُعد أثناء حرب الإبادة على غزة ووسط نارها, وما توفيقي إلاّ بالله.

د/ وليد القططي